العدد رقم (٢)

تصدر عن رابطة علماء سورية المستقلة

مجلة بشائر الإسلام

٢٣ رمضان ١٤٢٩هـ. الموافق: ٢٣- ٩- ٢٠٠٨م.

- الرسول ﷺ يخاطب عصرنا في المحن.
- العُرف وأثره في الأحكام الفقهية.
- فقه الأخلاق الكبر.
- حوران الحضارة ومنبت العلماء.
- أفل نجم من سماء الأدب.
- مرض الإيدز فضائح وأخطار.

عالم حوران ومربي الصالحين

الشيخ العلامة

عبد العزيز أبا زيد

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ اللَّهِ فَضْلاً كَبِيراً﴾

[الأحزاب: ٤٧]

بشائر الإسلام

مجلة فصلية

إسلامية _علمية _ثقافية

تصدر عن: رابطة علماء سورية المستقلة

عضو في الاتحاد العالمي للعلماء المسلمين

ترخيص الرابطة برقم : ٦٩٦٢-٨٠٢٤٤٠ بتاريخ ٢٠٠٨/٤/٢
ستوكهولم مملكة السويد

العدد (٢)
الثلاثاء: ٢٣ رمضان/١٤٢٩هـ
المـــوافق: ٢٠٠٨/٠٩/٢٣م

مدير إدارة المجلة

د/ حسين علي الفرحان

رئيس التحرير

د/ خالد حماش

سكرتير التحرير

أ/ مصطفى محمد رشدي مفتي

إقرأ في هذا العدد

الموضوع الصفحة

١ - قل بفضل الله ورحمته فبذلك فليفرحوا (الافتتاحية)_ الأمين العام للرابطة..... ٣

٢ - دراسات قرآنية - إعجاز القرآن في اسم الله الحكيم _ أ.د/ غسان حمدون.....٥

٣ - دراسات في السنة النبوية -الرسول يخاطب عصرنا في المحن والفتن

أ.د/ غسان حمدون.....٢١

٤ - دراسات فقهية، العرف وأثره في الأحكام الفقهية _أ. مصطفى مفتي.....٣٦

٥ - موقف علماء العقائد من ظاهرة التكفير في الإسلام _ د قدور الثامر.....٤٧

٦ - فقه الأخلاق الكبر_ د/ عامر حسين السلامة.....٦٣

٧ -الأدب الإسلامي_ د/ خالد حماش.....٧٠

٨ - كلمات من نور عن حوران العلم والحضارة_ أ/ محمد خير حوراني.....٧٥

٩ - الشيخ العلامة عبد العزيز أبا زيد رحمه الله_ د/ عطية الوهيبي.....٧٨

١٠ - فقه التميز الإسلامي _ د/ محمد سرحان التمر.....٨٩

١١ - أفل نجم من سماء الأدب وسطعت نجوم _ أحلام الخيرات.....١٠٢

١٢ - مرض الإيدز فضائح وأخطار_ د/حسين علي الفرحان.....١٠٥

١٣ - من الأوائل_ د/ أنس المدرس.....١١٥

١٤ - الرجولة والذكورة_ د/ إسماعيل الأحمد.....١١٦

١٥ - تعريف بكتاب_ د/ أنس المدرس.....١١٨

١٦ - فاسألوا أهل الذكر_ د/ عامر حسين أبو سلامة.....١٢١

١٧ -لا تجـــادل (مشاركات)_ ياسر الشيخ.....١٢٤

١٨ -الملوخية_ د/ محمد وليد حياني.....١٢٦

١٩ - تهنئة بالحصول على درجة الدكتوراه_ هيئة التحرير.....١٣٠

٢٠ - شكر وعرفان _ هيئة التحرير.....١٣١

الافتتاحية قل بفضل اللّه ورحمته فبذلك فليفرحوا

فرحتان غاليتان... بل هما ألوان من الفـــرح والسعادة:

الفرحة الأولى: نفرح إذ بلّغنا المولى الكـــريم شهر رمضان المبارك، شهر الخير والقـــرآن ، شهر البر والإحسان، شهر الصيام والقيـــام، شهر تجليات الرحمن والعتق من النيران، شهر الجنة والرضوان، شهر انتـــصارات الإســـلام العظيم، أسأله سبحانه أن يعيده على الإخـــوة أعضاء الرابطة والعلماء في كل مكان، وقـــد وحَّدوا كلمتـــهم في طاعـــة الله، وانتـــصروا لإخوانهم المظلومين والمستعمرين، وتبنَّوا كلمة الحق ، وبلَّغوا رسالة الله في الآفاق ، وأحسنوا قيادة الأمة ، علماً وعملاً ودعوة، وكانوا لهم قدوة وأسوة .

والفرحة الثانية: أن يصدر العدد الثاني مـــن مجلة «بشائر الإسلام» في هذا الشهر الجليـــل ونتمتَّع إن شاء الله بثمرات أقـــلام أعـــضاء الرابطة ، ونِتاج أفكارهم، وحصاد تخصُّصاتهم العلمية ، وخلاصة فكرهم النيّـــر. بـــارك الله فيهم وزادهم علماً وحباً لدينهم، وحرصاً على تجلِيَة حقائق إسلامهم العظيم.

ولعله من المناسب أن نزف البشرى إلى إخوتنا ـــ أعضاء الرابطة في كل مكـــان ـــ أنَّ الله سبحانه يسَّر أمور رابطتهم، فاعتُمِد النظـــام، وأُقِرَّت الخطة، وتشكَّلت المؤسَّسات ، وصدر الترخيص من مملكة السويد، وتم اعتماد رابطتهم عضواً في الاتحـــاد العـــالمي لعلمـــاء المسلمين ، واختير مُمثلونا في الجمعية العمومية للاتحاد، وأضحى أعضاء رابطتنا أعـــضاء في الاتحاد، بمجرد اعتماد القوائم مـــن الأمانـــة العامة.

وهي بصدد توثيق الأواصر والتعاون مع كافة روابط العلماء في العالم العربي..

وإني لآمل من الإخوة رؤساء وأعضاء إدارة فروع الرابطة أن يتعاونوا في دراســـة نظـــام الرابطة بغية إنضاجه كما أرجو دراسة خطـــة الرابطة بغية تنفيذها ، وحتى نتعاون جميعاً في النهوض برسالة الرابطة وهدفها الأسمى الذي

جاء في النظام الأساسي، وهو:

أ ـــ تقديم الإسلام بصورته الصحيحة، وذلك بنشر ثقافة الوسطية والتسامح واحترام وجهات النظر الأخرى بعيدا عن التعصب وبخطاب متطور الأسلوب .

ب ـــ الدفاع عن الإسلام عقيدة وشريعة ورموزاً وتبنّي قضايا الأمة .

ج ـــ حماية العلماء والعاملين في الحقل الإسلامي والعمل على حل مشكلاتهم والسعي إلى تطوير كفاءاتهم ورفع مستواهم العلمي والمادي .

د ـــ العمل على عودة العلماء السوريين المهاجرين إلى بلدهم لضم جهودهم إلى جهود إخوانهم في الداخل .

هـ ـــ التعاون والتنسيق مع الاتحاد العالمي للعلماء المسلمين والهيئات الإسلامية في سورية وغيرها .

و ـــ التقريب بين العاملين للإسلام في الساحة السورية .

ز ـــ تشجيع المدارس والمعاهد الشرعية وتقويتها والسعي للارتقاء بها .

ح ـــ السعي لإنشاء مركز بحوث إسلامي يتعاطى قضايا المسلمين المستجدة .

ط ـــ تمتين الروابط والعلاقات بين العلماء والشعب السوري ومنظمات المجتمع المدني بكافة الوسائل المتاحة .

وختاماً نسأله سبحانه أن يرزقنا الحب فيه، والإخلاص له، والجهاد لإعزاز دينه ، والثبات

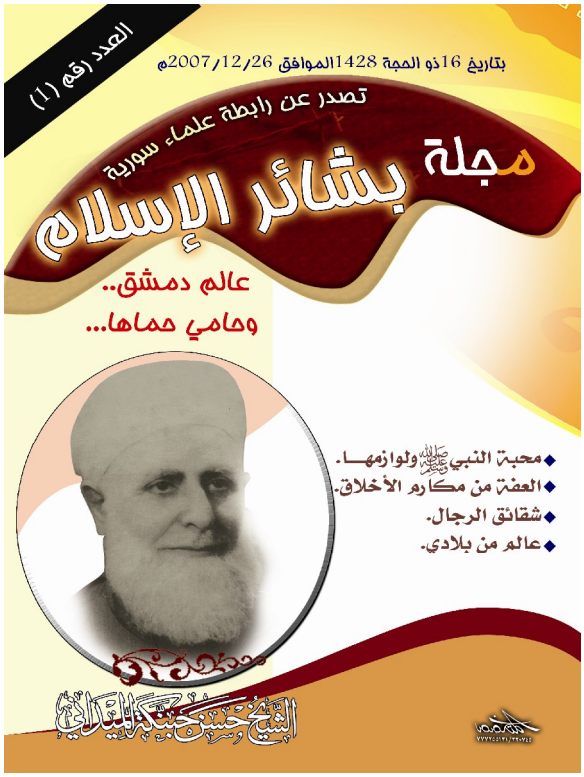

على كتابه ، والاستقامة على هديه، والاتباع لسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم .... وأن يردنا إلى ديارنا أعزة...

كما أهيب وأناشد كافة إخوتنا العلماء أن يسهموا في الكتابة لهذه المجلة، ولموقع الرابطة.

والضراعة إلى الله العلي القدير أن يوفق الإخوة هيئة التحرير إلى إخراج الأعداد التالية من المجلة مطبوعة حتى يعم خيرها وينتشر فكرها، والشكر لكل الإخوة الذين كتبوا في هذا العدد وما قبله. وللذين شاركوا في إخراجها بهذا الشكل الجميل . وتقبل الله منا ومنهم صالح الأعمال.

الأمين العام

لرابطة علماء سورية المستقلة

/رمضان/١٤٢٩هـ

٢٠٠٨/٩/٧م

الحياة مع نسائم إعجاز القرآن نعمة مباركة لا يعرفها إلا من تنسّمها وعاش في رحابها ..

نعمة هادية توصل الإنسان إلى منهج الله الذي أمر به البشرية لتحيا بسعادة في عالمي الـــدنيا

والآخرة .. نعمة دقيقة سامية فيها الدليل على أن القرآن من عند الله العليم الخبير الحكيم.. نعمة ممتنعة عمن طرح العقل والرحمة جانباً وأراد إفساد البشرية وضلالها وشقاءها والإضرار بها .. نعمة تدعو الإنسان إلى القرآن وإلى البعد عن شقاء وظلم الجاهليات الحديثة في ازدرائها لحقوق الإنسان وحرمانه من تقرير مصيره.. نعمة تدل على التناسق الجميل والانسجام المحكم بين حياة الإنسان في منهج الله تعالى وصنع الكون والحياة والإنسان.. نعمة تدل على أن لا مكان في هذا الوجود للمصادفة العمياء ولا للفلتة العارضة فآثار الوحدانية والحكمة والرحمة والكرم والهداية.. تدل على الله الواحد الحكيم الرحيم الكريم الهادي ..

إن إعجاز القرآن هو السبيل إلى المرتكز الإيماني الذي ينطلق على أساسه من آمن بالقرآن لامتثال أوامر الله تعالى في منهجه القرآني ..

لذلك كان علم إعجاز القرآن من أهم العلوم التي ينبغي على المسلم أن يقدمها للبشرية حتى لا تتيه عن طريق الخير ولتتخلص من الشر ..

ومن المهم أن نعلم أن أسماء الله في القرآن هي في براهينها العلمية إعجاز للقرآن الكريم، فالقرآن لم يقتبس من أي كتاب سابق وما قيل عن اقتباسه من التوراة والإنجيل هو خطأ جسيم وقع فيه بعض المستشرقين ولبيان ذلك لا بد لنا من المقارنة مبنية على البديهية في الكتب الثلاثة التوراة والقرآن والإنجيل.

مقارنة الأديان في بعض صفات الله جل جلاله

صفة الله	التوراة والإنجيل الحاليين	القرآن
-الوحدانية	((..لأنه هكذا أحب الله العالم، حتى بذل ابنه الوحيد لكي لايهلك كل من يؤمن به، بل تكون له الحياة الأبدية لأنه لم يرسل الله ابنه إلى العالم ، ليدين العالم، بل ليخلص به العالم)) انجيل يوحنا /١٣/١٥-١٨[1]	((قل هو الله أحد * الله الصمد * لم يلد ولم يولد * ولم يكن له كفواً أحد))سورة الإخلاص. ((وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله ذلك قولهم بأفواههم يضاهئون قول الذين كفروا من قبل قاتلهم الله أنى يؤفكون)) الآية ٣٠ من سورة التوبة
مخالفته	((وإنه لا إله غير الله وحده، فإنا لنا	بين الله تعالى قول المسيح عليه السلام وهو في المهد:

[1] - الوسيط في علم الأديان - النصرانية - (٢/٧٦) .

للحوادث	نحن إله واحداً ، هو الله الأب الذي منه كل شيء، ونحن به ، وربا واحداً ، هو يسوع المسيح الذي كل شيء بيده ، ونحن أيضاً في قبضته)) رومية/١٤/٤[١] . (فخلق الله الإنسان على صورته صورة الله خلقه. ذكر أو أنثى خلقهم) التوراة ـــ سفر التكوين ٢٧/[٢] ويؤكد المعنى نفسه الإصحاح الخامس / ١،٢ كذا سفر أرميا ٢١/٧	((قال إني عبدالله آتاني الكتاب وجعلني نبياً * وجعلني مباركاً أينما كنت وأوصاني بالصلاة والزكاة مادمت حياً * وبراً بوالدتي ولم يجعلني جباراً شقياً * والسلام علي يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حياً)) الآيات ٣٠-٣٣ من سورة مريم . ((ليس كمثله شيء وهو السميع البصير)) الآية من سورة الشورى.
-رحمة الله	((وضرب الرب من أهل بيت شمس لأنهم رأوا تابوت الرب وضرب من الشعب خمسين ألف رجل وسبعين)) التوراة سفر صموئيل الأول ١١/٦[٣] ((وصعد الشعب إلى المدينة ـــ أريحا ـــ وهي أول مدينة في فلسطين اقتحمها يشوع النبي ـــ كل رجل مع وجهه وأخذوا المدينة ، وحرموا كل مافي المدينة من رجل وامرأة ـــ من طفل وشيخ ، حتى البقر والغنم والحمير بحد السيف ، وأحرقوا	((ورحمتي وسعت كل شيء)) الآية ١٥٦ من سورة الأعراف . ((وهو الذي سخر البحر لتأكلوا منه لحماً طرياً وتستخرجوا منه حلية تلبسونها وترى الفلك مواخر فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون* وألقى في الأرض رواسي أن تميد بكم وأنهاراً وسبلاً لعلكم تهتدون* وعلامات وبالنجم هم يهتدون* أفمن يخلق كمن لا يخلق أفلا تذكرون* وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها إن الله لغفور رحيم)) الآيات من ١٤-١٨ من سورة النحل . ((وقل رب اغفر وارحم وأنت خير الراحمين)) الآية

١ ـ الوسيط في علم الأديان ـ النصرانية ـ (٧٦/٢) .

٢ ـ موسوعة الكتاب ـ المقدس ـ التوراة (ص٧) يناقض هذا المعنى في التوراة نفسها بما جاء فيها : (إني أنا الله وليس غيري إلهاً ، وليس لي شبيه) سفر أشعياء ٩/٤٦ ـ الكتاب المقدس في الميزان ـ التوراة ـ للأستاذ الدكتور عابد توفيق الهاشمي (ص٧) .

٣ ـ موسوعة الكتاب المقدس في الميزان تأليف أ.د عابد توفيق الهاشمي (ص١) .

	المدينة بالنار، مع كل ماهما)) التوراة سفر يشوع ٦/٢٠-٢٤[1]- وهكذا تختم المأساة بالحرق الشامل للمدينة ، ثم هجرت إلى الأبد (وحلف يشوع في ذلك الوقت قائلاً : (ملعون قدام الرب الرجل الذي يقوم ويبني هذه المدينة) يشوع ٦/٢٦-٢٧[2].	: ١١٨ من سورة المؤمنون.
-قدرة الله	((لأنه في ستة أيام صنع الرب السماء والأرض وفي اليوم السابع استراح وتنفس)) التوراة سفر الخروج ٣١/١٥-١٨ ومثله في سفر التكوين ٢/٢-٤ [3] ((وكان الرب مع يهوذا ، وورث الجبال ، ولم يستطع أن يستأصل أهل الوادي لأن كانت لهم مراكب كثيرة من حديد)) التوراة سفر القضاة ١/١٩[4]	((ولقد خلقنا السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام وما مسنا من لغوب)) الآية: ٣٨ من سورة ق . ((أولم يروا أن الله الذي خلق السموات والأرض ولم يعيَ بخلقهن بقادر على أن يحيي الموتى)) الآية ٣٣ من سورة الأحقاف . ((إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون)) الآية ٨٢ من سورة يس .
- علم الله	يقول الرب : ((أما الآن فاعزلوا عنكم زينتكم فأعلم ما أفعله بكم)) التوراة سفر التكوين ١٨/٢٠،٢١( ) امتحن الله موسى ليعلم ما في قلبه	((وهو بكل شيء عليم)) الآية ٢٩ من سورة البقرة. ((وعنده مفاتِح الغيب لا يعلمها إلا هو ويعلم ما في البر والبحر وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ولا حبة في ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين)) الآية ٥٩ من سورة الأنعام.

---

(1) الوسيط في علم الأديان (١/١٣٠) لكن تجد في الكتاب المقدس غير هذا المعنى فقد جاء به: ((الرب حنان رحيم طويل الروح ، وكثير الرحمة ، صالح للكل ، ورأفته على جميع خلقه)) التوراة - سفر المزامير / ١٤٥/٩،٨ .

(2) المرجع نفسه (١/١٣٠).

(3) موسوعة الكتاب المقدس في الميزان (ص٩) .

(4) المرجع نفسه (ص١١) .

(5) موسوعة الكتاب المقدس في الميزان (ص١٣).

(6) المرجع نفسه (ص١٣).

	((واذكر كل الطريق الذي ساسك به الرب إلهك أربعين سنة في القفار، ليعذبك ويبتليك ، وبيان كل ما في قلبك، أتحفظ وصاياه أم لا)) التوراة سفر التثنية ٢/٢/[٦].	
-حكمة الله في العدل	((يجازى الأبناء وأبناءهم بإثم آبائهم إلى ثلاثة وأربعة أجيال)) التوراة سفر الخروج ٧/٢٤/ ((أما أولاد الزنا فلا يدخلون في جماعة الرب حتى الجيل العاشر، وإلى الأبد، لا يدخل منهم أحد في جماعة الرب إلى الأبد)) التوراة سفر التثنية ٣/٢٣	((ولا تكسب كل نفس إلا عليها ولا تزر وازرة وزر أخرى)) الآية ١٦٤ من سورة الأنعام . ((وأن ليس للإنسان إلا ما سعى* وأن سعيه سوف يرى* ثم يجزاه الجزاء الأوفى)) الآية (٣٩-٤١) من سورة النجم.
-حكمة الله في حجته في إرسال رسل مبشرين ومنذرين	((فخرج الروح وقام قدام الرب ، وقال: أنا أخدعه ــ والمقصود آخاب ــ فقال له الرب : بماذا؟ قال : أنا أخرج فأكون روح ضلالة في أفواه جميع أنبيائه . فقال له الرب : تخدع وتقدر على ذلك؟ اخرج وافعل والآن قد جعل الرب روح ضلالة في أفواه جميع أنبيائك ، وكانوا نحو أربعمائة نبي)) التوراة سفر الملوك الأول ٢٢/١٩-٢٤/[١]	((إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده وأوحينا إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وعيسى وأيوب ويونس وهارون وسليمان وآتينا داود زبوراً. ورسلاً قد قصصناهم عليك من قبل ورسلاً لم نقصصهم عليك وكلم الله موسى تكليماً . رسلاً مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وكان الله عزيزاً حكيماً)) الآيات (١٦٣-١٦٥)من سورة النساء .

(١) بما أن بحثنا هذا ليس بحثا لمقارنة الأديان بشكل شامل فلن أبين المقارنة في كل صفات الله وأسمائه وأكتفي بما قارنت دون تعليق.

ولست أمام هذه المقارنات أريد أن أبحث في أي نقد مباشر؛ ولكن أريد أن يعلم القارئ أي قارئ أن القرآن لم يؤخذ من التوراة والإنجيل من خلال نظرة سريعة لهذه المقارنات..مما يسقط قول بعض المستشرقين بالخطأ الكبير في قولهم إن عقيدة القرآن مقتبسة من التوراة والإنجيل. فلقولهم هذا خطر يرده إعجاز القرآن وخاصة في العقيدة القرآنية كلها.

فلم تكن العقيدة عند الرومان شمال الجزيرة العربية تماثل العقيدة الإسلامية، وأما جزيرة العرب فقد كانت وثنية وقليل منهم يتبع الديانة المسيحية أو اليهودية التي أخضعنا كتابيهما الدينيين للمقارنة مع بعض مفردات العقيدة الإسلامية وأما الفرس الذين كانوا في العراق وفي إيران فقد كانوا عباد نار فلو قارنا العقيدة الإسلامية مع الوثنية في جزيرة العرب (عبادة الأصنام) ومع الديانة الزردشتية في العراق وإيران (عبادة النار) للاحظنا أن العقيدة الإسلامية تعد أن عبادة الأصنام وعبادة النار شرك وخروج عن العقيدة الإسلامية التي تقول (لا إله إلا الله).

مقارنتنا في بحثنا إعجاز القرآن وأسماء الله الحسنى : كنا قد أثبتنا إعجاز القرآن بأسماء الله الحسنى علمياً وذلك لأن العقيدة الإلهية في القرآن تنسجم في أساسها مع النظرة الحرة التأملية العلمية الحديثة إلى الكون والحياة والإنسان ، بينما جميع العقائد في الجزيرة العربية وما يحيط بها لا تنسجم مع النظرة هذه.

وبينا في كتابنا إعجاز القرآن وأسماء الله الحسنى أن الانسجام بين أساس عقيدة القرآن والنظرة العلمية الحديثة التأملية إلى الكون والحياة والإنسان نتج عنه أن آثار الوحدانية في الكون والحياة والإنسان تدل على الله الواحد في العلم الحديث وكذلك في القرآن ، كذلك آثار الرحمة تدل على الرحمن الرحيم وآثار الحكمة تدل على الحكيم وآثار الحفظ تدل على الحفيظ وآثار الكرم تدل على الكريم وآثار الإحياء تدل على المحيي وآثار الهداية تدل على الهادي ، كل ذلك في أبحاث علمية نتج عنها التطابق ما بين القرآن والعلم الحديث في أساس العقيدة الإلهية، وهذا ما انفردت به العقيدة الإلهية الإسلامية عن العقائد الأخرى ، وبهذا ثبت إعجاز القرآن في صفات الله وأسمائه أي في العقيدة الإلهية الإسلامية ، وإذا كان الإعجاز هو الفوت والسبق فقد فات ما بالعقيدة الإلهية الإسلامية كل العقائد الأخرى أيام الرسول ﷺ ، وسبق القرآن في موافقة العلم الحديث له في نظرته التأملية لأساس العقيدة الإلهية القرآنية فقط ، وبذلك ثبت إعجاز القرآن في العقيدة الإلهية ، قلت كل ذلك ولم أكن على علم بما كتب الأستاذ عباس محمود العقاد الذي اطلعت مؤخراً على ما بينه في إعجاز العقيدة الإلهية الإسلامية لا بالنسبة إلى العلم الحديث بل

بالنسبة إلى العقل والبديهة بمكانتها بالنسبة إلى العقائد العالمية الأخرى .

إن مدرسة الأستاذ: عباس محمود العقاد في مقارنته العقيدة الإسلامية بغيرها تثبت إعجاز هذه العقيدة القرآنية فهو يعدها معجزة المعجزات... وأعظم المعجزات...والمعجزة العليا... وذلك في كتابه حقائق الإسلام وأباطيل خصومه (ص: ٤٩٠وما بعدها)، ومقارنة العقاد كانت فيما بين العقيدة الإسلامية من جهة والعقائد العالمية الأخرى لا على أساس العلم الحديث ولكن بحكم البديهة والعقل، ولقد أبدع العقاد في ذلك وذكرت تفاصيل أقواله بالمقارنة في كتابي (كتاب الله في إعجازه يتجلى) الموجود على موقعي على الإنترنت.

وأما في هذا المبحث فسنبحث اسم الله الحكيم في العلم الحديث ثم في علم القرآن الكريم دراسة مقارنة في نتائجها ليرى القارئ أن القرآن قد سبق في بيان صفة الحكمة عند الله سبحانه وتعالى.

تعريف الحكمة:

الحكمة هي العلم بحقائق الأشياء والعمل بمقتضاها ولهذا انقسمت إلى علمية وعملية ، وقيل : الحكمة إصابة الحق بالعلم والعمل ، فالحكمة من الله علمه بالأشياء وإيجادها على غاية الإحكام[١].

آثار الحكمة تدل على الحكيم في العلم الحديث...

لا شك أن آثار الحكمة التي تدل على الحكيم واضحة في كل مخلوق في هذا الكون وكذلك في علاقة كثير من هذه المخلوقات مع بعضها في أصل خلقها دون أن تعبث بها يد إنسان ، فمن ذلك ما أشار له **الدكتور فرانك ألن**[٢] عالم الطبيعة البيولوجية إذ قال : (وأما الأرض اليابسة فهي بيئة ثابتة لحياة كثير من الكائنات الأرضية، فالتربة تحتوي العناصر التي يمتصها النبات، ويمثلها ويحولها إلى أنواع مختلفة من الطعام يفتقر إليها الحيوان، ويوجد كثير من المعادن والفنون قريبة من سطح الأرض، مما هيأ السبيل لقيام الحضارة الراهنة ونشأة كثير من الصناعات والفنون **وعلى ذلك فإن الأرض مهيأة على أحسن صورة للحياة ولا شك أن كل هذا من تيسير حكيم خبير.**

ولو كانت الأرض في حجم الشمس مع احتفاظها بكثافتها لتضاعفت جاذبيتها للأجسام التي عليها ١٥٠ ضعفاً ، ولنقص ارتفاع الغلاف الجوي إلى أربعة أميال ولأصبح تبخر الماء مستحيلاً ، ولارتفع الضغط الجوي إلى ما يزيد على ١٥٠ جراماً على السنتيمتر المربع ، ولوصل وزن الحيوان الذي يزن حالياً رطلاً واحداً إلى ١٥٠ رطلاً ، ولتضاءل حجم الإنسان حتى صار في حجم ابن عرس أو السنجاب ولتعذرت الحياة الفكرية لمثل هذه المخلوقات .

ولو أزيحت الأرض إلى ضعف بعدها الحالي عن الشمس لنقصت كمية الحرارة التي نتلقاها من الشمس إلى ربع كميتها الحالية ، وقطعت الأرض دورتها حول الشمس في وقت أطول ، وتضاعف تبعاً لذلك طول فصل

(١) معجم تاج العروس مادة (حكم) باختصار .

(٢) ماجستير ودكتوراه من جامعة كورنل أستاذ الطبيعة الحيوية بجامعة مانيتوبا بكندا مختص في أبصار الألوان والبصريات الفسيولوجية وإنتاج الهواء السائل وحائز على وسام نوري الذهبي للجمعية الملكية بكندا - انظر الله يتجلى في عصر العلم (ص:١٣) .

الشتاء وتجمدت الكائنات الحية على سطح الأرض .

ولو نقصت المسافة بين الأرض والشمس إلى نصف ما هي عليه الآن لبلغت الحرارة التي تتلقاها الأرض أربعة أمثال ، وتضاعفت سرعتها المدارية حول الشمس ، ولآلت الفصول إلى نصف طولها الحالي إذا كانت هناك فصول مطلقاً ولصارت الحياة على سطح الأرض غير ممكنة .

وعلى ذلك فإن الأرض بحجمها وبعدها الحاليين عن الشمس وسرعتها في مدارها تهيئ للإنسان أسباب الحياة والاستمتاع بها في صورها المادية والفكرية والروحية على النحو الذي نشاهده اليوم في حياتنا .

فإذا لم تكن الحياة قد نشأت بحكمة وتصميم سابق فلا بد أن تكون قد نشأت عن طريق المصادفة ، فما تلك المصادفة إذن حتى نتدبرها ونرى كيف تخلق الحياة ؟ إن نظريات المصادفة والاحتمال لها الآن من الأسس الرياضية السليمة ما يجعلها تطبق على نطاق واسع حيثما إنعدم الحكم الصحيح المطلق، وتضع هذه النظريات أمامنا الحكم الأقرب إلى الصواب مع تقدير احتمال الخطأ في هذا الحكم .

ولقد تقدمت دراسة نظرية المصادفة والاحتمال من الوجهة الرياضية تقدماً كبيراً، حتى أصبحنا قادرين على التنبؤ بحدوث بعض الظواهر التي نقول إنها تحدث بالمصادفة والتي لا نستطيع أن نفسر ظهورها بطريقة أخرى مثل (قذف الزهر في لعبة النرد) ، وقد صرنا بفضل تقدم هذه الدراسات قادرين على التمييز بين ما يمكن أن يحدث بطريق المصادفة وما يستحيل حدوثه بهذه الطريقة، وأن نحسب احتمال حدوث ظاهرة من الظواهر في مدى معين من الزمان، ولْننظر الآن إلى مدى ما تستطيع أن تلعبه المصادفة في نشأة الحياة .

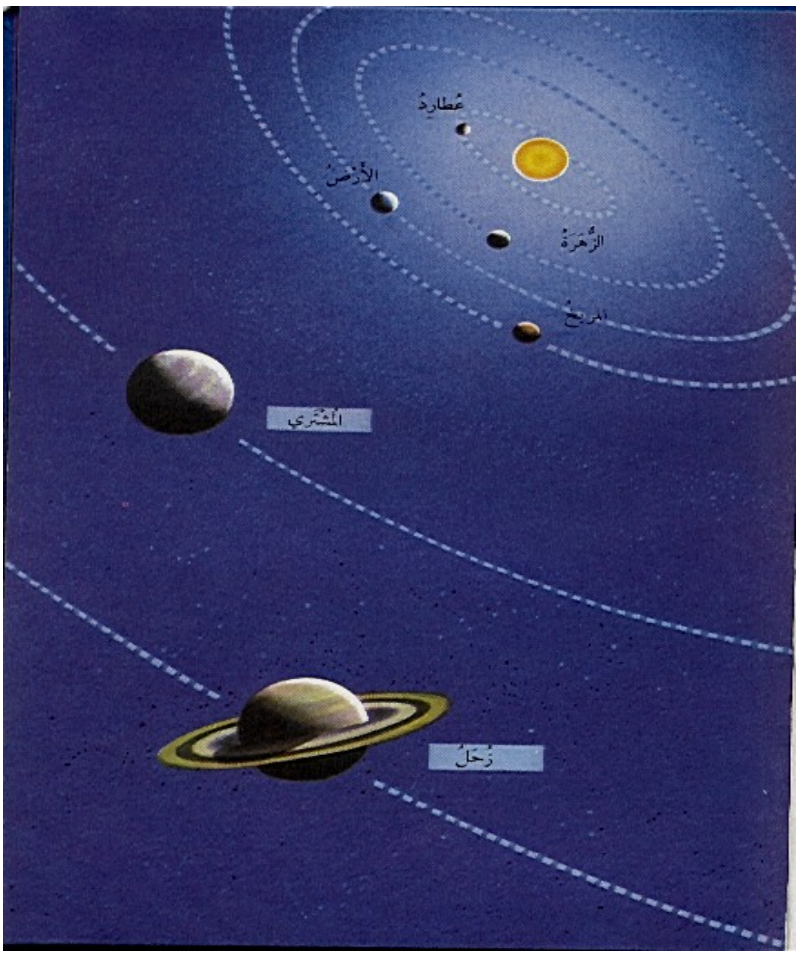

صورة قسم من المجموعة الشمسية مع الشمس
المصدر: كتاب السماء في الليل، تأليف الدكتورة: ماري ت.بروك (المرصد – الملكي - بريطانيا – أدنبره) (ص٧).

إن البروتينات من المركبات الأساسية في جميع الخلايا الحية وهي تتكون من خمسة عناصر هي : الكربون والأيدروجين والنيتروجين والأوكسجين والكبريت، ويبلغ عدد الذرات في الجزيء البروتيني الواحد /٤٠٠٠٠/ ذرة ولما كان عدد العناصر الكيماوية في الطبيعة ٩٣ عنصراً موزعة كلها توزيعاً عشوائياً، فإن احتمال اجتماع هذه العناصر الخمسة لكي تكون جزيئاً من جزيئات البروتين يمكن حسابه لمعرفة كمية المادة التي ينبغي أن تخلط خلطاً مستمراً لكي تؤلف هذا الجزيء ، ثم لمعرفة طول الفترة الزمنية اللازمة لكي يحدث هذا الاجتماع بين ذرات الجزيء الواحد .

وقد قام العالم الرياضي السويسري تشارلز يوجين جاي بحساب هذه العوامل جميعاً ، فوجد أن الفرصة لا تتهيأ عن طريق المصادفة لتكوين جزيء بروتين واحد إلا بنسبة إلى ١٠ ١٦٠ أي بنسبة ١ إلى رقم ١٠ مضروب في نفسه ١٦٠ مرة وهو رقم لا يمكن النطق به أو التعبير عنه بكلمات وينبغي أن تكون كمية المادة التي تلزم لحدوث هذا التفاعل بالمصادفة بحيث ينتج جزيء واحد أكثر مما يتسع له كل هذا الكون بملايين المرات .

ويتطلب تكوين هذا الجزيء على سطح الأرض وحدها عن طريق المصادفة بلايين لا تحصى من السنوات قدرها العالم السويسري بأنها عشرة مضروبة في نفسها ٢٤٣ مرة من السنين (١٠ ٢٤٣ سنة) .

إن البروتينات تتكون من سلاسل طويلة من الأحماض الأمينية فكيف تتألف ذرات هذه الجزيئات ؟ إنها إذاً تتآلف بطريقة أخرى غير التي تتآلف بها فتصير غير صالحة للحياة ، بل تصير في بعض الأحيان سموماً ، ولقد حسب العالم الإنجليزي ج.ب. ليثز J.B.Leathes الطرق التي يمكن أن تتآلف بها الذرات في أحد الجزيئات البسيطة من البروتينات فوجد أن عددها يبلغ بلايين (١٠ ٤٨) .

وعلى ذلك فإنه من المحال عقلاً أن تتآلف كل هذه المصادفات لكي تبني جزيئاً بروتينياً واحداً .

ولكن البروتينات ليست إلا مواد كيماوية عديمة الحياة ولا تدب فيها الحياة إلا عندما يحل فيها ذلك السر العجيب الذي لا ندري من كنهه شيئاً))[1].

إذا كان من المحال عقلاً أن يتكون جزيء بروتيني مصادفة فكيف بالبروتينات كلها ؟؟!! وكيف بخلق الإنسان والحيوان والنبات والجراثيم والفيروسات ؟؟!!

لا شك أنه تدبير الحكيم جل جلاله .

آلية الرحم عند الولادة: ولندع الآن النظر في آفاق الكون ولننظر في أنفسنا نحن البشر قال تعالى : **(وفي أنفسكم أفلا تبصرون)**[1] لننظر إلى عمل رحم كل امرأة وما يحدث فيه عند الولادة في إحكام ودقة عجيبة وفي هندسة رائعة وتصميم بديع يقول الدكتور مأمون شقفة عن هذا الرحم : ((يبدأ المخاض إذن بتقلصات خفيفة وهي تستمر حوالي ثانية وتحصل كل ١٠-١٥ دقيقة ، ثم إنها تشتد وتتقارب بالتدريج حتى إن تقلصات المرحلة الثانية من المخاض قد تستمر دقيقة أو أكثر وقد لا تكون الفواصل بينهما أكثر من دقيقة أو دقيقتين .

(١) الله يتجلى في عصر العلم (١٣،١٤،١٥) .
(١) الاية ٢١ من سورة الذاريات.

فلماذا يتقلص الرحم ولماذا يرتخي ؟

أثناء التقلص ينقبض الرحم على محتواه من كل الاتجاهات انقباضاً حصيلته قوة تتجه باتجاه عنق الرحم ومحور الحوض ، فكيف حسب هذا الاتجاه أثناء ترتيب ألياف الطبقة الشبكية في جدار الرحم وهي تتخلق وتتشبك؟ وكيف تتوزع سيالة التقلص على الجدران بحيث يندفع الجنين بالاتجاه الصحيح ؟

هندسة رائعة، وتصميم بديع...

وكذلك فإن الرحم يتبع كل تقلص بارتخاء ولو استمر على التقلص لمات الجنين على الفور من انقطاع الأوكسجين عنه فمن المعلوم أن التقلص يغلق العروق التي تأتي بدم الحامل إلى المشيمة، وتعود به منها، والجنين لا يتحمل نقص الأوكسجين أكثر من بضع دقائق، ودماغ الجنين من أكثر أعضائه حساسية لنقص الأوكسجين الذي يتسبب بتأخر النمو العقلي في المستقبل إن لم يقتل الجنين في الحال، ولذلك فلا بد للرحم أن يتبع كل تقلص بارتخاء يسمح للجنين ودماغه بالاستراحة من أثر التقلص.

ليس هذا فقط بل إن الرحم إذا تكرر واستمر على التقلص لسبب ما كما لو حرضناه أكثر من اللازم فإن الضغط في داخله يرتفع بشدة ، وقد تتمزق قطعته السفلية الرقيقة، وهي التي تقوم أثناء المخاض بجر حواف عنق الرحم للأعلى وفتحه تدريجياً، وهذا النوع من التمزق كثيراً ما يحصل وسببه عدم حساب كمية المحرض بدقة.

وهكذا نرى أن الرحم يتصرف بشكل يحافظ على سلامة الأم والجنين، بل وعلى مستقبله في المدارس أيضاً !!!

والرحم الذي استمر على إتباع كل تقلص بارتخاء ينقبض فور الولادة ، فلا يرتخي أبداً ، ولو ارتخى كعادته في هذا الوقت لماتت كل النساء من الترف ، فهذا الانقباض الفوري والشديد ضروري جداً جداً لمنع الترف، حيث إن جدار الرحم يكون كالإسفنجة الممتلئة بالدم ، ولا بد من الضغط الشديد على العروق الضخمة المفتوحة على جوفه لإغلاقها .

ولا أستطيع أن أتذكر كيف تكون حالنا حين يرفض الرحم أن ينقبض بعد الولادة ونادراً ما يرفض ، فيفزع كل من في جناح المخاض ونسرع إلى تمسيد الرحم وإعطاء العقاقير التي تحثه على الانقباض وإعطاء الدم للتعويض عن الترف الشديد ، فإن لم يستجب الرحم لهذا كله حكمنا عليه بالإعدام السريع ، وقمنا باستئصاله لإنقاذ المريضة من موت محقق ولكن هذا نادر جداً فقد اضطررت مرة واحدة خلال ربع قرن لاستئصال الرحم لترف تالٍ للولادة دون سبب ظاهر.

وهذا غيض من فيض وأمثلة فقط على القدرات والكفاءات التي خص الله تعالى بها هذا الرحم العجيب أثناء الحمل (القرار المكين) وأثناء الولادة (الأجل المسمى) قدرات وكفاءات إذا تعطلت إحداها كاد الطب بكل تطوره وتقدمه يقف عاجزاً عن العمل فتبارك الخلاق العظيم[1].

(١) انظر القرار المكين (ص:٨٥) .

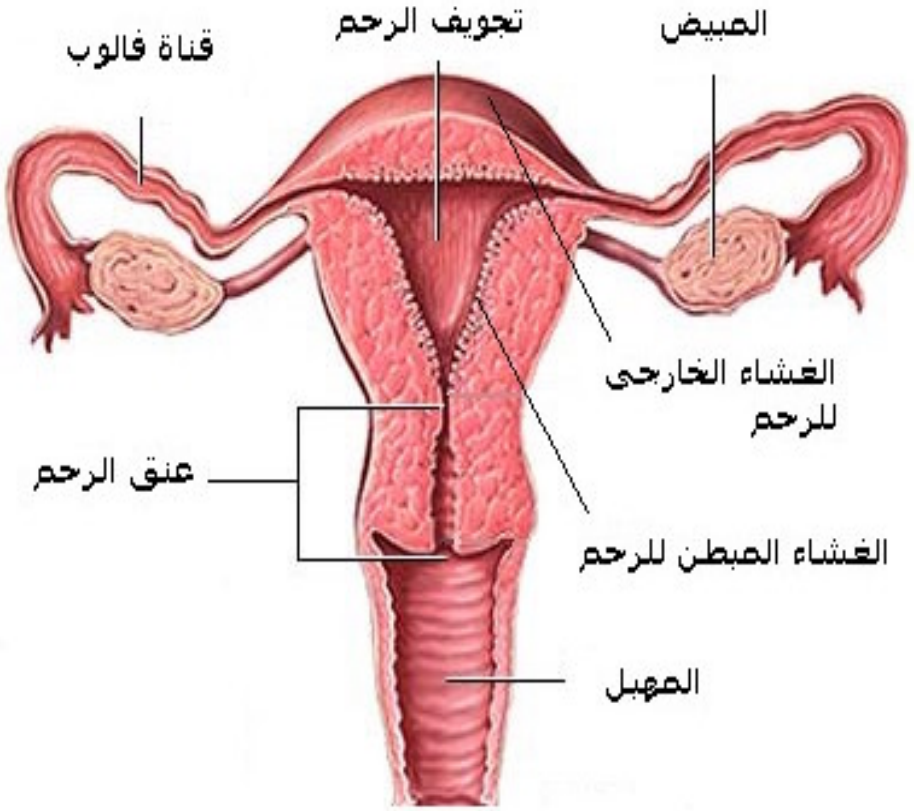

الحساب الدقيق في تقلصات العضلة الرحمية بحيث تتجه حصيلة التقلص الى فوهة عنق الرحم بالضبط.

سبحان الله العظيم

عقوبة استحقها ملحد...

إن كل عضو في جسم الإنسان يوجد في مكانه المناسب بحيث يتحقق أمران أحدهما: القيام بوظيفة العضو. والثاني : الجمال بانسجام العضو مع الأعضاء الأخرى منظراً، وكلما تحقق هذا الانسجام بنسبة أكبر كان الجمال أروع .

وقف الأستاذ يشرح ذلك للطلاب في أحد الصفوف في المدرسة فقال أحد الطلبة الملحدين : نحن تعودنا هذا فرأينا الإنسان جميلاً فالأمر عادة أَلِفناها.

قال الأستاذ للطالب : تصور أن فمك في مكان دبرك ودبرك في مكان فمك فما رأيك ؟!! فضحك الطلاب بصوت مرتفع من ذلك الطالب الذي لم يدرك حكمة الله جل جلاله فمكان الطعام والفاكهة و... تحت الأنف الذي يشم رائحة الطعام والفاكهة ... فيحرص على كثرة عصارات المعدة ... أما مكان خروج الروائح الكريهة والأصوات المؤذية .. والمناظر البشعة ..

ففي أبعد مكان عن الجذع وفي أبعد مكان عن العين والأنف والأذن .

وصدق الله العظيم : (**لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم**)[1] فما من عضو في الإنسان إلا وهو في مكانه المناسب في حكمة وإحكام فتبارك الله أحسن الخالقين .

طرفة:

حُكي أن جحا[2] قعد يوماً تحت شجرة جوز ضخمة سامقة، وقال : يا رب خلقت الجوزة صغيرة، فلو كانت كبيرة بحجم (البطيخة) لكان ذلك ألذ لنا وأشبع فما حكمتك يا رب ؟

(١) الاية ٤ من سورة التين.

(٢) يستحيل أن تصدر النوادر المنسوبة إلى جحا عن شخص واحد لأن بعضها يتحدث عن أناس في صدر الإسلام، وبعضها يتحدث عن أناس في عهد المنصور العباسي أو عصر تيمورلنك أو ما بعده من العصور والأجيال ، وربما قيل عن جحا : إنه نصر الدين التركي، وقيل عنه : إنه أبو الغصن العربي الفزاري ، وقيل عنه : إنه من النوكي جمع أنوك - وهو الأحمق الناقص العقل الهاكعين-الوضيعين الحقيرين- كما يقال عنه : أنه من أصحاب الحالات والكرامات من المتسترين بالولاية وهم يجهرون بالهذر والبلاهة .-انظر كتاب جحا الضاحك المضحك لعباس محمود العقاد (ص:٩٦،٩٧) باختصار - ولا مانع أن يكون هناك عدة أشخاص كل شخص منهم باسم جحا ، ولا يترتب على هذا كبير أهمية ؛ ولكن النادرة تحتاج إلى ذكاء وفطنة في كثير من الأحيان وهذا الذي قصدناه فيما ذكرنا .

فهوت جوزة من أعلى الشجرة فأصابت رأس جحا فآلمته فصاح : تباركتَ يا أحكم الحاكمين فلو كانت في حجم (البطيخة) لتهشم رأسي .

آثار الحكمة تدل على الله الحكيم في القرآن الحكيم...

قال الله تعالى : (**والأرض مددناها وألقينا فيها رواسي وأنبتنا فيها من كل شيء موزون ¤ وجعلنا لكم فيها معايش ومن لستم له برازقين ¤ وإن من شيء إلا عندنا خزائنه وما ننزله إلا بقدر معلوم ¤ وأرسلنا الرياح لواقح فأنزلنا من السماء ماءً فأسقيناكموه وما أنتم له بخازنين**)[1].

التفسير: قال الآلوسي المتوفى سنة ١٢٧٠هـ رحمه الله (**والأرض مددناها**) بسطناها والظاهر أن المراد بسطها وتوسعتها ليحصل بها الانتفاع لمن حلها، ولا يلزم من ذلك نفي كرويتها كما أن الكرة العظيمة لعظمها ترى كالسطح المستوي (**وألقينا فيها رواسي**) أي جبالاً ثوابت جمع راسية .

وأما حكمة هذا الإلقاء للرواسي فقد بيّنه قوله تعالى : (**وألقى في الأرض رواسي أن تميد بكم**)[2] أي كراهة أن تميد أو لئلا تميد، والميد اضطراب الشيء العظيم ووجه كون الإلقاء مانعاً عن اضطراب الأرض بأنها كسفينة على وجه الماء والسفينة إذا لم يكن فيها أجرام ثقيلة تضطرب وتميل من جانب إلى جانب آخر بأدنى شيء[3] (**وأنبتنا فيها من كل شيء موزون**) أي مقدر بمقدار معين تقتضيه الحكمة فهو مجاز مستعمل في لازم معناه أو كناية ، أو

(١) الاية ١٩-٢٢ من سورة الحجر.

(٢) الاية ١٥ من سورة النحل.

(٣) انظر تفسير الآلوسي (١٤/١١٤)

من كل شيء مستحسن متناسب من قولهم : كلام موزون وأنشد المرتضى في درره بهذا المعنى قول عمر بن أبي ربيعة:

وحديث ألذه هو مما

تشتهيه النفوس يوزن وزنا[1]

(وجعلنا لكم فيها معايش) ما تعيشون به من المطاعم والمشارب والملابس وغيرها مما يتعلق به البقاء **(ومن لستم له برازقين)** أي وجعلنا لكم معايش ولمن لستم له برازقين **(وإن من شيء إلا عندنا خزائنه)** والخزائن جمع خزانة ولا تفتح وهي اسم للمكان الذي يحفظ فيه نفائس الأموال لا غير ، شبهت مقدوراته تعالى الغائبة المندرجة تحت قدرته الشاملة في كونها مستورة عن عيون العالمين ومصونة عن وصول أيديهم مع وفور رغبتهم فيها وكونها متهيأة متأتية لإيجاده وتكوينه بحيث متى تعلقت الإرادة بوجودها وجدت بلا تأخر بنفائس[2] الأموال المخزونة في الخزائن السلطانية، فذكر الخزائن على طريقة الاستعارة التخيلية **(وما نتزله إلا بقدر معلوم)** أي إلا ملتبساً بمقدار معين تقتضيه الحكمة وتستدعيه المشيئة التابعة لها من بين المقدورات غير المتناهية ، فإن تخصيص كل شيء بصفة معينة بقدر معين ووقت محدود دونما عدا ذلك مع استواء الكل في الأشكال وصحة تعلق القدرة به لا بد له من حكمة تقتضي اختصاص كل من ذلك بما اختص به[1].

(وأرسلنا الرياح لواقح)[2] قال أبو عبيدة[3]: مجازها مجاز ملاقح لأن الريح ملقحة للسحاب ، والعرب قد تفعل هذا فتلقي الميم لأنها تعيده إلى أصل الكلام .

كقول نهشل بن حرِّيّ[4] يرثي أخاه :

لِيُبْكَ يزيد بائس لضراعة

وأشعث ممن طوحته الطوائح[5]

وقال الآلوسي : "المراد ملقحات للسحاب أو الشجر[6]" لكن حَمْل ذلك على السحب أقوى لسياق النص لقوله تعالى بعد ذلك: **(فأنزلنا من السماء ماء فأسقيناكموه وما أنتم له بخازنين)** فإنما ينزل المطر من

---

(١) جاء البيت بلا نسبة لشاعر في أمالي أبي علي القالي (٥/١) ولكن جاء أيضاً بهذا اللفظ :

وحديث ألذه هو مما

يَنْعَتُ الناعتون يوزنُ وَزْنا

وذلك في لسان العرب وتاج العروس مادة (لحن) ، والنسبة في اللسان لمالك بن أسماء الفزاري وفي التاج لأسماء الفزاري ، ولم أجد البيت في ديوان عمر بن أبي ربيعة الذي جمعه احمد اكرم الطباع بطبعة دار القلم ببيروت..

(٢) أي شبهت بنفائس فـ(بنفائس) جار ومجرور متعلقان بشبهت.

(١) انظر تفسير الآلوسي (١٤:٢٨-٣٠) باختصار.

(٢) الاية ٢٢ سورة الحجر.

(٣) أبو عبيدة : هو معمر بن المثنى التيمي البصري النحوي كان من أعلم الناس باللغة له كتب كثيرة منها : مجاز القرآن ، وغريب القرآن ، ومعاني القرآن ، توفي سنة ٢٠٩هـ انظر معجم الأدباء (٢٠:١٥٤) ووفيات الأعيان (٥:٢٣٥).

(٤) هو نهشل بن حرِّيّ بن ضمرة التميمي شاعر مخضرم عاش إلى أيام الأمويين ، وهو أب لشاعر وابن لشاعر ، عده ابن سلام من الطبقة الرابعة من طبقات فحول الشعراء . - انظر الشعر والشعراء لابن قتيبة (ص:٤٠٤)، وطبقات فحول الشعراء (٥٨٣/٢) ، ومعجم الشعراء (ص:٢٧٢).
والبيت بهذه النسبة لنهشل في خزانة الأدب (٣٠٣/١) .

(٥) انظر مجاز القرآن لأبي عبيدة (١:٣٤٨) باختصار. والبيت منسوب إلى غير واحد من الشعراء لكن رجح البغدادي في خزانة الأدب نسبته إلى نهشل - انظر خزانة الأدب (٣٠٣/١).

(٦) انظر تفسير الآلوسي (٤:٣١) .

السحاب الملقح لقد بينت الآيات السابقة حِكَماً كثيرة تدل على الله سبحانه وتعالى.

فمد الأرض وإلقاء الجبال فيها رواسي من حكمة الله .

وإنبات كل شيء موزون من حكمة الله .

وجعل معايش للإنسان ولمن لم يرزق الإنسان من حكمة الله .

ما يترله الله بمقدار معين بتخصيص كل شيء بصفة معينة وقدر معين ووقت محدود هو من حكمة الله .

وإرسال الرياح لواقح للسحب من حكمة الله .

وهذا الأسلوب العلمي المبسط الذي يعرضه القرآن الكريم يصل بالإنسان إلى نتيجة هي أن الله حكيم، وهي نفس النتيجة التي توصلنا إليها عن طريق البحث العلمي الحديث، فهذا هو الإعجاز لهذه الآية الكريمة إذ دلت على حكمة الله جل جلاله .

لقد وصف الله نفسه باسم الحكيم أكثر من ثلاث وسبعين مرة في القران الكريم منها قوله تعالى: **(الر كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير)**[1] وقوله تعالى: **(وما من إله إلا الله وإن الله لهو العزيز الحكيم)**[2].

ونريد هنا أن نذكر آية أخرى تبين دور الجبال في الأرض إضافة إلى الآية رقم ١٩ من سورة الحجر والآية ١٥ من سورة النحل وهي قوله تعالى في سورة النبأ: **(ألم نجعل الأرض مهادا والجبال أوتادا)**[3] فنلحظ من خلال الآيات الثلاثة أن هناك دوراً للجبال معيناً أيده العلم الحديث وهذا من الإعجاز العلمي في هذه الآيات إضافة إلى الإعجاز الذي ذكرناه.

فإذا ذهبنا إلى التطبيق الجغرافي لما جاء في هذه المفاهيم نجد إعجازاً لا يملك المرء إلا الركوع خشية لله وإيماناً به وإدراكاً لقدرته وتصديقاً لرسوله وقرآنه .

فقد أكد العلم الحديث ما كشف عنه القرآن قبل ألف وأربعمائة عام تقريباً، وذلك عن امتدادات جذور الجبال تحت قارات القشرة الأرضية، فمثلاً وجد بالبحث العلمي أن سمْك القشرة الأرضية تحت القارات كم وتتخذ شكل الأوتاد ووظيفة الأوتاد، فالجبال مساكات للقارات في الصخور السائلة التي توجد تحت القشرة الصلبة الأرضية ولولا جذور هذه الجبال لطفت القشرة وسبحت فوق صخور الباطن SIMA اللينة ، ولا نعدم توازنها وثباتها فوقها وقد عُرِفَت هذه الحقائق عن طبيعة الجبال ووظيفتها سنة ١٩٥٦م فقط أي بعد إشارة القرآن إليها بحوالي ١٣٧٦سنة .

ولولا انغراس الجبال في مواد السيما لتحركت الجبال والقارات من أماكنها نظراً لضآلة كثافتهما، ولو طفت القارات وسبحت لاضطربت الأرض تحت أقدامنا ولاهتزت بنا ومادت[1].

وهذا الكلام الأخير ينطبق على ما نقلنا من تفسير الآلوسي أن إلقاء الجبال كان مانعاً من اضطراب الأرض بأنها كسفينة على وجه الماء والسفينة إذا لم يكن فيها أجرام ثقيلة تضطرب .

---

(١) الاية ١ من سورة هود.
(٢) الاية ٦٢ من سورة آل عمران.
(٣) الاية ٦-٧ من سورة النبأ.

(١) انظر الظواهر الجغرافية بين العلم والقرآن (ص:٣١) .

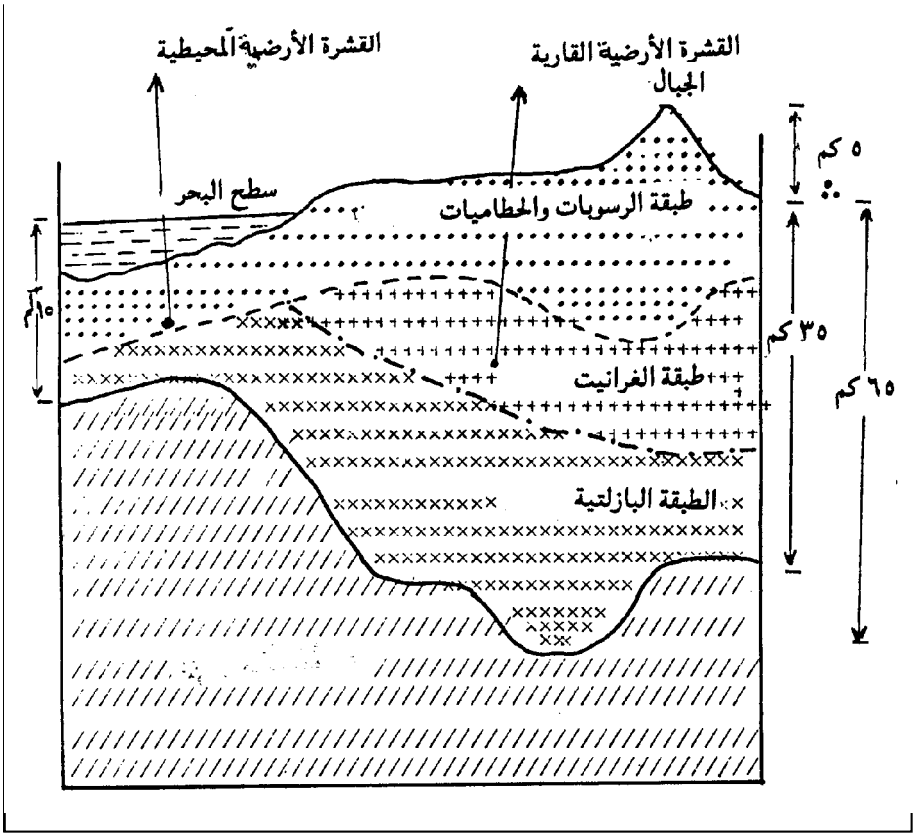

التعليق: الشكل يمثل الاقسام الرئيسية للقشرة الارضية وذلك حسب معطيات كاولا، ١٩٧١ – صدق الله العظيم **(والجبال أوتادا)**.

- **المصدر:** كتاب محمود مصطفى ص١١٩

ترى من أين هذا العلم الدقيق عن طبيعة الأرض ودور الجبال فيها وذلك قبل ١٤٠٠ سنة تقريباً أي قبل قول علماء العصر الحديث ذلك ؟ لا شك أنه وحي من الله أوحى به إلى نبيه وصدق الله العظيم حيث قال : **(وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى)**[١].

ونريد أن نشير هنا إلى إعجاز علمي آخر لفت النظر إليه العلم الحديث وذلك في قوله تعالى في الآيات السابقة: **(وأرسلنا الرياح لواقح فأنزلنا من السماء ماءً فأسقيناكموه)**[٢].

إذ لا يكفي لتكوين السحب ونزول المطر أن يبرد الهواء المشبع ببخار الماء حتى يتكثف... ، وإنما يلزم وجود ((نويات)) –جمع نواة- تبني حولها ذرات الماء المكثفة....، وهذه النويات يحملها الهواء من تراب الشهب السماوي....، وهي ذرات وجزيئات غازية مجهرية تعرف بالأيونات، والمناخ الملائم لتكوينها هي طبقات الجو العليا حيث يحملها الهواء مع ذرات من الغبار الأرضي ويتم تكوينها بفعل الضوء ومسارات أشعة الشمس.....، والكهربية الناتجة عن تلاطم أمواج البحار مع بعضها ومع الشاطئ بالاحتكاك، حيث يحملها الهواء إلى طبقات الجو العليا ويلقح بها السحب فينزل المطر[١] وهذا يدل على إعجاز القرآن بإخباره قبل ١٤٠٠ عام عن تلقيح السحب بالرياح .

(١) الاية ٣-٤ من سورة النجم.

[١] انظر الظواهر الجغرافية بين العلم والقرآن (ص:٢٣) .

معنى اسم الله الحكيم...

الله سبحانه أحكم الحاكمين ، وهو الحكيم له الحكم سبحانه وتعالى قال ابن الأثير: في أسماء الله تعالى الحَكَم والحكيم وهما بمعنى الحاكم وهو القاضي فهو فعيل بمعنى فاعل ، أو هو الذي يحكم الأشياء ويتقنها فهو فعيل بمعنى مُفْعِل وقيل : الحكيم ذو الحكمة ، والحكمة عبارة عن معرفة أفضل الأشياء بأفضل العلوم ويقال لمن يحسن دقائق الصناعات ويتقنها حكيم، والحكيم يجوز أن يكون بمعنى الحاكم مثل قدير بمعنى قادر وعليم بمعنى عالم[٢].

وقال الزجاج[٣]: " حكيم بمعنى محكم والله محكم الأشياء متقن لها كما قال تعالى: **(صنع الله الذي أتقن كل شيء)**[٤].

الثناء الشعري على الله الحكيم...

ما ينبغي أن يتحلى به من اعتقد أن الله حكيم...

- أن يخاف المؤمن عذاب الله تعالى فرأس الحكمة مخافة الله .
- أن يعرف المؤمن صفات الله وأسماءه وكلامه وسنة نبيه وشريعته .
- أن يعتبر المؤمن أن الآيات المحكمات هن أم الكتاب .
- أن لا يطيع الكافرين والمنافقين الذين أنكروا حكمة الله تعالى .
- أن يتقن المؤمن عمله الدنيوي والأخروي .
- أن يأخذ الحكمة من القرآن الحكيم.
- أن يحكم بشريعة الله في كل الأمور .
- على المؤمن أن ينظر إلى الكليات ثم إلى الجزئيات .
- أن يتعظ بغيره فيتجنب أخطاء الآخرين.
- أن يحرص على الشعر الإسلامي والمفيد فإن من الشعر لحكمة .
- أن يفتش عن الحكمة لأنها ضالته .
- أن يدعو لدين الله بحكمة عالية وموعظة حسنة تتناسب واختصاص المدعو وعقله.

---

[٢] انظر لسان العرب مادة (حكم) .
[٣] انظر تفسير أسماء الله الحسنى (ص:٥٢) .
[٤] الاية ٨٨ من سورة النمل.

الـــرســـول ﷺ يخاطبنا عن: محن عصرنا وفتنه

بقلم
أ.د/ غسان حمدون

* تصديق واقعنا المعاصر لهذه الأحاديث يدل على صحة منهـاج أهـل الـسنة فـي تصحيح الحديث.
* الأحاديث الواردة صححها المحدثون المختصون وصدقها الواقع.
* تصديق الواقع لهذه الأحاديث يدل على صدق الصحابة في الرواية عن رسـول الله صلى الله عليه وسلم جميعاً ومنهم عبدالله بن عمرو وحذيفة ابن اليمان وأنس بن مالك وأبو هريرة وعبدالله بن عمر وابن عباس وغيـرهم رضـوان الله علـيهم.

عن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم: **(يوشك أن يغربل الناس غربلة، وتبقى حثالة في الناس قد مرجت عهودهم وأماناتهم وكانوا هكذا، وشبك بين أصابعه، قالوا: فكيف نصنع يا رسول الله إذا كان ذلك؟ قال: تأخذون ما تعرفون، وتذرون ما تنكرون، وتقبلون على خاصتكم، وتدعون عامتكم)** حديث صحيح[1].يغربل الناس غربلة: يقتلون ويطحنون وقيل يُذْهَبُ بخيارهم وتبقى أراذلهم كما يَفْعل من يغربل الطعام بالغربال[2] والمغربل المنتقى (كأنه نقي بالغربال) [3].

الحثالة: الرديء في كل شيء[4]، وحثالة الناس أراذلهم وشرارهم[5].

مرج العهد والأمانة والدين: فسد[6]. وكانوا هكذا وشبك بين أصابعه: أي اختلفوا خلافاً شديداً[7].

الخاصّة: الذي اختصصته لنفسك وسمع ثعلب يقول: إذا ذكر الصالحون فبخاصة أبو بكر، وإذا ذكر الأشراف فبخاصة على[8] -رضي الله عنهما وجمعنا بهما في الفردوس الأعلى- والعامة خلاف الخاصة[9].

يقول الله سبحانه وتعالى: **(أم حسبتم أن تدخلوا الجنة، ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم، مستهم البأساء والضراء وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله؟ ألا إن نصر الله قريب)** [10].

إنها لتجربة عميقة جليلة مرهوبة... إن هذا السؤال من الرسول والذين معه، مِنَ الرسول الموصول بالله، والمؤمنين الذين آمنوا بالله. إن سؤالهم **(متى نصر الله)** ليصور مدى المحنة التي تزلزل مثل هذه القلوب الموصولة. ولن تكون إلا محنة فوق الوصف، تلقي ظلالها على مثل هاتيك القلوب، فتبعث منها ذلك السؤال المكروب: **(متى نصرا الله)** وعندما تثبت القلوب على مثل هذه المحنة المزلزلة.. عندئذ تقم كلمة، ويجيء النصر من الله: **(ألا إن نصر الله قريب)** [11] إن هذه المكروة تحدث في حينها وفي شروطها ولكنها يا أخي في عصرنا أخذت شكلاً أعمق حدث عنه النبي صلى الله عليه وسلم بالغربلة أي بقتل الناس المؤمنين وطحنهم وهذا ما حدث في عصرنا وأكثر ما حدث هذا في حوض البحر الأبيض المتوسط في

(1) أخرجه أحمد (٧٠٢٣/٢٢١/٢) واللفظ بروايته وإسناده صحيح - انظر تعليق الدكتور/ عبدالمعطي أمين القلعجي علي جامع المسانيد والسنن ، لابن كثير. وأبو داود (٤٣٤٢/١٢١/٤) قال أبو داود: هكذا روي عن عبدالله بن عمرو عن النبي صلى الله عليه وسلم، من غير وجه وهو حديث صحيح - أنظر صحيح سنن أبي داود للألباني. وابن ماجة (٣٩٥٧/١٣٠٧/٢) ، والحاكم (٢٦٧١/١٧١/٢) وقال: حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه بهذه السياقة.. والحاكم أيضاً (٨٣٤٠/٤٣٥/٤) وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي.

(2) تاج العروس مادة (غربل)

(3) انظر غاية النهاية في غريب الحديث والأثر (٣٥٢/٣)

(4) انظر غاية النهاية في غريب الحديث والأثر (٣٩٩/١)

(5) انظر تاج العروس مادة (حثل)

(6) انظر تاج العروس مادة (مرج)

(7) بدليل رواية أبي داود الصحيحة كما مر: (... واختلفوا فكانوا هكذا) وشبك بين أصابعه.

(8) انظر تاج العروس مادة (خصص)

(9) انظر تاج العروس مادة (عمم)

(10) الآية ٢١٤ من سورة البقرة.

(11) انظر في ظلال القرآن (٢١٨/١-٢١٩)

البلاد الإسلامية منها مع كل من يمهم أمر الإسلام وانتصاره كمنهج للحياة، فقتل من قتل لا بالعشرات والمئات والآلاف بل بمئات الألوف وسنتكلم عن ذلك كله في الهرج أي القتل الذي تكلم عنه النبي صلى الله عليه وسلم في عصرنا الحديث..

ولست بحاجة للكلام عن الحثالة فكل ذي بصيرة يراها وهي تفسد عهدها مع الله.. وتتنكر لأماناتها على هذه الأمة ، بل تتعاون مع الأجنبي من أعداء الأمة على هذه الأمة لتضليلها ونهب ثرواتها... وقتل وطحن لخواص الأمة الإسلامية.. ولئن كان هذا واضحاً في العالم الإسلامي كله فهو أوضح في حُماةِ الإسلام في حوض المتوسط ومركز الفتنة في الشرق كما حدث النبي صلى الله عليه وسلم وكما سنوضح ذلك..

أما العامة فلقد حرص الظلمة على إضلالهم وإفسادهم وجعلهم كالغنم تسير نحو المذبح ولا تدري...

فما موقفنا منهم؟! الحق أن كثيراً من رواد الدعوة الإسلامية في عصرنا الحديث لم يستطيعوا نجدة عامة الشعب المسلم، وفي حوض المتوسط المسلم بشكل خاص، أصبح ما يلقى فيها غالباً ينبغي أن يمر على مؤسسات غربية ظالمة لتوافق عليه بل هي التي تحدد شكل هذا التوجيه المسموم باسم الإسلام وهو عدو للإسلام...

في هذه الأجواء المظلمة لم يكن على الدعاة إلا أن يقبلوا على الخاصة تعليماً وتربية وولاء.. ولكن الانفراج وعلى مستوى العالم الإسلامي بدأ حيث أسست قنوات فضائية كثيرة لتفسد الأجيال أكثر من فسادها.. ولكن الله سبحانه وتعالى جعل من يتكفل بقنوات فضائية فيها الكثير من الخير الإسلامي للأرواح بالعبادة وللعقول بالعلم النافع وللأجساد بالعمل الصالح...

إن الوصول إلى العامة أصبح شبه مستحيل في كثير من بلدان العالم الإسلامي في ظل الشيوعية تارة والرأسمالية تارة والصليبية والصهيونية المقنعتين مرات أخرى كثيرة... ولكن هذا القيد من فضل الله تعالى بدأ ينكسر وهذا يتطلب منا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر للعامة فالخاصة يمكن أن تتحرك في وسط المجتمع الجاهلي بانتقاء من أقل فساداً لتصلحه وإذا أراد المؤمن الابتعاد عن العامة فبالشروط التي حددها النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الذي سيأتي وعند ذلك لا تنفع الكلمة ولا النصيحة ولا الأمر بالمعروف ولا النهي عن المنكر إلا مع الخواص.

إن الفتن أصبحت تتابع وحدث في عصرنا وذلك لتستمر الغربلة التي حدث عنها النبي صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ، وبعدها التميز في داخل المجتمع المسلم فمنكرون للفتن بأنواعها مع شدتها وتتابعها وتنوعها ثم نوع آخر مفتونون وقعوا ضحية خطط مرتبة لتسقطهم على الطريق ... وأما عن تتابع هذه الفتن وكثرتها فقد حدثنا عنها الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم لننكرها..

فعن حذيفة ــ رضي الله عنه قال: كنا عند عمر ــ رضي الله عنه ــ فقال: أيكم سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكر الفتن؟ فقال قوم: نحن سمعناه. فقال: لعلكم تعنون فتنة الرجل في أهله

وجاره؟ قالوا: أجل قال: تلك تكفرها الصلاة والصيام والصدقة. ولكن أيكم سمع النبي صلى الله عليه وسلم يذكر الفتن التي تموج موج البحر؟ قال حذيفة: فأسكت القوم. فقلت: أنا. قال أنت ! لله أبوك ! قال حذيفة: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: **(تعرض الفتن على القلوب كالحصير عوداً عوداً فأي قلب أشربها نكت فيه نكتة سوداء . وأي قلب أنكرها نكت فيه نكتة بيضاء. حتى تصير على قلبين، على أبيض مثل الصفا فلا تضره فتنة ما دامت السماوات والأرض، والآخر أسود مرباداً، كالكوز مجخياً لا يعرف معروفاً ولا ينكر منكراً، إلا ما أشرب من هواه)** حديث صحيح[1].

الفتنة في أصل كلام العرب الابتلاء والامتحان والاختبار ثم صارت في عرف الكلام لكل أمر كشفه الاختبار عن سوء ، وفتنة الرجل في أهله وماله وولده ضروب من فرط محبته لهم وشحه وشغله بهم عن كثير من الخير قال تعالى: **(إنما أموالكم وأولادكم فتنة)**[2]. أو لتفريط بما يلزم من القيام بحقوقهم وتأديبهم وتعليمهم فإنه راع لهم ومسؤول عن رعيته وكذلك فتنة الرجل في جاره من هذا فهذه كلها فتن تقتضي المحاسبة ومنها ذنوب يرجى تكفيرها بالحسنات.

وأما معنى تعرض فتلصق بعرض القلوب أي جانبها كما يلصق الحصير بجنب النائم ويؤثر فيه شدة التصاقها به قال ومعنى عوداً عوداً أي تعاد وتكرر شيئاً بعد شيء. ومعنى **(فأي قلب أشربها نكت فيه نكتة سوداء وأي قلب أنكرها نكت فيه نكتة بيضاء)** فأشربها أي دخلت فيه دخولاً تاماً وألزمها وحلت منه كل الشراب وأما **(نكت فيه نكتة)** فمعناها نقط نقطة..

وأما قوله صلى الله عليه وسلم **(حتى تصير على قلبين على أبيض مثل الصفا فلا تضره فتنة ما دامت السموات والأرض)** فليس كتشبيه بالصفا بياناً لبياضه لكن صفة أخرى لشدته على عقد الإيمان وسلامته من الخلل وأن الفتن لم تلصق به و لم تؤثر فيه كالصفاء وهو الحجر الأملس الذي لا يعلق به شيء[3].

وأما قوله **(والآخر أسود مرباداً)** فالمرباد الذي في لونه ربدة وهي السواد والغُبرة وأما **(كالكوز مجخياً)** فالمجخيّ: المائل عن الاستقامة والاعتدال هنا [4].

ومعنى الحديث أن الرجل إذا تبع هواه وارتكب المعاصي دخل قلبه بكل معصية يتعاطاها ظلمة وإذا صار كذلك افتتن وزال عنه نور الإسلام والقلب مثل الكوز فإذا انكب انصب ما فيه و لم يدخله شيء بعد ذلك[5].

وقوله النبي صلى الله عليه وسلم بالحديث **(تعرض الفتن على القلوب كالحصير عوداً عوداً)** يدل دلالة واضحة على كثرة عرض الفتن على القلوب وذلك أن ناسج الحصير عند العرب كلما صنع

(1) أخرجه مسلم (١٤٤/١٢٨/١) في حديث شريف.
(2) الآية ١٥ من سورة التغابن.
(3) انظر شرح صحيح مسلم للنووي (١٧١/٢-١٧٣) باختصار.
(4) انظر جامع الأصول (٢٣/١٠) عند شرح حديث رقم (٧٤٧٦)
(5) شرح صحيح مسلم للنووي (٢/ ١٧٣)

عوداً أخذ آخر ونسجه فشبه عرض الفتن الكثيرة على القلوب واحدة بعد أخرى بعرض قضبان الحصير على صانعها واحداً بعد واحد[1].

وما أكثر الفتن التي تعرض على القلوب في هذا العصر سواء بفتاوى شيطانية أو بألعاب وحركات جاهلية فتارة بعرض الإسلام بنظام اشتراكي يبيح مصادرة مصادر الإنتاج وتارة بنظام رأسمالي يبيح كل ما يفرزه النظام الرأسمالي باستغلاله من الربا والقمار وأجور الزنى...

وتارة يبحون باسم الإسلام أدوات الفجور مع الغناء الفاحش والرقص الخليع وبفتاوى شيطانية تبيح الولاء للظالم الكافر الفاجر من أعداء الإسلام والله يقول **(... ومن يتولهم منكم فإنه منهم)**[2]، وتارة يريدون طمس الإسلام بوحدة الأديان لا بوحدة دين الإسلام، وكم سمعنا فتاوى شيطانية لإباحة الربا واعتبار الشهادة انتحاراً وإلقاء بالنفس إلى التهلكة وأن الذلة لعدو الإسلام مطلوبة وقد اغتصب الأرض بالسهل والجبل... إلخ وبفتاوى شيطانية تبيح الزنى باسم نكاح المتعة.. أو الحرية الجنسية فانتشرت الأمراض الجنسية كالسفلس والزهري والسيلان والإيدز .. ولو أردنا أن نستعرض ذلك أمراً أمراً لطال بنا المقام... كل ذلك يشير بدلالة واضحة على أن الكثرة في الفتن التي تعرض على القلوب هي في زماننا أوضح من أي وقت مضى، وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قصد فيما قصد بذلك زماننا بالدرجة الأولى من بين الأزمنة وهذا من رحمته بنا صلى الله عليه وسلم وآله وصحبه وسلم والله أعلم...

وكم ضلت أمام هذه الفتن المثارة قلوب فرأت الحق باطلاً والباطل حقاً، وإذا أرد المرء أن يعرف أن قد أصابته أم لا فعليه أن يتأمل ما قاله حذيفة رضي الله عنه قال: (إذا أحب أحدكم أن يعلم أصابته الفتنة أم لا فلينظر فإن كان رأى حلالاً كان يراه حراماً فقد أصابته الفتنة، وإن كان يرى حراماً كان يراه حلالاً فقد أصابته) والخبر صحيح[3]..

وأمام ظلم الظالمين ومساندتهم لأعداء الإسلام خارج الوطن الإسلامي وتفرق المسلمين تصبح الحياة صعبة في ظل مجتمع تغيرت فيه المفاهيم والأنظمة والقوانين، فالمؤمن هو في كل ساعة مهان أو مظلوم أو مهمش ومحاسب في عرضه وماله وشرف بناته أو أخواته في كثير من الأحيان... وهذا ما أوضحه الحبيب المصطفى فعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **(يأتي على الناس زمان الصابر فيهم على دينه كالقابض على الجمر)** حديث صحيح[4]..

(1) شرح صحيح مسلم للنووي باختصار (١٧٣/٢) مع زيادة وتصرف

(2) الآية ٥١ من سورة المائدة .

(3) قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد على شرط الشيخين ولم يخرجاه، قال الذهبي معلقاً على هذا الخبر في التخليص: على شرط البخاري ومسلم، المستدرك (٨٤٤٣/٥١٤/٤) ومصنف ابن أبي شيبة (٣٧٣٤٣/٤٧٤/٧) .

(4) أخرجه الترمذي (٢٣٦١/٤٤٤/٦) في تحفة الأحوذي) وابن عدي في الكامل (١٧١١/٥) والحديث صحيح بشواهده الكثيرة. انظر سلسلة الأحاديث الصحيحة (٩٥٧/٦٤٥/٢) وتعليق عبدالقادر أرنؤوط رحمه الله على جامع الأصول (١٥/١٠) وعد السيوطي

ومع كل العقبات والآلام مَنّ الله تعالى على الأمة الإسلامية في طول البلاد وعرضها عمالاً لله تعالى تمثلوا الإسلام ديناً ودعوة وجهداً فأنار الله بهم سبيل الأمة الإسلامية في عصرنا وهم أوضح من الشمس وأكثر عطاء من الشجر المثمر، فلهم من الله أجر خمسين من الصحابة رضوان الله عليهم إن شاء الله تعالى فقد مروا بمراحل قبل الدعوة العلنية لقوة الدعوة السرية التي تمثلت بالخواص الخواص في تربية فردية فانبثوا داخل المجتمع كشجرة خير نمت رويداً رويداً في ما عرف في عصرنا في الرياضيات بمتوالية حسابية حديثة وذلك في الخواص... عن أبي أمية الشعباني قال: أتيت أبا ثعلبة الخشني فقلت له: كيف تصنع في هذه الآية؟ قال: أية آية؟ قلت قوله تعالى: **(يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضرهم من ضل إذا اهتديتم)** قال أما والله لقد سألت عنها خبيراً، سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: **(بل ائتمروا بالمعروف ، وتناهوا عن المنكر، حتى إذا رأيت شحاً مطاعاً، وهوىً متبعاً، ودنيا مؤثرة، وإعجاب كل ذي رأي برأيه، فعليك بخاصة نفسك ودع العوام، فإن من ورائكم أياماً الصبر فيهن مثل القبض على الجمر، للعامل فيهن مثل أجر خمسين رجلاً يعملون مثل عملكم)**..

قال عبدالله بن مبارك ــ أحد الرواة في سند الحديث - وزادني غير عتبة قيل: يا رسول الله أجر خمسين رجلاً منا أو منهم؟ قال: **((لا بل أجر خمسين رجلاً منكم))** حديث حسن[1].

أما قول النبي صلى الله عليه وسلم (فإن من ورائكم أياماً) أي قدامكم من الأزمان الآتية[2]..

ويدل الحديث على فضل هؤلاء في الأجر على الصحابة، وقد جاء أمثال هذا أحاديث أخرى، وتوجيهه كما ذكروا أن الفضل الجزئي لا ينافي الفضل الكلي[3].

وقد تكلم ابن عبد البر.. رحمه الله تعالى .. في هذه المسألة وقال: يمكن أن يجيء بعد الصحابة من هو في درجة بعض منهم أو أفضل ومختار العلماء خلافه [4].

والحق أن سائر ما عملنا هو في صحيفة الصحابة رضوان الله عليهم فهم الذين آمنوا أولاً بمحمد رسول الله صلى الله عليه وسلم إيماناً قوياً ونشروا دينه بعده وحال حياته فمن جاء بعدهم فبركتهم في الأصل رضوان الله عليهم آمن.. ألم تر أن من آمن وأنفق وقاتل قبل الفتح أفضل ممن جاء بعدهم قال تعالى: **(لا يستوي منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل وكلاً وعد الله الحسنى)** [5].

فلهؤلاء الصابرين كالقابضين على الجمر في عصرنا أجر خمسين من الصحابة من حيث أجر كمية الصبر والله أعلم..

الحديث (حسن) انظر الجامع الصغير (٩٩٨٨/٧٥٩/٢).

(1) رواه الترمذي وقال: حديث حسن غريب (٣٢٥٢/٣٣٦/٨تحفة الأحوذي) واللفظ بروايته، وأبو داود في سننه (٤٣٤١/١٢١/٤) وابن ماجة في سننه (٤٠١٥/١٣٣١/٢).
(2) تحفة الأحوذي (٣٣٧/٨)
(3)المرجع نفسه (٣٣٧/٨)
(4)المرجع نفسه (٣٣٧/٨)
(5) الآية ١٠ من سورة الحديد

ولقد سمعنا ورأينا عمالاً لله صابرين في عصرنا بل كانوا أثبت من الجبال الرواسي وتصب عليهم الآلام والعذاب بدراسة علمية نفسية وتشريحية... فلهم الله سبحانه في أجر خمسين من الصحابة لأنهم سلكوا مسلكَ الصحابة وأناروا للأمة الطريق والحق يقال لقد كان بعض الناس يتمنى الموت ليتخلص من البلاء الذي يصب عليه وعلى أهله وولده لا لأنه من العمال لله تعالى بل لقرابتهم منهم على الأقل... ولكونه مسلم، وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم وآله وصحبه وسلم فيما روى أبو هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **(والذي نفسي بيده لا تذهب الدنيا حتى يمر الرجل على القبر فيتمرغ عليه، ويقول يا ليتني كنت مكان صاحب هذا القبر وليس به الدِّين إلا البلاء)** [1]. أي إن الحامل له على التمني ليس الدين، بل البلاء وكثرة المحن والفتن وسائر الضراء[2]. وقد يكون من أهل الدين العمال لله تعالى ويصب عليه البلاء فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: **(لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر فيقول: يا ليتني مكانه)** حديث صحيح [3]. وتغبط أهل القبور وتمني الموت عند ظهور الفتن إنما هو خوف ذهاب الدين بغلبة الباطل وأهله وظهور المعاصي والمنكر[4]. وليس هذا عاماً في حق كل واحد، وإنما هو خاص بأهل الخير، وأما غيرهم فقد يكون لما يقع لأحدهم من المصيبة في نفسه أو أهله أو دنياه وإن لم يكن في ذلك شيء يتعلق بدينه[5].

أنواع الفتن:

الفتنة في أصل اللغة: جماع معنى الفتنة الابتلاء والامتحان والاختبار، وأصلها مأخوذ في قولك فَتنت الفضة والذهب إذا أذبتها بالنار لتميز الرديء من الجيد[6]. ثم استعمل في إدخال الإنسان النار والعذاب، وتارة يسمون ما يحصل عنه العذاب.. فتنة فيستعمل فيه، وتارة في الاختبار نحو قوله تعالى: **(وفتناك فتوناً)** [7]، ومنه قوله تعالى **(أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون)** [8] أي لا يمتحنون بما يبين حقيقة إيمانهم[9].

- فتنة المؤمن عن دينه بالعذاب:

قال تعالى: **(إن الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات ثم لم يتوبوا فلهم عذاب جنهم ولهم عذاب الحريق)** ( )، أي أن أحرقوهم بالنار الموقدة في الأخدود يلقون المؤمنين فيها ليصدوهم عن الإيمان [10]..

تعرض سورة البروج المشهد المفجع في لمحات خاطفة، تودع المشاعر بشاعة الحادث دون تفصيل ولا تطويل... مع التلميح إلى عظمة العقيدة التي تعالت على فتنة الناس مع شدتها، وانتصرت على النار وعلى الحياة ذاتها، وارتفعت إلى الأوج الذي يشرف الإنسان في أجياله جميعاً[11]..

(1) أخرجه مسلم في صحيحه (٤/٢٢٣١ / ٢٩٠٨) والبخاري مختصراً (١٣/٨٠/٧١١٥ فتح الباري).
(2)انظر تعليق محمد فؤاد عبد الباقي على صحيح مسلم (٤/٢٢٣١) مع زيادة .
(3) وأخرجه البخاري في صحيحه (١٣/٨/٧١١٥)، وأخرجه مسلم في صحيحه (٤/٢٢٣١/٢٩٠٨)
(4) فتح الباري فيما بها نقل عن ابن بطال (١٣/٨١)
(5) فتح الباري شرح صحيح البخاري (١٣/ ٨١)
(6) لسان العرب مادة فهد (١٠/١٧٨) وتاج العروس (١٨/٤٢٥)
(7) الآية ٤٠ من سورة طه.
(8) الآية ٢ من سورة العنكبوت.
(9) تاج العروس مادة فتن (١٨/ ٤٢٥) (١٨/٤٢٦)
(10) الآية ١٠ من سورة البروج
(11) لسان العرب مادة فتن (١٠/١٨١).
(12) انظر في ظلال القرآن (٦/٣٨٧٢).

لقد ذهبت إلى مدينة الأخدود وهي على بعد ٣٠كم من مدينة نجران جنوب السعودية وذلك عام ١٩٧٠م، فإذا هي مدينة خالية.. صنعت جدرانها من أحجار زرقاء هائلة، رأيت الجبل الذين أردوا أن يلقوا الغلام منه وآثار بحيرة، ورأيت ما أذهلني من عظام أو لحوم متفحمة خلف المدينة، رأيت آثار المحرقة وذهب المعذَّبون وذهبا المعذِّبون وبقى حساب الله الباقي...

أما في زماننا هذا فقد تحقق ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **(صنفان من أهل النار لم أرهما، قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس، ونساء كاسيات عاريات، مميلات مائلات، رؤوسهن كأسنمة البخت المائلة، لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها وإن ريحها ليوجد في مسيرة كذا وكذا..)** حديث صحيح [1].

قال الشيخ الغماري ـــ رحمه الله تعالى ـــ وهذه السياط قد تكون من أذناب البقر كالواقع من البوليس الفرنسي في المغرب وغيره[2]..

ولئن كان الشيخ الغماري يحدث عن ما صنع الفرنسيون فإن أذنابهم وأذناب غيرهم صنعوا أشد من هذا بضربهم بسياط كأذناب البقر وليس هذا فحسب بل بسياط ظاهرها من مادة (بلاستيك) وباطنها فولاذ، وبمكان ما تضرب تفلق من أجساد المؤمنين الذين يهمهم أمر الإسلام..

(1) أخرجه مسلم (٣/١٦٨٠/٢١٢٨) و (٤/٢١٩٢/٢١٢٨) ورواه أحمد (٢/٣٥٦/٨٤٥١) و (٢/١٨٥/٩٣٣٨) واللفظ لمسلم.

(2) مطابقة الاختراعات العصرية لما أخبربه سيد البرية تأليف أبي الفيض أحمد بن محمد بن الصديق الغماري الحسيني ـ ط المكتبة الشعبية ـ بيروت ـ (ص٤٢)

ومما يقول الشيخ الدكتور يوسف القرضاوي يروي ألواناً شاهدها من التعذيب:

في ليلة ليلاء من نوفمبر ... فزعت عن نومي لصوت رنينِ
فإذا كلاب الصَّيد تهجم بغتة ... وتحوطني عد شَمْألٍ ويمينِ
لا فرق بينهم وبين سياطهم ... كل أداة في يدي مأفونِ
يتلقفون القادمين كأنهم ... عثروا على كنز لديك ثمينِ
بالرجل بالكرباج باليد بالعصا ... وبكل أسلوب خَسيس دونِ
وتفننت كي لا يمل معذب ... في العرض والإخراج والتلوينِ
أسمعت بالإنسان ينفخ بطنه ... حتى يرى في هيئة البالون
أسمعت بالإنسان يضغط رأسه ... بالطوق حتى ينتهي لجنونِ
أسمعت بالإنسان يشعل جسمه ... ناراً وقد صبغوه بالفزلين
أسمعت بالآهات تخترق الدجى ... رباه عدلك، إنهم قتلوني
وسل السياط السودكم شربت دماً ... حتى غدت حُمراً بلا تلوينِ[1]

(1) رائق الشهد وإسلاماه جمعه الدكتور سيد حسين العفاني ـ ط مكتبة معاذ بن جبل ـ مصر بني سويف.

كل ذلك لفتنة الرجل عن دينه أو بعض دينه.

- الفتنة بالمال والأولاد: أخذ ذلك من قوله تعالى: (واعلموا أنما أموالكم وأولادكم فتنة) ( ). فقد سماهم الله تعالى ههنا فتنة اعتباراً بما ينال الإنسان من الاختبار بهم وسمى الله بعض الأزواج والأولاد عدواً باعتبار بما يتولد منهم فقال سبحانه: **(إن من أزواجكم وأولادكم عدواً لكم فاحذروهم)** [٢].[٣] والفتانان: الدرهم والدينار لأنهما يفتنان الناس[٤]..

إن فتنة المال أساسها من غرباء عن أرضنا شرار حضروا بلاد المسلمين، ثم أملوا علينا الأوامر والشروط في كل موارد المسلمين المالية وثرواتهم عن رجل من بني سليم عن جده : (أنه أتى النبي صلى الله عليه وسلم بفضة فقال: هذه من معدن لنا فقال النبي صلى الله عليه وسلم : **(ستكون معادن يحضرها شرار الناس)**. أخرجه الإمام أحمد والحديث صحيح[٥].

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: **أُتي رسول الله صلى الله عليه وسلم بقطعة من ذهب، كانت أول صدقة جاءته من معدن فقال: (ماهذه) قالوا: صدقة من معدن لنا، فقال: (إنها ستكون معادن، وسيكون فيها شرار خلق الله عزوجل)** ورجاله رجال الصحيح والحديث صحيح[٦].

لذلك كانت فتنة الناس في عصرنا المال في الأغلب لاستخدام الثروة في فتن الناس عن دينهم وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما رواه عنه كعب بن عجرة فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: **(إن لكل أمة فتنة، وفتنة أمتي المال)**. [٧]

ولما للمال في نظر بعض الناس من أهمية دعاهم حبه إلى الكفر بشتى صوره حتى موالاة الكفرة والله يقول: **(... ومن يتولهم منكم فإنه منهم)** ( ) وحتى دعاهم لسب النبي صلى الله عليه وسلم ودعاهم لنكران سنته حتى المتواترة سواء كانت في صحيحي البخاري ومسلم وجامع الترمذي وسنن النسائي وأبي داوود وابن ماجة وموطأ مالك.. وغير ذلك، بل وسب الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين رواة السنة وخاصة وسب أبي بكر وعمر خاصة ــ رضي الله عنهما ــ ولولا هؤلاء الصحابة ما كنا مسلمين فهم سبب إيماننا كما

(1) الآية ٢٨ من سورة الأنفال.
(2) الآية ١٤ من سورة التغابن.
(3) تاج العروس مادة فتن (٤٢٦/١٨)
(4) تاج العروس مادة فتن (٤٢٧/١٨)
(5) وقد أتى له صاحب السلسلة الصحيحة بشاهدين ثم قال (وجملة القول أن الحديث صحيح بشاهديه المذكورين - سلسلة الأحاديث الصحيحة (١٨٨٥/٥٠٦/٤).

(6) وقد أخرجه الطبراني في المعجم الصغير (١٥٣/١) والمعجم الأوسط (٣٥٣٢/٣٠/٤) ورجاله رجال الصحيح - مجمع الزوائد للهيثمي - (١٤٤١٩/٧٨/٣).
(7) أخرجه الترمذي (٤٥١٨/٦ / ٢٤٣٩تحفة الأحوذي) وقال حديث حسن صحيح غريب، وابن حبان في صحيحه (٣٢٢٣/١٧/٨)، وأحمد في مسنده (١٧٠١٧/١٦٠/٤) والحاكم (٧٨٩٦/٣١٨/٤) وقال حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي ، والطبراني في المعجم الأوسط (٣٢٩٥/٣٢٥/٣) وفي المعجم الكبير (٤٠٤/١٧٩/١٩).
(8) الآية ٥١ من سورة المائدة.

أنهم ادعوا تحريف القرآن والله تعالى يقول **(إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون)** (١) والمصاحف القديمة من القرن الأول الهجري تفيد حفظ القرآن وخاصة في مصاحف صنعاء القديمة كما في دراستي على موقعي على الانترنت www.hamdoun.net . في ردي على بعض المستشرقين.

كل ذلك من ألوان الكفر والفسق والجحود مقابل مالٍ زائل، وكأن العقيدة هي المال والمال هو العقيدة عافانا الله تعالى، وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما رواه عبدالله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : **(ليغشين أمتي من بعدي فتن كقطع الليل المظلم يصبح الرجل فيها مؤمناً ويمسي كافراً ويمسي مؤمناً ويصبح كافراً يبيع أقوام دينهم بعرض من الدنيا قليل)** والحديث صحيح(٢).

إن الفتن في عصرنا قد تنوعت وتعددت بل صار لها مؤسسات كل ذلك ليترك المسلمون دينهم ويحل بهم نكبات كنكبة أهل الأندلس ، مؤسسات الإغراء بالربا ومؤسسات للإغراء بالزنا ومؤسسات للإغراء بالقمار ومؤسسات لأحزاب اتخذت من عداوة الإسلام سبيلاً ومؤسسات ... ومؤسسات... وعلى كل مؤسسة سلطان لفتنة لا يعطي شيئاً مالاً أو جاها أو دراسة... الخ إلا إذا أخذ من دين الرجل أو المرأة بمقدار ذلك في دراسة أجنبية محكمة وصدق النبي صلى الله عليه وسلم فيما رواه عبدالله بن الحارث بن جزء الزبيدي قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

(سيكون بعدي سلاطين الفتن على أبوابهم كمبارك الإبل لا يعطون أحداً شيئاً إلا أخذوا من دينه مثله) حديث صحيح(٣).

قال الشيخ أبو الفيض أحمد الغماري الحسني: فسلاطين الفتن هم الموجودون في هذا العصر لا من كان قبلهم بدليل قوله صلى الله عليه وسلم **(على أبوابهم كمبارك الإبل)** لأن هذا وصف السيارات ومواقفها(٤).

وأشد من ذلك وأخطر أن يقع بعض الفقهاء في الدين وقراء القرآن من أمة محمد صلى الله عليه وسلم في المصيبة نفسها والمطلوب منهم أن يكونوا قدوة حسنة للعامة من الناس ، فتقع بوقوعهم في الفتنة فتنة أكبر كل ذلك مقابل مال زائل ... فعن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: **(إن ناساً من أمتي سيتفقهون في الدين ، ويقرؤون القرآن ، ويقولون نأتي الأمراء، فنصيب من دنياهم ونعتزلهم بديننا، ولا يكون ذلك كما**

(1) الآية ٩ من سورة الحجر.
(2) أخرجه الحاكم وقال حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي ـ المستدرك (٨٣٥٤/٤٣٨/٤) وللحديث شواهد في مستدرك الحاكم (٨٣٥٥/٤٣٩/٤) وشاهد في صحيح مسلم (١١٨/١١٠/١) والترمذي (٢١٩٥/٤٨٧/٤)وقال: حديث حسن صحيح، والإمام أحمد في مسنده(٧٩٧٠/٣٠٤/٢) و (١٠٣٩٢/٥٣٢/٢).

(3) رواة الطبراني والحاكم في المستدرك قال السيوطي : حديث صحيح ـ الجامع الصغير للسيوطي (٤٧٧١/٦٢/٢).
(4) مطابقة الاختراعات العصرية لما أخبر به سيد البرية (ص٥١) .

لا يُجتَنى من القتاد[1] إلا الشوك، كذلك لا يجتنى من قربهم إلا) قال : ابن الصباح : كأنه يعني الخطايا ورواة الحديث ثقاة[2].

- فتنة النساء:

الفتنة الإعجاب بالشيء وفي الحديث **(ما تركت فتنة أضر على الرجال من النساء)** [3].

يقول أخاف أن يعجبوا بهن فينشغلوا عن الآخرة والعمل لها[4]. وفتن الرجل بالمرأة وافتتن، وأهل الحجاز يقولون فتنته المرأة إذا ولهته وأحبها، وأهل نجد يقولون أفتنته قال الشاعر باللغتين:

لئن فتنتني لهي بالأمس أفتنت

سعيداً فأمسى قد قلا كلّ مسلمِ[5]

لقد استخدمت نساء كثير في العصر الحديث طريقاً لترك الإسلام وذلك بالتشجيع على كشف عوراتهن والزنى بل استخدمن كسلعة لدعيات تجارية والمرأة خلقت لأكرم من هذا وقد مر معنا الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله وعليه وسلم **(صنفان من أهل النار لم أرهما قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس ونساء كاسيات عاريات مميلات مائلات رؤسهن كأسنمة البخت المائلة لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها وإن ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا)** [6].

وفي قول النبي صلى الله عليه وسلم **(كاسيات عاريات)** شمول لصور عديدة.. من اللباس اللاصق أو الشفاف أو كليهما في عصرنا وهذا من بلاغة النبي صلى الله عليه وسلم في كل (موديلاتهم).

وتعجب عندما ترى رجالاً يصلون بالمساجد ويذرون سياراتهم ذات السروج المريحة على أباب المساجد تعجب من كون نسائهم كاسيات عاريات وما أصدق النبي صلى الله عليه وسلم فيما روى عبدالله بن عمرو بن العاص في حديث أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: **(سيكون في آخر أمتي رجال يركبون على السروج كأشباه الرجال ، يتزلون على أبواب المساجد، نساؤهم كاسيات عاريات على رؤوسهن كأسنمة البخت العجاف، العنوهن فإنهن ملعونات)** والحديث صحيح [7].

- اختلاف الناس في الآراء:

(1) القتاد : شجر صلب له شوكة كالإبر، وقتدت الإبل كفرح ، قتدا فهي إبل قتدة وقتادى، كسكارى وفرحة: اشكت بطونها من أكله أي القتاد ـ انظر تاج العروس مادة قتد (٥/١٧٤-١٧٨).

(2) رواه ابن ماجة واللفظ له (١/٩٣/٢٥٥) ورواته ثقات ـ الترغيب والترهيب للمنذري (٣/٤١) ــ ورواه الطبراني في المعجم الأوسط (٨/١٥٠/٨٢٣٦).

(3) الحديث مروي عن أسامة بن زيد أخرجه البخاري (٩/١١٨) في النكاح ومسلم رقم (٢٧٤٠) في الذكر والدعاء والترمذي رقم (٢٧٨١) في الأدب وأخرجه الترمذي عن أسامة بن زيد وسيعد بن زيد ـ انظر جامع الأصول وتعليق عبدالقادر أرناؤوط عليه (٦/٥١٩).

(4) تاج العروس مادة فتن (١٨/٤٢٥)

(5) لسان العرب مادة فتن (١٠/١٧٩)

(6) مر تخريج الحديث

(7) رواه أحمد في مسنده (٢/٢٢٣/٧٠٤٣) قال الهيثمي رجال أحمد رجال الصحيح ـ مجمع الزوائد اللهيثمي (٥/١٣٧/٨٦١٢) ورواه الحاكم وصححه ـ مستدرك الحاكم (٤/٤٨٣/٨٣٤٦) إلا أنه قال: (رجال يركبون على المياثر).

فيكون القتل والحروب والاختلاف الذي يكون بين فرق المسلمين إذا تخربوا، ويكون ما يبلون به في زينة الدنيا وشهواتها فيفتنون بذلك عن الآخرة والعمل لها[1]. وقد مر معنا الحديث الأول في اختلاف الناس **(وكانوا هكذا وشبك بين أصابعه)**.

يحاول أعداء الإسلام تفريق صف المؤمنين في عصرنا حتى يعيش كل منهم في غربة بلاده وعن أحبابه وبخلاف مع أخيه المؤمن ـــ عافانا الله تعالى ـــ عن حذيفة ابن اليمان رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: **(سيأتي عليكم زمان لا يكون فيه شيء أعز من ثلاث: درهم حلال ، أو أخ يستأنس به، أو سنة يعمل بها)**[2].

- الفتنة القتل:

ومنه قوله تعالى: **(إن خفتم أن يفتنكم الذين كفروا)** [3] وكذلك قوله عزوجل **(على خوف من فرعون وملئهم أن يفتنهم)** [4][5].

وقد جاء في حديث شريف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن القتل سيكثر عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم **(لا تقوم الساعة حتى تظهر الفتن ويكثر الكذب وتتقارب الأسواق ويتقارب الزمان ويكثر الهرج)** قلت: وما الهرج قال (القتل) والحديث صحيح[6] ويعتبر زماننا رقماً قياسياً في قتل المسلمين في تاريخهم الطويل فما بين أفغانستان شرقاً وبلاد الشام غرباً قتل من المسلمين أكثر من خمسة ملايين

(1) لسان العرب مادة فتن (١٠/١٨٠).
(2) رواه الطبراني في الأوسط (١/٣٥/٨٨) وفيه روح بن صلاح ضعفه ابن عدي ـ انظر الضعفاء والمتروكين لابن الجوزي (١/٢٨٧/١٢٤٣) وقال الحاكم: ثقة مأمون ، وذكره ابن حبان في الثقات ـ الثقات لابن حبان (٨/٢٤٤/١٣٢٤) وبقية رجاله موثوقون ـ انظر مجمع الزوائد للهيثمي (١/١٧٢/٨٠٢).
(3) الآية ١٠ من سورة النساء.
(4) الآية ٨٣ من سورة يونس.
(5) لسان العرب فتن (١٠/١٨٠).
(6) رواه أحمد (٢/٥١٩/ ١٠٣٤٦) واللفظ له والسند صحيح ـ انظر مطابقة المخترعات العصرية ـ للغماري ـ وابن حبان في صحيحه (١٥/١١٣/٦٧١٨)

مسلم في ٤٠ سنة الأخيرة وتركوا واراهم أرامل ويتامى ومحتاجين ومهاجرين لله سبحانه وتعالى.

وقتل في الجزائر مليون مسلم للتحرير من الاستعمار الفرنسي علماً أن الجزائريين قاتل منهم ١٥٠ ألف في فرنسا وأخرجوا الجيش الألماني من فرنسا في الحرب العالمية الثانية كما يقول أحمد بن بّلا وقتل في الجزائر ١٥٠ ألف مسلم بعد التحرير....

وقتل في البوسنة والهرسك ٢٥٠ ألف مسلم حتى يونيو ١٩٩٣م ولو ذهبت أسرد القتل والذبح الذي أصاب المسلمين لدمى القلب وذرفت العيون وحزن الفؤاد وإنا لله وإنا إليه راجعون..

وما أرحمك يا رسول الله ـــ صلى الله عليك وسلم ـــ عندما تأسف علينا في الفتن المتلاطمة متعجباً مما يحل بالمسلمين فقد روى المقداد بن الأسود رضي الله عنه ـــ قال أيم الله لقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (**إن السعيد لمن جنب الفتن إن السعيد لمن جنب الفتن إن السعيد لمن جنب الفتن ولمن ابتلي فصبر فواها**[1].) فواهاً: واهاً كلمة يقولها المتأسف على الشيء والمتعجب منه [2]

(1) أخرجه أبو داود (٤٢٦٣/٩٩/٤) وإسناد الحديث صحيح ـ انظر تعليق عبدالقادر أرنؤوط على جامع الأصول (١٨/١٠).
(2) جامع الأصول لابن الأثير (١٨/١٠).

الغربلة وعلو الهمة وسمو الروح

يتجه شاعرنا عبدا لعزيز الشهري إلى الله عز وجل بقلبه يطلب منه الثبات عند الغربلة والزلزلة ويؤمن بأن وعد سبحانه الله وتعالى حق لا بد منه فيقـــول:

فراقـــك يـــا زمـــان الرغـــد حـــق ... أتحـــــسب أن كـــــل الـــــدهر طلـــــقُ
فـــلا تغـــررك ضـــاحكة الليـــالي ... كـــــــــذلك أول الطوفـــــــــان وَدْقُ
غـــداً نـــصحو ولكـــن لـــست أدري ... بـــــذكرى، أمـــــا بفاجعـــــة تحـــــق
يثوب الـــوعي في صـــخب المآســـي ... وينـــضج مـــن لهيـــب الـــشمس عـــذقُ
هنالـــك في حَمـــاةَ تلـــوحُ ذكـــرى ... فتكـــــتم حـــــرَّ عبرتهـــــا دمـــــشقُ
وفي أرض الجزائـــر ألـــف جُـــرح ... يـــــسيح، وفي ربى كـــــشمير سَـــــحْقُ
تغربلنـــا الكـــروب فكـــل يـــوم ... نـــــرى ذممـــــاً تبـــــاع وتُـــــسترقُّ
فكم مـــن معـــشر في الحـــق كـــانوا ... صـــــلاباً ثم في الأحـــــداث رقّـــــوا
فمـــا مـــن بقعـــةٍ إلا وفيهـــا ... أخاديـــــد لـــــصحوتنا تـــــشقُّ
ومـــا لـــك في الكرامـــة أي حـــظ ... ومالـــــك في رغيـــــد العـــــيش حـــــقُّ
لقد عانيـــت مـــن نفـــسي فـــصدري ... يكـــــاد لفـــــرط همتـــــها يـــــشقُ
إذا مـــا الـــروح بـــالفردوس هامـــت ... يهـــــون علـــــى الفـــــتى ألمٌ وســـــحقُ
ولـــست بجـــازع مـــا دام قلـــبي ... يـــــردد: إن وعـــــد الله حـــــقٌّ( )

(1) رائق الشهد وإسلاماه، جمعه الدكتور سيد حسن العفاني ـ ط مكتبة معاذ بن جبل ـ بني سويف .

العُـــــــرْف

وأثره في الأحكام الفقهية (١)

بقلم

أ/ مصطفى مفتي

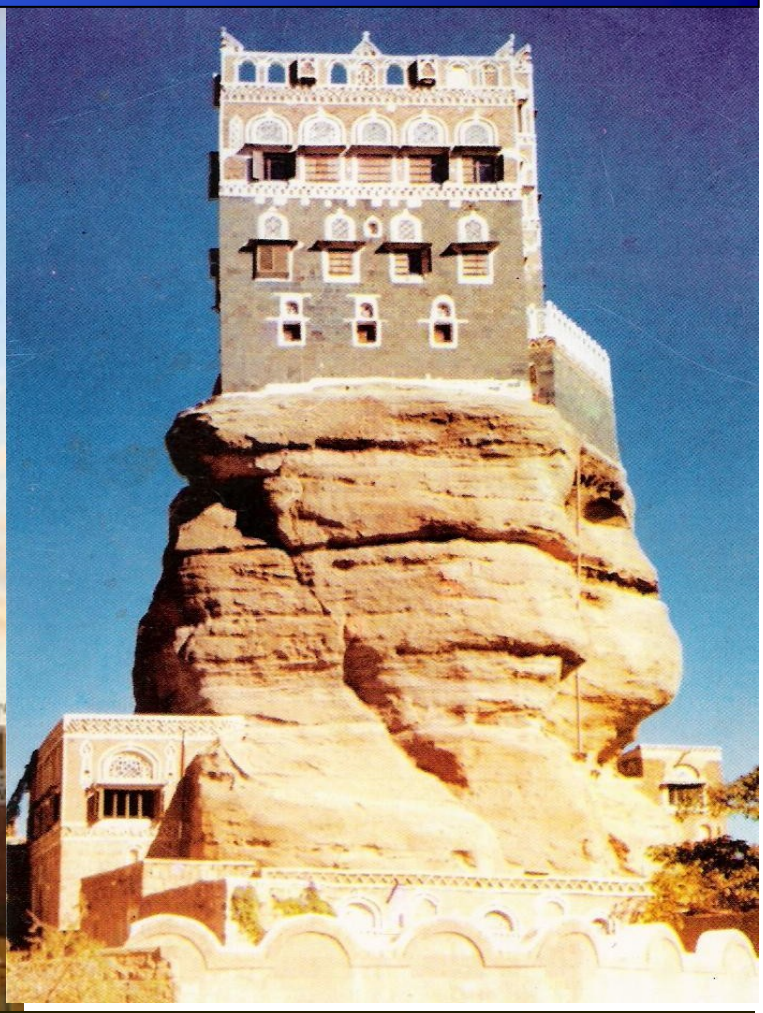

مقـــــدمة:

الحمد لله رب العالمين، حمداً كثيراً كما هو أهله، وكما ينبغي لكرم وجهه، وعزّ جلاله، وعظيم سلطانه، الحمد لله كما يحب ربنا ويرضى، وله الحمد حتى يرضى، والصلاة والسلام على سيّد الأنام، وعلى آل بيته وصحبه البررة الأخيار الكرام، وبعد:

للعرف مكانة عظيمة وشأن مرتفع في تاريخ الإنسانية، القديم والحاضر، فالعرف هو المهيمن وإليه يرجع في فض النِّزاع بين الأفراد في القبيلة قديماً وحديثاً مع الفارق في منشأ العرف في الزمنين، حيث تأثرت الأعراف الحديثة بالدّيانات السّماوية، فالقبائل التي تدين بالإسلام صُبِغت أعرافها بصبغته وخصوصاً في قضايا الدماء والإرث والكثير من المنازعات.

وهذا لا ينسحب على القبيلة فحسب بل يشمل جميع المجتمعات الإنسانية بكافة تركيباتها، وينطبق على معظم الدول القديمة حيث تنزل الأعراف منها منزلة الدساتير والقوانين المكتوبة، وفي عصرنا الحديث نرى دولاً كبريطانيا يهيمن على دستورها الكثير من الأعراف غير المكتوبة، كما أنه بات من المقرر في القانون الدولي أن الأعراف الدولية هي مصدر من مصادر تشريعه ( )

فالعرف له الدّور الأساس في تسيير الكثير من المجتمعات، ولم يأت العرف إلا عصارة تجارب متكرّرة وطويلة حتى استقرت هذه الأعراف في نفوس ووجدان هذه الأمم، ولله الحمد والمنّة أن للمسلمين في شريعتهم خصوصيّة في هذا المجال، فلا يسلّم الشّرع بالانسياق لكل عرف بصورة بهيميّة، بل لا بد من مواصفات وضوابط وشروط لهذه الأعراف حتى يتمكن المجتمع المسلم من اعتبارها، وسيأتي تفصيل ذلك فيما بعد من خلال هذا البحث بمشيئته تعالى.

وما كان صدّ الكافرين عن الدين الحق إلا اتباعاً للأعراف الخاطئة التي ورثها هؤلاء عن آبائهم، قال عزّ من قائل: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ

---

(١) ينظر: السير والقانون الدولي: للدكتور/ عبد الواحد عزيز الزنداني، بيروت- دار الفكر المعاصر، ط١: ١٤١١هـ= ١٩٩٠م.

﴿قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لا يَعْقِلُونَ شَيْئاً وَلا يَهْتَدُونَ﴾ [البقرة:١٧٠].

وقال عزّ وجلّ: ﴿قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ﴾ [الشعراء:٧٤].

ولم يأت الإسلام لينسف الأعراف الجاهلية القديمة، بل أقر الكثير منها كالتي تحض على مكارم الأخلاق من جود ونصرة للمظلوم ونجدة للملهوف وغير ذلك.

كما أقرّ بعضاً من المعاملات ومنها العديد من البيوع وألغى بعضها كالتي فيها غرر أو غبن أو جهالة أو إكراه وغير ذلك مما يخالف قواعد الفطرة السليمة، ويخرق موازين العدالة.

وفيما يتعلق بنظام الأسرة لم يلغِ الشارع جميع أشكال الزواج بل أقر الأصلح منها وألغى الباقي الذي لا يتوافق مع مقاصد الشريعة السماوية، كما أنه حدد عدد الزيجات بأربع على الأكثر لمن أراد أن يعدّد وكان الأمر مطلقاً في الجاهلية يتزوج الرجل العدد الذي يريد، والمسائل المشابهة أكثر من أن تحصى.

فاعتبار العرف في كثير من أحكامنا هو الدّليل الأبلج على مرونة شريعتنا، وعالميتها، وصلاحها لكل زمان ومكان، فشريعتنا بما تملك من أدوات تستطيع مواكبة كل جديد بجدارة، بينما تعجز القوانين الوضعية التي يتفاخر بها واضعوها عن ذلك، ونراهم دائما في دوامة تبديل القوانين حتى تتلاءم مع الأوضاع الجديدة، فسبحانك ربّي ما أعلمك وما أحكمك وما أعدلك!!.

تعريف العرف لغة واصطلاحاً

أولاً: العُرف لغة:

ورد لكلمة العُرف وما يَنصرِف عنها معانٍ كثيرة في معاجم اللغة، أذكر منها ما وقعت عليه مرتبطاً بموضوع بحثنا بعون الله تعالى.

أبدأ بما قاله ابن فارس(١): « العين والرّاء والفاء أصلان صحيحان، يدل أحدهما على تتابع الشيء متصلاً بعضه ببعض، والآخر على السّكون والطمأنينة.

فالأول العُرْف: عُرف الفرس، وسُمّي بذلك لتتابع الشعر عليه. ويقال: جاءت

(١) هو أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبي النيسابوري، ولد في نيسابور ٣٥٠سنة هـ ، والتعالبيّ هو اسم صَنعتِه لأنه كان يخيط جلود الثعالب، له مصنفات في العلم والأدب فله كتاب يتيمه الدهر في محاسن أهل العصر وله كتاب فقه اللغة وكتاب سحر البلاغة وكان رأسا في النظم والنثر وتوفي في نيسابور سنة ٤٣٠ هـ.

القطا عُرْفاً عُرْفاً أي: بعضها خلف بعض.

والأصل الآخر: المَعرِفة والعِرفان، تقول: عَرَف فلان فلاناً عِرفاناً ومعرفة، وهذا أمر معروف.

وهذا يدلّ على ما قلناه من سكونه إليه، لأن من أنكر شيئاً توحّش منه ونَبَا عنه »[1].

ويبدو ممّا تقدّم أن ابن فارس قد ردّ معاني العُرف إلى أصلين اثنين هما:

_ التّتابع.

_ السُّكون والطّمأنينة.

وقال نشوان الحِميريّ [2]: «المَعْرفة: نقيض الجهل وهي في عرف أكثر المتكلمين: المعنى الذي يقتضي سكون نفس المعتقِد إلى ما اعتقدَه»[3].

وبهذا يكون قد وافق ابنَ فارس في الأصل الثاني عنده وهو السُّكون والطّمأنينة.

وعند الحميريّ أيضا: « العَروف: الرّجل الصّبور. ولا يجوز أن يقال: الله عزّ وجل عارف، لأنّ المعرفة حصول العِلم بعد أنْ لم يكن، والله عزّ وجل عالم لم يزل.

ويقال: إنّ العلم أعمّ من المعرفة، تقول: عرفت فلاناً إذا عرفت عينه، وعلمته إذا علمت أحواله واعرورف فلان للشّر: إذا تهيأ له، واعرورف الفرس: إذا صار له عُرفاً»[4].

وبناء على ما تقدم نستطيع أن نضيف أصلاً ثالثاً إلى أصلي ابن فارس وهو السمو المعنوي، بناء على دلالة العرف على ما ارتفع من الأخلاق وسما كالجود والكرم وإسداء المعروف، وكذلك الارتفاع الماديّ من علو المكان وتميزه على غيره.

---

(١) معجم مقاييس اللغة لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا (ت ٣٩٥ هـ)، تح: عبد السلام هارون، بيروت- دار الجيل ٤/ ٢٨١ (عرف).

(٢) هو نشوان بن سعيد الحميري اليمني المتوفى سنة ٥٧٣، صاحب كتاب شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم واختصره ابنه وسماه: ضياء الحلوم في مختصر شمس العلوم، أتقن الحميري معجمه وقيده بالأوزان، وهو من مدينة تعز من جبل صبر وكان نشوان هذا قد استولى على عدة قلاع وحصون هناك وقدمه أهل تلك البلاد حتى صار ملكا عليهم، ينظر: معجم البلدان: لياقوت بن عبد الله الحموي (ت ٦٢٦)، بيروت- دار الفكر. ٣/ ٣٩٢.

(٣)ينظر: شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم: للقاضي نشوان بن سعيد الحميري (ت ٥٧٣ هـ)، تح: حسين بن عبد الله العمري ومطهر بن علي الإرياني ويوسف محمد عبد الله، دار الفكر، ط١: ١٤٢٠ هـ = ١٩٩٩م: ٧/ ٤٤٦٤ (عرف).

(١) شمس العلوم ٧/ ٤٤٧٤، ٤٤٩٢، ٤٥١٠ (عرف).

وهنا يمكننا القول: إن معظم المعاني المتعلقة بمادّة (عرف) ترجع إلى ثلاثة أصول:

_ التّتابع.

_ السّكون والطّمأنينة.

_ **السُّموّ المعنويّ والماديّ.**

ثانياً: العرف اصطلاحاً:

عند البحث في كتب الأولين نجد أن تعريف العرف عندهم غير جامع مانع، وتتناوله بعض المآخذ كأكثر التعريفات في شتى العلوم، فلا يستقر التعريف إلا بعد المرور بالعديد من المراحل والنقاش.

وباستقراء ما جاء من التّعريفات نجد أن تعريف الإمام النّسفيّ( ) هو أقدمها، ونقله عنه ابن عابدين كما يلي: «العُرف: هو ما استقرّ في النّفوس من جهة العقول وتلقّته الطِّباع السّليمة بالقبول »(٢).

ولسنا في مقام نقد وتقييم التعاريف الماضية وإنما سأكتفي بعرض التعريف الشامل الجامع المانع من وجهة نظري بعد أن أفدت من خبرة وعلم السابقين والمعاصرين كما يلي:

التّعريف الشّامل:(٣)

(العرف هو ما اعتاده أغلب النّاس، أو طائفة منهم، وساروا عليه من قولٍ أو فعلٍ أو تركٍ، مما لا يخالف الشّريعة الإسلامية).

فالقول: «أغلب النّاس أو طائفة منهم » فيه إشارة إلى كلّ من العرف العام والخاصّ.

والقول: «أغلب الناس» يفيدنا أنه لا يشترط تعارف الجميع وإنما يكفي أن يكون العرف غالباً.

والقول: «أو طائفة منهم» فيه إشارة إلى العرف الخاص، كالعرف الذي يخصّ أصحاب الحرف عموماً، أو حرفة بعينها، أو أهل مدينة أو قرية أو بلدة...

---

(١) هو الشيخ المعمر أبو عمرو بكر بن محمد بن جعفر بن راهب النسفي المؤذن راوي صحيح البخاري عن حماد بن شاكر وروى ايضا عن محمود بن عنبر، روى عنه جعفر المستغفري وقال كان كثير التلاوة شديدا على المبتدعة توفي سنة ثمانين وثلاث مئة.

(٢) ينظر: العرف والعادة العرف والعادة في رأي الفقهاء، للدكتور/ فهمي أبو سنة، القاهرة- مطبعة الأزهر، ط١: ١٩٤٧م (ص ٨)، والأعراف البشرية في ميزان الشريعة الإسلامية للدكتور عمر سليمان الأشقر، عمان- دار النفائس، ط١: ١٤١٣هـ = ١٩٩٣م: (١٣،١٤).

(٣) في نظر الكاتب.

والقول: «**وساروا عليه**» يفيد التأكيد على الجانب السّلوكي والعملي في مسألة العرف.

والقول: «من قول أو فعل» فيه إشارة إلى قسمي العرف القولي والعملي.

والقول: « أو ترك» يشير إلى دلالة التّرك على الإذن في المتروك.

والقول: «مما لا يخالف الشّريعة» لابد من هذا القيد حتّى يكون العرف معتبراً شرعاً، لأنّه إذا خالف الشّرع فلا يجوز العمل بمقتضاه، ولا يحكّم في شؤون النّاس وحياتهم.

والقول: «الإسلامية» تخرج بهذا القيد الشّرائع الأخرى كاليهوديّة والنّصرانيّة والشّرائع الوضعيّة.

وقلت: **الشّريعة ولم أقل نصّاً شرعيّاً**، لأنّ اللفظ الأوّل أعمّ وأشمل، فالشّريعة تحتوي جميع النّصوص الشّرعيّة، ولكنّ نصوص الشّرع ليست كلّ الشّريعة، فقد يكون العُرف مخالفاً لمقصد من مقاصد الشّرع الحنيف، أو متعدياً على مصلحةٍ من مصالح المسلمين المعتبرة شرعاً ودون مخالفة لنص معيّن.

الفَرق بين العُرف وما يشتبه به:

أولاً: الفرق بين العرف والعادة:

جاء في لسان العرب «والعادة: الدَّيدَنُ يُعَادُ إليه، معروفة وجمعها عادٌ وعاداتٌ وعِيدٌ..»(١).

وباستقراء أقوال الفقهاء نجد أن أكثر الفقهاء يُقرِنون في التّعبير بين العُرف والعادة وعلى سبيل المثال لا الحصر:

يقول ابن الصّلاح في باب الإجارات: «... تسليم الدّار إنما يكون بتسليم المفتاح في العُرف والعادة...»(٢).

وفي تحفة الأحوذي في باب المُستحاضة أنها تجمع بين الصّلاتين « .. ولا حدّ له في اللغة ولا في الشّريعة -أي الحيض - فيجب الرّجوع فيه إلى العُرف والعادة»(٣).

وفي الإنصاف في باب الخيار في البيع: «يرجع الغبن إلى العُرف والعادة على الصّحيح من المذهب»(٤).

---

(١) لسان العرب ٣١٦/٣ (عود).
(٢) فتاوى ابن الصلاح: لتقي الدين أبو عمرو عثمان ابن صلاح الدين الشافعي (ت ٦٤٣هـ). ص: ٦٣١/٣.
(٣) تحفة الأحوذي: لمحمد بن عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفوري (ت ١٣٥٣هـ)، بيروت- دار الكتب العلمية. ص: ٣٤٢/١.
(٤)الإنصاف للمرداوي: علي بن سليمان المرداوي (ت ٨٨٥هـ)، تح:محمد حامد الفقي، بيروت- دار إحياء التراث، ص:٣٩٤/٤.

وفي كتاب حلية العلماء في باب سجود السّهو وهو يتكلّم عن حدّ التّطاول بين السّلام وسجود السّهو: ((يُرجع فيه إلى العرف والعادة))(١).

وفي مواهب الجليل في بيان أحكام الوكالة: ((والوكيل على بيع الدّار والعَقَار إذا أراد قبض الثّمن من المشتري، وأراد أن يقيم البيّنة أنه وكيل على البيع، لم يمكّن من ذلك لأن العرف والعادة أن وكيل البيع في الدّار والعَقَار لا يقبض الثّمن))(٢).

وإذا تأمّلنا الأمثلة السّابقة نرى أن الفقهاء يستعملون العُرف والعادة بمعنى واحد دون التفريق بينهما وهذا كثيرٌ شائع.

ومن خلال تعريفهما نجد أنّ ثمّة فرقاً بيِّناً بينهما، حيث أن العادة كلّ ما تكرَّر من الأقوال والأفعال، سواء كان ذلك من الفرد أو الجماعة، بينما لا يُطلق على العادة الفردية عُرفًا، فتكون النّسبة بينهما هي العموم والخصوص المطلق، فكل عرف عادة، وليست كل عادة عرفًا(٣).

ثانياً: الفرق بين العُرف والإجماع:

الإجماع في اللغة يتناول معنيين، أوّلهما الاتفاق، وثانيهما العزم. قال ابن قُدامة الأندلسيّ: ((ومعنى الإجماع في اللغة الاتفاق، يقال: أجمعت الجماعة على كذا إذا اتفقوا عليه، ويطلق بإزاء تصميم العزم، يقال: أجمع فلان رأيه على كذا إذا صمّم عزمه، قال الله تعالى: ﴿فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ﴾[يونس ٧١]))(٤).

وفي الاصطلاح: ((هو اتفاق جميع المجتهدين من المسلمين في عصر من العصور بعد وفاة الرّسول ﷺ على حكم شرعيّ في واقعة))(٥).

وبالمقارنة بين تعريف كل من العرف والإجماع يتضح لنا الفرق جلياً فيما يلي:

أوّلاً: لابدّ من توفر مرتبة الاجتهاد عند جميع الشُّخُوص أطراف الإجماع.

---

(١)حلية العلماء: سيف الدين أبي بكر محمد بن أحمد الشاشي القفال (ت ٥٠٧هـ)، تح: د. ياسين أحمد إبراهيم درادكة، بيروت/ عمان- مؤسسة الرسالة، ط١: ١٩٨٠م. ص:٢/ ١٣٧.

(٢) مواهب الجليل: محمد بن عبد الرحمن المغربي (ت ٩٥٤هـ)، بيروت- دار الفكر، ط٢: ١٣٩٨هـ. ص: ١٩٤/٥.

(٣) ينظر: الأعراف البشرية لعمر سليمان الأشقر ١٦، ١٧.

(٤) روضة النّاظر ١٣٠.

(٥) علم أصول الفقه لعبد الوهاب خلاف ٤٥.

بينما لا يشترط مرتبة معينة فيمن يكوِّنون العرف العام، بل يكفي أن يتعارف النّاس على أمر ما، ويتداولونه فيما بينهم حتّى يصبح عُرفاً، وفي حال العُرف الخاص يختلف الأمر قليلاً، حيث يشترط في المتعارفين على قضية ما أن تكون لهم صفة هذه الفئة من النّاس كأن يكون الجميع من الحرفيين عموماً، أو من الخياطين، أو الحدّادين، أو النّجارين، ولكن لا يشترط فيهم مستوىً مهنياً معيناً.

ثانياً: لابدّ من اتفاق جميع المجتهدين على الحكم المجمع عليه، سواء كان ذلك في جلسةٍ واحدةٍ أو على انفرادٍ في مجالس متعددةٍ.

وأمّا في العُرف فيكفي فيه تعارف أغلب النّاس أو معظمهم ولا يُطلب اتفاق الجميع.

ثالثاً: الإجماع يكون في واقعةٍ معيّنةٍ في زمنٍ معيّنٍ، فلا يقع الإجماع إلا باتفاق جميع المجتهدين في هذا الزّمن بينما قد يستغرق العرف وقتاً طويلاً حتى ينشأ ويستقرّ في أذهان النّاس، ويصبح أمراً مألوفاً متداولاً يرجعون إليه في تعاملاتهم.

رابعاً: إذا انعقد الإجماع فهو ثابت لا يتغيّر إلا إذا كان مَبنياً على العرف.

بينما العرف غير ثابت، والحكم المتعلق به يدور معه كيفما دار، لأنه قد تتبدّل العادات والأعراف إذا تغير الزمان.

خامساً: الإجماع يجب اتباعه، ولا يجوز مخالفته بعد انعقاده، بل يَكفُر منكره عند الحنفيّة وطائفة من العلماء ممن وافقهم(١).

وأمّا العُرف فقد يكون فاسداً فيحرم العمل به.

أدلّة العُرفُ منَ الكتَابِ والسُّنة

أولاً: العُرْفُ فِي الْقُرآنِ الْكَرِيمِ:

ورد العُرف بهذا اللفظ مرّة واحدة في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿خُذِ

(١) ينظر: أصول السرخسي: لمحمد بن أحمد بن أبي سهل السرخسي (ت ٤٩٠)، بيروت- دار المعرفة. ص: ٢/ ١٠٨، التقرير والتحبير: لابن أمير الحاج (ت ٨٧٩)، بيروت- دار الفكر، ١٤١٧هـ. ص: ٣/ ١٥١.

﴿الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ [الأعراف ١٩٩].

فقوله تعالى: ((وأمر بالعرف)) يحتمل عدداً من المعاني منها: الأوّل بمعنى المعروف، والثاني هو لفظ الشّهادة لا إله إلا الله، والثّالث أنه من الدِّين ويتناول كلّ مأمور به ومنهيّ عنه، والرّابع ما لا ينكره الناس من المحاسن التي اتّفقت عليها الشّرائع[١] فالعُرف واسعٌ في دلالته يشمل كلّ ما أمر به الشّارع وكلّ ما نهى عنه، فضلاً عن مدلوله اللغويّ الذي يتّسع لكلّ معروف ألفته النّفوس وسكنت إليه.

وكلمة ((المعروف)) وردت في القرآن الكريم في مواضع كثيرة بمعنى العرف، يقول القرطبي في تفسيره ((والعرف والمعروف والعارفة **كل** خصلة حسنة ترتضيها العقول وتطمئن إليها النفوس))[٢].

(١) أحكام القرآن لابن العربي: أبو بكر محمد بن عبد الله ابن العربي (ت ٥٤٣ هـ)، تح: محمد عبد القادر عطا، لبنان- دار الفكر للطباعة. ص: ٢/ ٣٥٨.

(٢) تفسير القرطبي (الجامع لأحكام القرآن): أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي (٦٧١ هـ)، القاهرة- دار الشعب. ص: ٧/ ٣٤٦. وينظر: فتح القدير: محمد بن علي بن محمد الشوكاني (ت ١٢٥٠هـ)، بيروت- دار الفكر. ص: ٢/ ٢٧٩.

((والغالب في كلّ ما ورد في الشرع إلى المعروف أنه غير مقدر وأنه يرجع فيه إلى ما عرف في الشّرع، أو إلى ما يتعارفه الناس))[٣].

وهذه بعض الآيات نموذجًا على دلالة المعروف في القرآن الكريم:

الآية الأولى: قال الله عزّ وجلّ: ﴿ وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسوتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ [البقرة ٢٣٣].

((قوله تعالى: (بالمعروف) يعني على قدر حال الأبِ[٤] من السّعة والضّيق))[5]. فهنا تقدر الأجرة بالرّجوع إلى العرف السّاري وقتها، من حيث تقديرُ السّعة والضّيق، والأجرة المناسبة لحال الزّوج.

الآية الثانية: قال الله تعالى: ﴿وَلِلْمُطَلَّقَاتِ مَتَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ﴾ **[البقرة٢٤١].**

(٣) قواعد الأحكام في مصالح الأنام: أبو محمد عز الدين السلمي، بيروت- دار الكتب العلمية. ص: ١/ ٦١.

(٤) الأبُ: الأبوان هما الأبُ والأمّ ولا يكون مشدّد الباء وهذا من الأخطاء الشائعة، والأبّ بالتشديد هو المرعى كما في قوله تعالى: ﴿ وفاكهة وأبّاً﴾ ، ينظر النهاية في غريب الأثر: أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري (ت ٦٠٦هـ)، تح: طاهر أحمد الزاوي ومحمود محمد الطناحي، بيروت- المكتبة العلمية، ١٣٩٩هـ. (١/ ١٣) (أبب).

(٥) أحكام القرآن لابن العربي ٢٧٢/١.

يُعتبر في المتعة للمطلقة حال الزّوج من عسر ويسر عند بعضهم، وقيل: يعتبر حال الزّوجة فقط لأنّ المتعة كالبدل عن المهر، وقيل: الواجب أقل مال يجوز جعله صداقاً[1].

فالعرف هنا هو المرجع لتقدير العُسر واليُسر عند الزّوج، وكذلك في تقدير المستوى الاجتماعي للمرأة لتمييز الشّريفة من غيرها، حتى تُعطى ما يناسبها ويسدّ حاجتها، وأيضاً في تقدير أقلّ المهر.

الآية الثالثة: ﴿ وَمَنْ كَانَ فَقِيراً فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ﴾ [النساء ٦].

هذه الآية نزلت في الوصيّ على الفقير، وقد اختلف العلماء في تفسيرها ولا مجال هنا لبسط أقوالهم، وأذكر ما نقله الإمام الشّوكانيّ عن " النّخعيّ وعَطَاء والحَسَن وقَتادة: لا قضاء على الفقير فيما يأكل بالمعروف وبه قال جمهور العلماء"[2] "والمراد بالمعروف المتعارف عليه بين الناس، فلا يترفّه بأموال اليتامى يبالغ في التّنعّم بالمأكول والمشروب والملبوس"[3].

الآية الرابعة: ﴿ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ [النساء ١٩].

"أي طيّبوا أقوالكم لهن وحسّنوا أفعالكم وهيئاتكم بحسب قدرتكم كما تحب ذلك منها فافعل أنت بها مثله"[4] وهذه الأمور تعود إلى الشّرع أولاً، فمِن حُسن عِشرة المرأة تأديتها حقّها الذي أوجبه الشّارع لها، وإلى العُرف ثانياً فما يكون طيّباً من القول أو الفعل عند قوم قد يكون سُبَّة عند آخرين، فيكون العُرف مرجعاً في تقدير الحَسَن **والقبيح من المعاشرة.**

الآية الخامسة: ﴿ فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ وَأْتَمِرُوا بَيْنَكُمْ بِمَعْرُوفٍ﴾ [الطلاق ٦].

قوله تعالى: ﴿وَأْتَمِرُوا بَيْنَكُمْ بِمَعْرُوفٍ﴾ "هو خطاب للأزواج والزّوجات، أي: تشاوروا بينكم بما هو المعروف غير منكر، وليقبل بعضكم من بعض من المعروف والجميل، وأصل

(١) ينظر: مغني المحتاج: محمد الخطيب الشربيني (ت ٩٩٧هـ)،بيروت- دار الفكر. (٣/ ٢٤٢).
(٢) فتح القدير ١/ ٤٢٧.
(٣) المصدر السابق نفسه.
(٤) تفسير القرآن العظيم: للإمام أبي الفداء إسماعيل بن كثير القرشي (ت ٧٧٤)، بيروت- دار الندى، ط١: ١٤٠٨هـ = ١٩٨٨م. ١/ ٤٦٧).

معناه: ليأمر بعضكم بعضا بما هو متعارف بين الناس غير منكر عندهم»[1].

ويتّضح لنا ممّا سبق أنّ « المعروف » يجمع في دلالته بين المعروف من جهة الشّرع، والمعروف من جهة اللغة.

ثانياً: العُرْفُ في السُّنَّة الشَّريفَة:

قال رسول ﷺ: « ما رآه المسلمون حسناً فهو عند الله حسن».

استدلّ بهذا الحديث على حجيّة العُرف العديد من علمائنا الأقدمين والمعاصرين[2].

هذا الحديث لم يصحّ رفعه إلى رسول الله ﷺ ولكنه ثابت النّسبة إلى ابن مسعود رضي الله عنه[3] فهو موقوف عليه، ويتردد بين الحسن والصّحيح، أخرجه الحاكم مستدركه بزيادة « وما رآه المسلمون سيئاً فهو عند الله سيّئ»[4] وقال بعد تمام إخراجه: « هذا حديث صحيح الإسناد»[5] وجاء في نصب الرّاية: « قلت: غريب مرفوعاً و لم أجده إلا موقوفا على ابن مسعود»[6].

وقال ابن كثير[7]: « وهذا مأثور عن عبد الله بن مسعود بسند جيد»[1].

---

(١) فتح القدير ٥/ ٢٤٥.

(٢) ينظر: المبسوط: لشمس الدين السرخسي (ت ٤٩٠ هـ)، بيروت- دار المعرفة. (١٢/ ٤٥، ١٣٨) و (١٥/ ١٦٠)، والإحكام: لعلي بن محمد الآمدي (ت ٦٣١ هـ)، تح: سيد الجميلي، بيروت- دار الكتاب العربي، ط١: ٤٠٤ هـ: (٤/ ٢٤٧)، والأشباه والنظائر: لعبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت ٩١١ هـ)، بيروت- دار الكتب العلمية، ط١: ١٤٠٣ هـ (١/ ٧)، وحاشية ابن عابدين: لابن عابدين (ت ١٢٥٢)، بيروت- دار الفكر للطباعة، ١٤٢١ هـ. (٥/ ١٧٦).

(٣) هو الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود بن غافل بن حبيب ، الإمام الحبر فقيه الأمة أبو عبد الرحمن الهذلي المكي المهاجري البدري كان من السابقين الأولين ومن النجباء العالمين شهد بدرا وهاجر الهجرتين ومناقبه غزيرة روى علما كثيراً، حدث عنه أبو موسى وأبو هريرة وابن عباس وابن عمر وعمران بن حصين وجابر وأنس وأبو أمامة وغيرهم (ت ٣٢ هـ). ينظر: سير أعلام النبلاء ١/ ٤٦١.

(٤) المستدرك على الصحيحين: محمد بن عبد الله أبو عبد الله الحاكم النيسابوري (ت ٤٠٥)، تح: مصطفى عبد القادر عطا، بيروت- دار الكتب العلمية، ط١: ١٤١١ هـ = ١٩٩٠م. (٣/ ٨٣).

(٥) المصدر السابق نفسه.

(٦) نصب الرّاية: عبد الله بن يوسف الحنفي الزيلعي (ت ٧٦٢ هـ)، تح: محمد يوسف البنوري، مصر دار الحديث، ١٣٥٧ هـ.١٣٣/٤.

(٧) إسماعيل بن كثير بن ضوء بن كثير بن ضوء بن ذرع القرشي البصروي الدمشقي مولده سنة إحدى وسبعمائة وتفقه على الشيخين برهان الدين الفزاري وكمال الدين ابن قاضي شهبة وأقبل على علم الحديث وأخذ الكثير عن ابن تيمية وأقبل على حفظ المتون ومعرفة الأسانيد والعلل والرجال والتأريخ حتى برع في ذلك وهو شاب وصنف التأريخ المسمى بالبداية والنهاية (ت ٧٧٤ هـ)، ينظر: طبقات الشافعية: لأبي بكر بن أحمد بن محمد بن عمر بن قاضي شهبة (ت ٨٥١ هـ)، د.

ويقول ابن حجر العسقلاني[2]: ((لم أجده مرفوعاً، وأخرجه أحمد موقوفاً على ابن مسعود بإسناد حسن، وكذلك أخرجه البزار والطيالسي والطبراني وأبو عيم في ترجمة ابن مسعود، والبيهقي في كتاب الاعتقاد))[3].

الأصل في الحديث الموقوف وإنْ صحّ سنده عدم الاحتجاج به إلا ما كان له حكم المرفوع إلى رسول اللهﷺ ، وهذا هو حال الحديث الذي بين أيدينا لأن ما جاء فيه مما لا يصحّ الاجتهاد والرّأي فيه، فيكون كالمرفوع حكماً.

وأمّا بالنّسبة لاستخدام السنّة لكلمة المعروف: فهو كثير وفي باب المعاملات خاصّة، ولا يتّسع المقام لبسطه هنا، وسيأتي بشكل أوسع _ إن شاء الله تعالى _ لاحقاً وسأذكر هنا مثالاً واحداً:

((عن عائشة أن هند بنت عتبة قالت: يا رسول الله إن أبا سفيان رجل شحيح وليس يعطيني ما يكفيني وولدي إلا ما أخذت منه وهو لا يعلم فقال: خذي ما يكفيك وولدك بالمعروف))[4].

قال القرطبي: ((والمراد بالمعروف القدر الذي عرف بالعادة أنه الكفاية))[5]، فقوله: (بالمعروف) أي ما تعارف عليه أهل الزّمان من حدّ الكفاية، و لم يترك الكفاية مطلقة، بل أحال المرأة التي في وضع هند إلى العرف في تقدير ما يباح لها أخذه من وراء زوجها المقصر في الإنفاق، فيكون ما تعارف عليه الناس بأنه كفاية هو المقياس في هذه المسألة.

الحافظ عبد العليم خان، بيروت- عالم الكتاب، ط١: ١٤٠٧هـ.

(١) تحفة الطالب: إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي (ت ٧٧٤هـ)، تح: عبد الغني بن حميد بن محمود الكبيسي، مكة المكرمة- دار حراء، ط١: ١٤٠٦هـ. ١/ ٤٥٥.

(٢) هو أحمد بن علي بن حجر العسقلاني المصري صاحب فتح الباري شرح صحيح البخاري الإمام العلامة الحجة جمع من العلوم والفضائل والحسنات والكمالات والمبرات والتصنيفات والتأليفات مالا يأتي عليه الحصر، كان حافظا دينا ورعاً زاهداً عابداً مفسراً شاعراً فقيها أصولياً ومن كتبه: بلوغ المرام من أدلة الأحكام، وكتاب تلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافعي الكبير، ينظر: أبجد العلوم: صديق بن حسن القلوجي (ت ١٣٠٧هـ)، تح: عبد الجبار زكار، بيروت- دار الكتب العلمية، ١٩٧٨م، (٣/ ٩٥).

(٣) الدراية في تخريج أحاديث الهداية: أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ)، تح: السيد عبد الله هاشم اليماني المدني، بيروت- دار المعرفة. (٢/ ١٨٧).

(٤) متفق عليه وهذه إحدى روايات البخاري، ينظر: صحيح البخاري: محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري(ت ٢٥٦هـ)، تح: د. مصطفى ديب البغا، بيروت- دار ابن كثير واليمامة، ط٣: ١٤٠٧هـ = ١٩٨٧م. (٢٠٥٢/٥)، صحيح مسلم: مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري (ت ٢٦١هـ)، تح: محمد فؤاد عبد الباقي، بيروت- دار إحياء التراث. (٣/ ١٣٣٨).

(٥) فتح الباري: أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ)، تح: محب الدين الخطيب، بيروت- دار المعرفة. (٩/ ٥٠٩).

موقف علماء العقائد
من ظاهرة التكفير في الإسلام [١]

بقلم الدكتور / قدور الثامر

المقدمة:

برزت هذه الأيام ظاهرة التكفير بين الطوائف والفرق الإسلامية بشكل واسع في مختلف بقاع العالم الإسلامي ولاسيما في المناطق ذات التعدد الطائفي متأثرين بالواقع الأليم الذي تعيشه الشعوب الإسلامية في ظل هجمة استعمارية خطيرة هدفها الثوابت الإسلامية والثروات الوطنية مستغلين في هذه الهجمة التعدد الطائفي والتنوع العرقي في الدول الإسلامية المختلفة، إذ اعتمدوا على شرذمة من العملاء الذين كانت غالبيتهم من الطوائف والفرق المعزولة اجتماعيا وسياسيا ودينيا ثمّ إن هذه الشرذمة ليس لها أدنى خبرة بثقافة الأمة وثوابتها الدينية والشرعية فمزجوا بين النظام الإسلامي الحنيف والديمقراطية الغربية المشوهة، مزجا أدخل المنطقة في حرب طائفية وإقليمية لن تنتهي منها خلال عشرات السنين ثمّ إن هؤلاء السياسيين الجدد ليس لهم العمق الشعبي الكافي الذي يُمَكِّن لهم ولأفكارهم المستوردة في الوطن، ولذا كانت ردة الفعل من الجماعات الإسلامية المختلفة عنيفة وقوية جدا فاقت كل التوقعات إذ استخدموا أسهل الأسلحة وأمضاها في مواجهة الوضع الجديد ألا وهو سلاح التكفير من دون أن يعلموا خطورة هذا السلاح وآثاره الخطيرة على عقيدة الأمة ومستقبلها الإسلامي المأمول، فضلاً عن استغلال هذا الظرف من قبل أطراف إقليمية ودولية ليس من مصلحتها وحدة الأمة واستقرارها العقدي والسياسي فاهتبلت هذه الفرصة التاريخية التي انتظرتها قرونا لتنفيذ مشروعها الطائفي البغيض وفي ضوء هذه المعطيات والمقدمات قررتُ العودة إلى جذور هذه المشكلة ودراستها دراسة تأصيلية عقدية هادفة فوجدت أنها ترجع للأسباب الآتية:

١- بسبب تداعيات الغزو الفكري والعسكري والسياسي لمختلف بقاع العالم الإسلامي وأثره في شيوع هذه الظاهرة.

٢- تطرف بعض الطوائف والفرق الإسلامية وضيق أفقها السياسي والعقدي.

٣- بقاء بعض هذه الفرق أسيرة آثار الوقائع التاريخية الأليمة وعجزها عن تجاوزها.

٤- عدم تمكين الدعاة والمفكرين المعتدلين من أخذ دورهم الحقيقي في توعية الأغلبية الصامتة التي كانت من ضحايا هذه الأزمة الراهنة.

٥- الجهل في فهم مقاصد النصوص الشرعية ودلالاتها اللغوية والعقائدية، وعدم الدقة في النظر إلى الوقائع التاريخية.

ثم إني أرجو أن تسهم هذه الدراسة في حقن دماء المسلمين وتكفهم عن تكفير بعضهم

بعضاً، وتطفئ نار الفتنة الطائفية والعرقية في عالمنا الإسلامي العزيز.

***الكفر لغة:**

*الكفر لغة: التغطية والكافر ذو كفر: أي ذو تغطية لقلبه بكفره كما يقال للابس السلاح كافر: إذا غطَّاه سلاحه ..والكافر لما دعاه الله إلى توحيده فقد دعاه إلى نعمه، فلما أبى ما دعاه الله إليه كان كافرا لنعمة الله عليه أي مغطيا لها بإبائه، حاجبا لها عنه، ولأجل هذا سمي الكافر كافرا لأنه ستر نعم الله عز وجل عن نفسه ومن نعم الله إرسال الرسل وإنزال الكتب فمن لم يصدق بها وردها فقد كفر بنعمة الله ﷻ أي سترها وحجبها عن نفسه[1].

***الكفر اصطلاحا:**

والكفر في الاصطلاح: هو التكذيب المتعمد لشيء من كتب الله تعالى المعلومة أو لأحد من رسله عليهم السلام أو لشيء مما جاؤوا به إذا كان ذلك الأمر المكذب به معلوما بالضرورة من الدين[2].

*** والكفر صنفان:**

أحدهما: الكفر بأصل الإيمان وهو ضد الإيمان. ويلحق به من أنكر ركنا من أركان الإسلام كان كافرا بالإجماع..

والآخر: الكفر بفرع من فروع الإسلام، وهذا لا يخرجه عن أصل الإيمان[3].

*** - وقد قسم علماء العقائد الكفر إلى ثلاثة أنواع أساسية:**

النوع الأول: **الكفر العملي**: ويكون فيمن يؤمن بالله وبرسوله وباليوم الآخر وغيره من أركان الإيمان، ولكن الشيطان زَيَّنَ له الإيتاء ببعض الشركيات كمن اعتقد أن زيارة قبور أولياء الله الصالحين تنفع أوتضر أو تشفع له عند الله ﷻ فاعتقد ذلك كما فعل أهل الجاهلية في الأصنام، لكنه في الوقت نفسه مثبت التوحيد لله ﷻ ولا يجعل الأولياء آلهة كما فعل أهل الجاهلية بإنكارهم على رسول الله ﷺ لما دعاهم إلى كلمة التوحيد إذ قالوا: ﴿أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَهاً وَاحِداً إِنَّ هَـذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ﴾ (ص٥) وأشركوا بالله حقيقة فقالوا في التلبية (لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، إلا شريكا هو لك، تملكه وما ملك) فأثبتوا للأصنام شركة مع رب العالمين، وإن كانت مقولتهم قد أفادت أنه لا شريك له، كونه يملكه وما ملك، فليس شريكا لله ﷻ بل مملوك له، فعُباد الأصنام الذين جعلوا لله أندادا، واتخذوا من دونه شركاء، وتارة يقولون شفعاء يقربونهم إلى الله زلفى، بخلاف جهلة المسلمين أصحاب الكفر العملي المشار إليه، أي إن عملهم خالف قولهم وعلمهم[4].

* - أما عن النوع الثاني والثالث هما: **الكفر القولي والكفرالاعتقادي:**

وقد جمعت بين هذين النوعين لصعوبة الفصل بينهما، إن ممَّا أجمعت عليه الأمة أن الإيمان قول باللسان وعمل بالأركان وتصديق بالجَنَان، إذ إن الإيمان وإن قيل هو التصديق

فالقلب يصدق بالحق والقول يصدق ما في القلب والعمل يصدق القول، والتكذيب بالقول مستلزم للتكذيب بالقلب، إذ أعمال الجوارح تؤثر في القلب كما إن أعمال القلب تؤثر في الجوارح، فأيهما قام به كفرٌ تعدى حكمه إلى الآخر.

ومن قال بلسانه كلمة الكفر من غير حاجة عامدا لها عالما بأنها كلمة كفر فانه يكفر بذلك ظاهرا وباطنا قال الله ﷻ ﴿مَن كَفَرَ بِاللّهِ مِن بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلاَّ مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ وَلَـكِن مَّن شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْراً فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ اللّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ **(النحل١٠٦)**، ولم يرد الباري بالكفر هنا اعتقاد القلب فقط، لأن ذلك لا يُكره الرجل عليه وهو قد استثنى من أُكره، ولم يرد من قال واعتقد، لأنه استثنى المُكره وهو لا يُكره على الاعتقاد والقول معا، وإنما يُكره على القول فقط، فعُلم أنه أراد من تكلم بكلمة الكفر فعليه غضب من الله وله عذاب عظيم، وإنه كافر بذلك إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان، ولكن من شرح بالكفر صدرا من المكرهين فإنه كافر أيضا، فصار كل من تكلم بالكفر كافراً إلا من أُكره، فقال بلسانه كلمة الكفر وقلبه مطمئن بالإيمان، وقال ﷻ في حق المستهزئين: ﴿لاَ تَعْتَذِرُواْ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾ (التوبة)٦٦. فبين أنهم كفار بالقول مع أنهم لم يعتقدوا صحته، فإن التصديق بالقلب يمنع إرادة التكلم وإرادةُ فعلٍ فيه استهانة واستخفاف.

ثم إن الذي عليه الأمة أن من لم يتكلم بالإيمان بلسانه من غير عذر لم ينفعه ما في قلبه من المعرفة، وإن القول من القادر عليه شرط في صحة الإيمان، وقد اختلفوا في تكفير من قال إن المعرفة تنفع من غير عمل الجوارح، إذ قال القاضي عياض إن مالكا وسائر الفقهاء من التابعين ومن بعدهم إلاَّ من نُسب إلى بدعة، قالوا: الإيمان قول وعمل[٥].

وإن التوقف في أمر التكفير لا يمنع من معاقبة المبتدع في الدنيا لمنع بدعته، وأن يُستتاب فإن تاب منها، وإلا قتل ردة.

وكتاب الله يبين ذلك إذ صنف الله الخلق في كتابه **إلى ثلاثة أصناف:**

- كفار من المشركين ومن أهل الكتاب، وهم الذين لا يقرون بالشهادتين.
- المؤمنون باطناً وظاهرا، وهم المؤمنون.
- ومن أقر بالشهادتين ظاهرا لا باطنا، وهم المنافقون.

وهذه الأقسام الثلاثة مذكورة في أول سورة البقرة[6].

***القول في مراتب الإيمان والكفر:**

أجمعت الأمة على أن الإيمان يزيد وينقص وعلى هذا مذهب أهل الحديث وأهل السنة، وقالوا للإيمان مراتب بعضها فوق بعض فليس ناقص الإيمان ككامل الإيمان قال الله ﷻ: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ إلى قوله ﴿أُوْلَـئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ

حَقّاً﴾ (الأنفال) وكذلك قوله ﷺ: ((المؤمن من أمِنَهُ الناس)). وقوله: ((المسلم من سلم الناس من لسانه ويده))،أي: المؤمن حقا، ومن هذا قوله: ((أكمل المؤمنين إيمانا)) ومعلوم أن هذا لا يكون أكمل حتى يكون غيره أنقص، وقوله: ((أوثق عرى الإيمان الحب في الله والبغض في الله)). وقوله: ((لا إيمان لمن لا أمانة له)) يدل على أن بعض الإيمان أوثق وأكمل من بعض...، ومعلوم أن الإيمان قول وعمل ونية، لأن من لم يعمل هذه الأعمال لم يكن مؤمنا لأن انتفاء العمل دليل على انتفاء العلم من قلب المؤمن[7].

على خلاف الخوارج[٨] والمعتزلة[٩] والمرجئة[١٠]: الذين أنكروا أن للإيمان والكفر مراتب إذ قالوا: أن الشيء المركب إذا زال بعض أجزائه لزم زواله كله، قال شيخ الإسلام: فإنَّه يسلم لهم أن الهيئة الاجتماعية لم تبق مجتمعة كما كانت، لكن لا يلزم من زوال بعضها زوال سائر الأجزاء، وقد ثبت عن السلف الصالح قولهم: إن الذنب يقدح في كمال الإيمان ولا ينفيه مستدلين بقوله ﷺ (لايزني الزاني وهو مؤمن..)[١١]، ولهذا نفى الشارع الإيمان عمَّن قال بأن المجموع الذي هو الإيمان لم يبق مجموعا مع الذنوب، والصحيح أنه يذهب بعضه ويبقى بعضه، ولهذا كانت **المرجئة** تنفر من لفظ النقص أعظم من نفرتها من لفظ الزيادة لأنه إذا نقص لزم ذهابه كله عندهم، إن كان متعددا متبعضا وإن الأصل الذي أوقعهم في هذا الاعتقاد اعتقادهم أنه لا يجتمع في الإنسان بعض الإيمان وبعض الكفر، ووقعوا فيما هو مخالف لإجماع السلف رضي الله عنهم[12].

وإن إجماع أهل السنة على أن للإيمان والكفر مراتب لا ينفي اختلافهم اختلافا لفظيا لا يترتب عليه فساد لأن الاختلاف نشأ من اختلافهم في مُسمّى الإيمان هل هو قول وعمل يزيد وينقص أم لا، بعد اتفاقهم على أن من سماه الله ﷻ ورسوله كافرا نسميه كافرا إذ من الممتنع أن يسمي الله ﷻالحاكم بغير ما أنزل الله كافرا ويسمي رسوله من تقدم ذكره كافرا ولا نطلق عليهما اسم الكفر، ولكن من قال إن الإيمان قول وعمل يزيد وينقص قال هو كفر عملي لا اعتقادي، والكفر عنده على مراتب، وهو كفر دون كفر، كالإيمان هو: إيمان دون إيمان، ومن قال إن الإيمان هو التصديق ولا يدخل العمل في مسمى الإيمان، والكفر هو الجحود، ولا يزيدان ولا ينقصان، قال هو كفر مجازي غير حقيقي، إذ الكفر الحقيقي هو الذي ينقل عن الملة، وكذلك يقول الله ﷻفي تسمية بعض الأعمال بالإيمان كقوله﴿وَمَا كَانَ اللّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ﴾ (البقرة ١٤٣) أي: صلاتكم إلى بيت المقدس أنها سميت إيمانا مجازا لتوقف صحتها على الإيمان، أو لدلالتها على الإيمان، إذ هي دالة على كون مؤديها مؤمنا[13].

وهنا أمر يجب أن يُتفطن له وهو أن الحكم بغير ما أنزل الله قد يكون كفرا ينقل عن الملة، وقد يكون معصية وكفرا إما مجازيا وإما كفرا أصغر وذلك بحسب حال الحاكم، **وتفصيل ذلك:**

***أولا-**إن اعتقد الحاكم أن الحكم بما أنزل الله غير واجب وأنه مخير فيه أو استهان به مع تيقنه أنه حكم الله فهذا كفر أكبر.

***ثانيا_** وإن اعتقد وجوب الحكم بما أنزل الله وعلمه في هذه الواقعة وعدل عنه مع اعترافه بأنه مستحق للعقوبة فهذا عاص، ويسمى كافرا كفرا مجازيا، أو كفرا أصغر.

***ثالثا_** وإن جهل حكم الله فيها مع بذل جهده واستفراغ وسعه في معرفة الحكم وأخطأه فهذا مخطئ له أجر على اجتهاده، وخطؤه مغفور [14].

وقد أوجب المعتزلة جهنم لمن اقترف كبيرة واحدة في حياته، أما الخوارج فالأمر عندهم أفدح وأخطر إذ أوجبوا التكفير بارتكاب ذنب واحد مستندين في ذلك إلى ما عرف من قضية إبليس وما ورد في القرآن من الآيات الدالة على تخليد العاصي مثل قوله تعالى: ﴿بلَى مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ (البقرة٨١)وقوله: ﴿وَمَن يَعْصِ اللّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَاراً خَالِداً فِيهَا﴾ (النساء ١٤) وقوله: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِناً مُّتَعَمِّداً فجزاؤه جهنم خالدا فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعد له عذابا عظيما﴾ (النساء)، ومن استحق الخلود في النار كان مغضوبا عليه[15].

وقد أثبت المعتزلة لأصحاب الكبائر اسم أهل الصلاة والقبلة، وسبب إثبات هذا الاسم استحالة زوال الإيمان عنهم مع قولهم بالمنزلة بين المنزلتين[16].

وفي قوله ﷻ: ﴿إِن تَجْتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ﴾ (النساء) قالت المعتزلة: المراد إن تجتنبوا الخروج من الإيمان، نكفر عنكم سيئاتكم، ممَّا يعني أن لا كبيرة إلا كبيرة الخروج من الإيمان، وقالت الخوارج: كأنه قال إن تجتنبوا الكفر والشرك[17].

وفي الحقيقة فإن التكفير إنما يكون بالذنوب التي ليس فيها وعيد مخصوص، فأما التي فيها حد، أو وعيد في القرآن الكريم، فلا يزاد على تسمية صاحبها زانيا، وسارقا، ونحو ذلك، ثم الأصل في ذلك أن الله ﷻ ألزمه اسم الإيمان قبل ارتكابه ما ارتكب من الكبائر، وأزال عنه اسم الكفر بقوله: ﴿ قُولُواْ آمَنَّا بِاللّهِ﴾(البقرة١٣٦)وقوله: ﴿ آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللّهِ وَمَلآئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ﴾ (البقرة٢٨٥) فبين بما يكون المرء مؤمنا وحرم على من يقول لمثله لست مؤمنا بقوله﴿وَلاَ تَقُولُواْ لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلاَمَ لَسْتَ مُؤْمِناً﴾(النساء٩٤) وبين رسول الله ﷺ حين سأله جبريل عن الإيمان فبين ذلك وحقق له اسم المؤمن بالإقرار

بذلك، وكذلك أن رسول الله ﷺ قال: (أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، ويقيموا الصلاة، ويؤتوا الزكاة، فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام، وحسابهم على الله)[١٨][19]. ويضاف إليها ما أجمعت عليه الأمة من أنَّ للعالَم صانع واحد، قادر، عالم، مريد، متكلم سميع، بصير، حي، ليس كمثله شيء، وأن رسوله محمد بن عبد الله ﷺ صادق في كل ما جاء به، من الحشر، والنشر، والقيامة، والجنة، والنار. وهذه الاعتقادات هي التي تدور عليها صحة الدين، فمن رآها كفرا فهو كافر لا محالة، وإن من اعتقد وحدانية الله ونفى الشرك عنه، ولكنه تصرف في أحوال النشر والحشر والجنة والنار بطريق التأويل، لا التفصيل، دون إنكار الأصل، بل اعترف بأن الطاعة وموافقة الشرع واجبة، وكف النفس عن المحرمات والهوى سبب يفضي إلى السعادة، وأن إتباع الهوى ومخالفة الشرع فيما أمر ونهى يسوق صاحبه إلى الشقاوة، وقد قال ﷻ فيما حكى عنه: **(أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر)**[٢٠]، وكل ما يدرك من الجسمانيات فقد خطر على قلب بشر، أو يمكن إخطاره بالقلب، وزعم هذا القائل أن المصلحة الداعية إلى التمثيل للذات والآلام بالمألوف منها عند العوام، كالمصلحة في الألفاظ الدالة على التشبيه في صفات الله ﷻ وأنه لو كشف لهم الغطاء ووصف لهم جلال الله الذي لا تحيط به الصفات والأسماء وقيل لهم، صانع العالم موجود ليس بجوهر ولا عرض، ولا جسم ولا هو متصل بالعالم ولا هو منفصل عنه، ولا هو داخل فيه، ولا هو خارج عنه، لبادر الخلق إلى إنكار وجوده، فإن عقولهم لا تقوى على التصديق بوجود موجود ترده الأوهام والحواس وفيمن كان هذا منهجه، **قال الغزالي.** [21]:

- أما القول بإلهين اثنين فكفر صريح لا يُتوقف فيه ولا يستراب، وأما إذا اعترفوا بأصل السعادة والشقاوة وكون الطاعة والمعصية سبيلا إليهما فالتزاع في التفصيل كالتزاع في مقادير الثواب والعقاب، وذلك لا يوجب تكفيرا، والذي نختاره ونقطع به أنه لا يجوز التوقف في تكفير من يعتقد أن الجنة والنار مجرد أمثال تضرب للعوام، وإن كان يعتقد ذلك فقد كذب الله ورسوله ورد ما جاء به الشرع و لم ينفِه العقل ويخشى على عقيدته من الضلال. إذ إن لكلام الله وكلام رسوله وإجماع العلماء، **نواقض كنواقض الوضوء منها:**

*أولا - اعتقاد القلب وإن لم يعمل أو يتكلم، يعني إذا اعتقد خلاف ما عَلَّمَهُ الرسول أمته بعد ما تبين له هذا العلم.

*ثانياً_ كلام باللسان وإن لم يعمل و لم يعتقد. يعني أتى بمكفر من المكفرات.

*ثالثا_ أن يعمل بالجوارح عملا مكفرا وإن لم يعتقد ويتكلم، ولكن من أظهر الإسلام وظننا أنه أتى بناقض لا نكفره بالظن، لأن

اليقين لا يرفعه الظن، وكذلك لا نكفر من لا نعرف عنه الكفر بسبب ناقض ذُكر عنه، ونحن لم نتحققه[22].

- وهذا هو الصواب الذي يجب على كل مسلم اعتقاده والتزامه، وقد عرِفَ هذا **بأربع مسائل:**

***المسألة الأولى:** بيان التوحيد مع أنه لم يطرق آذان أكثر الناس.

* **المسألة الثانية:** بيان الشرك ولو كان في كلام من ينتسب إلى العلم، أو دعوة غير الله كمن قصد بشيء من العبادة غير الله، ولو زعموا أنهم يريدون أنهم شفعاء عند الله.

* **المسألة الثالثة:** تكفير من بان له أن التوحيد هو دين الله ورسوله، ثم أبغضه ونَفَّرَ الناس عنه، وجاهد من صدَّقَ الرسول فيه، ومن عرف الشرك، وأن رسول الله ﷺ بُعِث بإنكاره، وأقر بذلك ثم مدحه وحسَّنَهُ للناس، وزعم أن أهله لا يخطئون لأنهم السواد الأعظم. كمن تولى الغرب اليوم.

* **المسألة الرابعة:** الأمر بقتال هؤلاء خاصة حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله[23].

وقد أجمعت الأمة على أن الكافر: هو من عرف دين الرسول ﷺ ثم بعد ما عرفه سبه، ونهى الناس عنه، وعادى من فعله، فهذا هو الكفر الصريح، مع اليقين بكفر من آمن ببعض الكتاب وكفر ببعض، وقد ثبت عن جمهور العلماء أنهم يقولون من أنكر فرعا مجمعا عليه من الدين كفر، فكيف بمن أنكر الإيمان باليوم الآخر وسب المسلمين، وسفه أحلامهم، إذا صدَّقوا بالبعث والجنة والنار وغيرها من أركان الإيمان[٢٤].

*** وبالجملة فهذه أهم الأمور التي توجب التكفير لمن وقع فيها:**

- **الأول:** الشرك في عبادة الله وحده لا شريك له والدليل قوله ﷻ: ﴿إِنَّ اللَّهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ﴾ (النساء٤٨) ومنه الذبح لغير الله كمن يذبح للجن، أو للقباب، والقبور، والسادة، وغير ذلك.

-**الثاني:** من جعل بينه وبين الله وسائط يدعوهم ويسألهم الشفاعة،كمن يستشفع بالقبور والمزارات.

- **الثالث:** من لم يكفر المشركين أو شك في كفرهم أو صحح مذهبهم.

- **الرابع:** من اعتقد أن غير هدى النبي ﷺ أكمل من هديه، أو أن حكم غيره أحسن من حكمه، كالذين يفضلون حكم الطاغوت على حكم الله ﷻ.

- **الخامس:** من أبغض شيئا مما جاء به الرسول ﷺ ولو عمل به كفر إجماعا، والدليل قوله ﷻ: ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ ﴾(محمد ٩).

- **السادس:** من استهزأ بشيء من دين الله، أو ثوابه، أو عقابه، كفر والدليل قوله ﷻ: ﴿قُلْ أَبِاللّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ

تَسْتَهْزِئُونَ (٦٥) لاَ تَعْتَذِرُواْ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾ (٦٦التوبة).

- **السابع**: السحر فمن فعله أو رضي به كفر، والدليل قوله ﷻ: ﴿...وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولاَ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلاَ تَكْفُرْ﴾ (البقرة١٠٢).

- **الثامن**: مظاهرة المشركين ومعاونتهم على المسلمين والدليل قوله ﷻ: ﴿ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللّهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ (المائدة٥١).

- **التاسع**: من اعتقد أن بعض الناس لا يجب عليه اتباعه ﷺ وأنه يسعه الخروج من شريعته كما وسع الخضر الخروج من شريعة موسى عليهما السلام.

- **العاشر**: من أعرض عن دين الله لا يتعلمه ولا يعمل به، والدليل قوله ﷻ: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ ﴾ (السجدة٢٢).

ولا فرق في جميع هذه النواقض **بين** الهازل، والجاد، والخائف، إلا المُكره، وكلها من أعظم ما يكون خطرا، ومن أكثر ما يكون وقوعا، فينبغي للمسلم أن يَحْذَرَها ويخاف منها على نفسه[25].

***أثر فهم الحجة وبلوغ الحجة في مسألة التكفير:**

لابد من التفريق بين فهم الحجة وبلوغ الحجة ففهمها شيء وبلوغها شيء آخر فقد تقوم الحجة على من لم يفهمها، وإن الذي لم تقم عليه الحجة هو حديث العهد بالإسلام، أو نشأ ببادية بعيدة، ثم إن الله ﷻ أرسل الرسل مبشرين ومنذرين﴿ لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾ (االنساء ١٦٣-١٦٥) فكل من بلغه القرآن ودعوة الرسول فقد قامت عليه الحجة قال الله ﷻ: ﴿لأُنذِرَكُم بِهِ وَمَن بَلَغَ) (الأنعام١٩) وقال ﷻ : ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً ﴾ (الإسراء١٥) وقد أجمع العلماء على أن من بلغته دعوة الرسول ﷺ فإنَّ حجة الله قائمة عليه[26]. فلا يكفر حتى يَعْرِف الفرق بين بلوغ الحجة وفهم الحجة ومستلزماتهما. وأما أصول الدين التي وضحها الله وأحكمها في كتابه فإن حجته فيها هي القرآن، فمن بلغه فقد بلغته الحجة، ولكن أصل الإشكال هو في التفريق بين قيام الحجة وفهم الحجة، إذ إن الكفار والمنافقين لم يفهموا حجة الله مع قيامها عليهم كما قال ﷻ: ﴿ أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلاً﴾ (الفرقان٤٤) وقال ﷻ:﴿وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْراً﴾(الأنعام٢٥) وكفَّرَهم الله ببلوغها إياهم مع كونهم لم يفهموها.. ولا ينبغي لأحد أن يُكَفِّر الناس ابتداء إلا بعد قيام الحجة وبلوغهم الدعوة، لأنهم إذ ذاك في زمن فترة وعدم علم بآثار الرسالة، و لجهلهم وعدم وجود من ينهاهم عن الكفر، فأما إذا قامت الحجة فلا مانع من تكفيرهم وإن لم يفهموها[27]..وقد ذكر شيخ

الإسلام وتلميذه ابن القيم رحمهما الله في غير موضع أن نفي التكفير بالمكفرات قوليها وفعليها يكون فيما يخفى دليله، وما لم تقم الحجة على فاعله، ونفي التكفير يراد به: نفي تكفير الفاعل وعقابه قبل قيام الحجة عليه، وأن نفي التكفير مخصوص بمسائل التراع بين الأمة[٢٨]..

*جريمة تكفير المعينين[٢٩]:

درج أهل السنة والجماعة على عدم تكفير من خالفهم وإن كان ذلك المخالف يكفرهم، لأن الكفر إطلاق حكم شرعي فليس للإنسان أن يعاقب بمثله، لأن الزنا والكذب حرام لحق **الله** ﷻ وكذلك التكفير حق لله ﷻ فلا يُكَفَّر إلا من كفره الله ورسوله، وأيضا فان تكفير الشخص المعين وجواز قتله موقوف على أن تبلغه الحجة النبوية التي يكفر من خالفها وإلا فليس كل من جهل شيئا من الدين يكفر، ولأجل هذا كان ابن تيمية يقول للذين ينفون أن يكون الله ﷻ فوق العرش أنا لو وافقتكم كنت كافرا لأني أعلم أن قولكم كفر، وأنتم عندي لا تكفرون لأنكم جُهال، وحقيقة الأمر أن القول قد يكون كفرا فيطلق القول بتكفير صاحبه، ويقال: من قال كذا فهو كافر، لكن الشخص المعين الذي قال ذلك لا يحكم بكفره حتى تقوم عليه الحجة التي يكفرُ تاركها وهذا كما هو في نصوص الوعيد فانَّ الله يقول: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْماً إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَاراً﴾ (النساء) فهذا أو نحوه من نصوص الوعيد حق لكن الشخص المعين لا يُشهد عليه بالوعيد فلا يُشهد لمعين من أهل القبلة بالنار لجواز أن لا يلحقه الوعيد لفوات شرط، أو ثبوت مانع، فقد لا يكون التحريم بَلَغَهُ، وقد يتوب من فعل المحرم ونحو ذلك، **و** من أعظم البغي أن يشهد عليه أن الله لا يغفر له ولا يرحمه أو يخلده في النار، فإن هذا حكم الكافر بعد الموت[30].

وقد ثبت عن أبي هريرة ﷺ أنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول كان رجلان في بني إسرائيل متآخيين فكان أحدهما يذنب والآخر مجتهد في العبادة فكان لا يزال المجتهد يرى الآخر على الذنب فيقول أقْصِر فوجده يوما على ذنب فقال له أقْصِر فقال خلِّني وربي أبُعِثْتَ علي رقيبا فقال: واللهِ لا يغفر الله لك أو لا يدخلك الله الجنة، فقبض أرواحهما فاجتمعا عند رب العالمين فقال لهذا المجتهد أَكُنْتَ بي عالما أم كنت على ما في يدي قادرا، وقال للمذنب اذهب فادخل الجنة برحمتي، وقال للآخر اذهبوا به إلى النار، قال أبو هريرة والذي نفسي بيده إنه تكلم بكلمة أوبقت عليه دنياه وآخرته، ولأن الشخص المُعين يمكن أن يكون مجتهدا مخطئا مغفورا له، ويمكن أن يكون ممن لم يبلغه ما وراء ذلك من النصوص، ويمكن أن يكون له إيمان عظيم وحسنات أوجبت له رحمة الله [31].

وهكذا الأقوال التي يُكَفَّرُ قائلها قد يكون الرجل لم تبلغه النصوص الموجبة لمعرفة الحق أو لم تثبت عنده أو لم يتمكن من فهمها أو لم

يفهمها لشبهة عرضت له يعذره الله بها فمن كان من المؤمنين مجتهدا في طلب الحق وأخطأ فان الله يغفر له خطأه كائنا من كان سواء في المسائل النظرية أو العملية ومن عيوب أهل البدع أنهم يكفر بعضُهم بعضا، ومن ممادح أهل العلم أنهم يُخَطِّئون بعضهم بعضا ولا يكفِّرون أحدا حتى تقوم عليه الحجة للأسباب الآتية:

- لأن الذي يدعو إلى البدعة أعظم خطرا من الذي يقولها.

-ولأن الذي يعاقب مخالفه أعظم من الذي يدعو إلى البدعة فقط.

- ولأن الذي يُكَفِّر مخالفه أعظم خطرا من الذي يعاقب مخالفه في الرأي.

ولك أن تلحظ أن الذين كانوا من ولاة الأمور في عصر المعتزلة كانوا يقولون بقولهم من أن القرآن مخلوق، وأن الله لا يُرى في الآخرة وغير ذلك، من تعطيل أسمائه وصفاته، ويدعون الناس إلى ذلك ويمتحنونهم، وكان الإمام أحمد يترحم عليهم، ويستغفر لهم، لعلمه أنهم لم يتبين لهم أنهم يُكذبون الرسولﷺ ولا جاحدون لما جاء به، ولكن تأولُوا فأخطأوا وقلدوا من قال ذلك.

وكذلك الإمام الشافعي ﷺ لما قال: (لحفص الفرد) حين قال حفص: القرآن مخلوق، قال له الشافعي: كفرت بالله العظيم، فبين بذلك أن هذا القول كفر، ولم يحكم بردة حفص بمجرد ذلك، لأنه لم تتبين له الحجة التي يكفر بها، ولو اعتقد أنه مرتد لسعى في قتله، وقد صرح في كتبه بقبول شهادة أهل الأهواء والصلاة خلفهم[32].

وقال الإمام مالك والشافعي وأحمد في القدري[٣٣] إنْ جَحَدَ علمَ الله كفر، ولفظ بعضهم: ناظروا القدرية بالعلم فان أقروا به خَصِمُوا، وإن جحدوه كفروا، وسُئِل الإمام أحمد عن القدري هل يكفر فقال: إن جحد العلم كفر حينئذ، وأما قتل من يدعو للبدع، فقد يقتل لكف ضرره عن الناس، كما يقتل المحارب وإن لم يكن في نفس الأمر كافرا، فليس كل من أمر الشرع بقتله يكون قتله لردته، وعلى هذا كان قتل الجعد بن درهم[٣٤] وغيره من أهل البدع[35].

وبين الأصوليين خلاف في تكفير أهل الأهواء مع قطعهم بأن المصيب واحد بعينه لان التكفير حكم شرعي، والتصويب حكم عقلي، فمن مبالغ متعصب لمذهبه كَفَّرَ وضلل مخالفه، ومن متساهل متآلف لم يُكفِّر أحدا وقضى بالتضليل، وحكم بأنهم هلكى في الآخرة[36] والله أعلم.

والذي عليه الأمة فالشخص المعين إذا صدر منه ما يوجب كفره من مثل عبادة غير الله ﷻ، و جحد علو الله على خلقه، ونفى صفات كماله ونعوت جلاله الذاتية والفعلية، ومسألة علمه بالحوادث والكائنات قبل كونها، فإن كان جهلا لايكفر،أما من كَفَّرَ معطلة الذات ومعطلة الربوبية، ومعطلة الأسماء والصفات، ومعطلة إفراده ﷻ بالألوهية، والقائلين بأن الله لا يعلم الكائنات قبل كونها

كغلاة القدرية، ومن قال بإسناد الحوادث إلى الكواكب العلوية، ومن قال بالأصلين النور والظلمة، فإن من التزم هذا كله فهو أكفر وأضل من اليهود والنصارى، وهل أوقع الاتحادية والحلولية فيما هم عليه من الكفر البواح، والشرك العظيم والتعطيل لحقيقة وجود رب العالمين، إلا خطأهم في هذا الباب الذي اجتهدوا فيه فضلوا وأضلوا عن سواء السبيل، وهل قُتِل الحلاج إلا باتفاق أهل الفتوى على قتله، وإلا بضلال اجتهاده، وهل كُفْرُ القرامطة وانتحالهم ما انتحلوه من الفضائح الشنيعة وخلع ربقة الشريعة إلا باجتهادهم فيما زعموا، وهل قالت الرافضة ما قالت واستباحت ما استباحت من الكفر والشرك وسب أصحاب رسول الله ﷺ إلا بضلال اجتهادهم (٣٧).

وقد ثبت عن شيخ الإسلام قوله: وليس في الطوائف أكثر تكذيبا بالصدق وتصديقا بالكذب من الرافضة، فإن رؤوس مذهبهم وأئمته والذين ابتدعوه وأسسوه كانوا منافقين زنادقة، كما ذُكر ذلك عن غير واحد من أهل العلم، وهذا ظاهر لمن تأمله، بخلاف الخوارج فإن قولهم كان عن جهل بتأويل القرآن، وغلو في تعظيم الذنوب، وكذلك قول الوعيدية والقدرية((المعتزلة))، فإن قولهم كان عن تعظيم الذنوب، وكذلك قول المُرجئة إذ كان أصل مقصودهم نفى التكفير عمن صدَّق الرسل عليهم الصلاة والسلام، ولهذا لم يقل أحد عن أئمتهم أنهم زنادقة منافقون، بخلاف الرافضة فإن رؤوسهم كانوا كذلك، مع أن كثيرا منهم ليسوا منافقين، ولا كفارا، بل بعضهم له إيمان، وعمل صالح، ومنهم من هو مخطئ، قد تغفر له خطاياه، لكن جهله بمعنى القرآن والحديث أبعده عن جادة الحق وقول الحق واعتقاد الحق، غفر الله لنا ولهم(38).

وشيخ الإسلام وتلميذه ابن القيم رحمهما الله ﷻ قد صرحا في غير موضع أن الخطأ والجهل قد يُغفرا لمن لم يبلغه الشرع و لم تقم عليه الحجة في مسائل مخصوصة إذا اتقى الله ما استطاع واجتهد بحسب طاقته(٣٩).

***أثر الخاص والعام في تكفير المعينين:**

اختلفت الأمة في أُناس معينين أقروا بأن التوحيد هو دين الله ورسوله، ولكن هؤلاء المعينين هل تركوا التوحيد بعد معرفته وصدوا الناس عنه، أم فرحوا به وأحبوه ودانوا به، وتبرؤوا من الشرك وأهله، فهذه جملة أمور يرجع فهمها إلى علم الخاص والعام..إذ إن ثبوت الكفر في حق الشخص المعين كثبوت الوعيد في الآخرة في حقه، وذلك له شروط وموانع يُتوقف فيها(40).

.فالتكفير حق لله فلا يُكَفَّرُ إلا من كَفَّرَهُ الله ورسوله، وأيضا فإن تكفير الشخص المعين وجواز قتله موقوف على أن تبلغه الحجة النبوية، التي يَكْفُرُ من خالفها، وإلا فليس كل من جهلَ شيئا من الدين يكفر(41) ..وحكم المستحلين للتكفير يُستتابون، فإن أصروا على الاستحلال كفَرُوا، وإن أقروا به جُلِدوا، فلا يحل أن يُكفِّروهم بالاستحلال ابتداء لأجل

الشبهة التي عرضت لهم، حتى يتبين لهم الحق، فإذا أصروا على الجحود كَفَرُوا، وقد ثبت في الصحيحين حديث الذي قال لأهله (إذا أنا مِتُ فاحرقوني حتى إذا صرت فحما فاسحقوني أو قال: (فاسحكوني) فإذا كان يوم ريح عاصف فأذروني فيها فقال نبي الله ﷺ : فأخذ مواثيقهم على ذلك وربي ففعلوه ثم أذروه في يوم عاصف فقال الله عز وجل: كن فإذا هو رجل قائم قال اللهﷻ: أي عبدي ما حملك على ما فعلت، قال: مخافتك أو فرقٌ منك قال: فما تلافاه أن رحمه)[٤٢] فهذا اعتقد أنه إذا فعل ذلك لا يقدرُ الله على إعادته، وأنه لا يعيده، أو جوَّزَ ذلك، و كلاهما كفر، لكن كان جاهلا، لم يتبين له الحق[43]، فغفر اللهﷻ له.

..وقد كفر من قال بأن عذاب الآخرة خال عن المصلحة والحكمة، وأن ذلك لا يجوز على مختار عليم حكيم، فقولهم أن التعذيب لغير حكمة، ولا يجوز على الله حق وصواب، لكنهم قصروا في علم السمع، فظنوا أنه ورد بأن ذلك العذاب خال من الحكمة، وهذه دعوى باطلة بالإجماع.. وقد ادعى ذلك بعض الروافض، وكثير من الوعيدية، المبالغين في التكفير، والتفسيق، والتقنيط، والتبرئ من كثير من أهل الإسلام الذين لهم ذنوب وهفوات لا تخرج عن الإسلام، كمن خاض في مسألة خلق القرآن، وكفَّرَ كل من خالفه من دون برهان، حتى اعتقد بعض جهلة الحنابلة قدم تلاوة القرآن وجحد حدوث الورق والحبر[44].

نخلص من هذا إلى أنَّ التكفير والتفسيق بالتأويل لا يفيد إلا الظن. **وفيه أربعة أقوال:**

***الأول:** أنه لا كفر بالتأويل.

***الثاني:** أنه يُكَفَّرُ بالتأويل ولكن لا تجري عليهم أحكام الكفار في الدنيا.

***الثالث:** أن أمرهم إلى الإمام في الأحكام.

***الرابع:** أنه كالكفر بالتصريح، فيكون قتالهم إلى آحاد الناس على الصحيح.

والأصل في الكفر أنه: التكذيب المتعمد لشيء من كتب الله ﷻ المعلومة أو لأحد من رسله عليهم السلام أو لشيء مما جاؤوا به إذا كان ذلك الأمر المكذب به معلوما من الدين بالضرورة [45] ومن أقبح التكفير ما استند إلى وجه ينكره المخالف من أهل المذهب...كتكفير الأشعرية بالجبر الخالص الذي هو قول الجهمية الجبرية، وهم ينكرونه والله ﷻ يقول: ﴿وَلاَ تَقُولُواْ لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلاَمَ لَسْتَ مُؤْمِناً﴾ (النساء٩٤) ومن العجب أن المُكَفِّرين ..لم يسعوا إلى تكفير النصارى الذين قالوا: إن الله ثالث ثلاثة ومن قال بقولهم، مع نص القرآن على كفرهم إلا بشرط أن يعتقدوا ذلك مع القول، وعارضوا هذه الآية الظاهرة بعموم مفهوم قوله: ﴿وَلَـكِن مَّن شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْراً﴾ (النحل١٠٦).. مع وضوح الآية الكريمة في الكفر بالقول.. والحق أنا لا نكفِّر أحداً من أهل القبلة إلا بإنكار

متواتر من الدين فإنه حينئذ يكون مكذبا للشرع، وليس مخالفة القواطع مأخذا للتكفير..وقد تورع الجمهور من تكفير من اقتضت النصوص كفره، فكيف لا يكون الورع أشد من تكفير من لم يَرِدْ في كفره نص واحد(٤٦).

وقال الإمام الطحاوي: لا نكفر أحدا من أهل القبلة بذنب ما لم يستحله، ولا نقول لا يضر مع الإيمان ذنب لمن عمله. وأهلُ قبلتنا مسلمون مؤمنون ما داموا بما جاء به النبي ﷺ معترفين و بكل ما قال وما أخبر مصدقين،..وأراد بهذا الكلام الرد على الخوارج القائلين بالتكفير بكل ذنب، إذ قال: واعلم أن باب التكفير وعدم التكفير باب عظمت الفتنة والمحنة فيه وكثر فيه الافتراق وتشتت فيه الأهواء والآراء وتعارضت فيه دلائل الناس وقد ثبت عن ابن سيرين أنه قال: إن أسرع الناس ردة أهل الأهواء، وكان يرى أن هذه الآية نزلت فيهم: ﴿وإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ﴾ (الأنعام) ولهذا امتنع كثير من الأئمة عن إطلاق القول بأنَّا لا نُكَفِّرُ أحدا بذنب، بل الأولى أن يقال: لا نكفرهم بكل ذنب، كما تفعله الخوارج. فثمَّة فرقٌ بين **النفي العام ونفي العموم**، والواجب إنما هو نفي العموم، مناقضة لقول الخوارج الذين يكفرون بكل ذنب ولهذا قيده الطحاوي: بقوله ما لم يستحله، وفي قوله: ما لم يستحله فيه إشارة إلى أن مراده من هذا النفي العام لكل ذنب من الذنوب العملية لا العلمية، وفي هذا إشكال إذ إن الشارع لم يكتف من المكلف في العمليات بمجرد العمل دون العلم، ولا في العلميات بمجرد العلم دون العمل، وليس العمل مقصورا على عمل الجوارح، بل أعمال القلوب أصل لعمل الجوارح، وأعمال الجوارح تبع لها، ولأجل هذا قال الطحاوي: إلا أن يستحله بمعنى: يعتقده أو نحو ذلك(47).

وقول الطحاوي: ولا نقول لا يضر مع الإيمان ذنب لمن عمله...رد على المرجئة، فإنهم يقولون لا يضر مع الإيمان ذنب كما لا ينفع مع الكفر طاعة فهؤلاء في طرف والخوارج في طرف آخر إذ يقولون نكفر المسلم بكل ذنب، أو بكل ذنب كبير، وقالت المعتزلة يَحْبُطُ إيمانه كله بالكبيرة، فلا يبقى معه شيء من الإيمان ولكنه لا يدخل في الكفر، وهذه هي **المنزلة بين المنزلتين**، وبقولهم بخروجه من الإيمان أوجبوا عليه الخلود في النار، وزادت الخوارج على المعتزلة إذ قالت: بل يخرج من الإيمان ويدخل في الكفر. مع أن النصوص المتواترة قد دلت على أن الله يُخرجُ من النار من في قلبه مثقال ذرة من إيمان ونصوص الوعد التي يحتج بها أهل السنة تعارض نصوص الوعيد التي يحتج بها المعتزلة والخوارج(48). ولابن تيمية في مسألة التكفير **قولان مهمان:**

***أولهما:** (أنه يكفر بترك واحد من الأركان الأربعة حتى الحج وإن كان في جواز

تأخيره نزاع بين العلماء فمتى عزم على تركه بالكلية كفر) وهذا قول طائفة من السلف.

***وثانيهما:** (أنه لا يكفر بترك شيء من ذلك مع الإقرار بالوجوب) وهذا هو المشهور عند كثير من الفقهاء من أصحاب أبي حنيفة ومالك والشافعي[٤٩].

وقد ثبت عنه ﷺ أنه قال: **(إن الله تجاوز لي عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه)**[٥٠] وقد أجمعت الأمة على أنه ليس كل من قال قولا وأخطأ فيه أنه يكفر بذلك، وإن كان قوله مخالفا للسنة، فتكفير كل مخطئ خلاف الإجماع، لكن للناس نزاع في المقصود بالتكفير هنا (إذ ليس لكل من الطوائف المنتسبين إلى مذهب من المذاهب، أن يُكفِّروا من خالفهم، بل في الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: **(إذا قال الرجل لأخيه يا كافر فقد باء بها أحدهما)**[٥١].

الهوامش:

1 - المصري/محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط١ ج:٥ ص:١٤٦-١٤٧.

٢ - ابن الوزير/محمد بن نصر المرتضى اليماني، إيثار الحق على الخلق في رد الخلافات، دار الكتب العلمية بيروت، ١٩٨٧م، ط٢، ج١/ص٣٧٦.وابن حجر الهيتمي/أبي العباس أحمد بن محمد بن محمد بن علي ، الصواعق المحرقة على أهل الرفض والضلال والزندقة، بتحقيق/عبد الرحمن بن عبدالله التركي، وكامل محمد الخراط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٩٧م، ط١، ج:١ ص:١٣٢

3- الحنفي /ابن أبي العز، شرح العقيدة الطحاوية،المكتب الإسلامي، بيروت،١٣٩١هـ ط٤، ج:١ ص:٣٥٠-٣٦١.

4 - ابن تيمية/الصارم المسلول على شاتم الرسول، بتحقيق:محمد عبد الله عمر الحلواني، دار ابن حزم، بيروت، ١٤١٧هـ، ط١.ج:٣ ص:٩٧٣-٩٧٤.

5 - ابن تيمية/ الصارم المسلول على شاتم الرسول ج:٣ ص:٩٧٤ -٩٧٦.

6- الحنفي/ ابن أبي العز،شرح العقيدة الطحاوية، ج:١ ص:٣٥٨

7- أحمد بن إبراهيم بن عيسى/ شرح قصيدة ابن القيم، نشر المكتب الإسلامي، تحقيق زهير الشاويش، بيروت، ١٤٠٦هـ. ج:٢ ص:١٤٣

8 سموا بالخوارج أو المحكمة الأولى الذين خرجوا على الإمام علي رضي الله عنه بعد حادثة التحكيم في صفين، ينظر ، الإسفراييني/ طاهر بن محمد، التبصير في الدين ، بتحقيق: كمال يوسف الحوت، عالم الكتب، بيروت، ١٩٨٣م، ط١، ج١ ص٤٥.

9 - سموا بالمعتزلة لاعتزال شيخهم واصل بن عطاء حلقة التابعي الجليل الحسن البصري إثر إعلان موقفه من مرتكب الكبيرة، إذ قال الحسن: اعتزلنا واصل، وقد عرفوا بأصولهم الخمسة: العدل،والوحيد، والمنزلة بين المنزلتين، والوعد والوعيد، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. ينظر: الرازي أبو عبد الله/ اعتقادات فرق المسلمين والمشركين،بتحقيق: علي سامي النشار، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٢هـ،ص٣٩.

10 - سموا بالمرجئة لأنهم يعتقدون أن الله أرجأ تعذيبهم على المعاصي، وأنه لايضر مع الإيمان ذنب ولا مع الكفر طاعة:ينظر: الماتريدي/أبو منصور، التوحيد، بتحقيق: د.فتح الله خليف، دار الجامعات، الإسكندرية، ص٣٨١فما بعدها. و ابن منظور، لسان العرب: ج١،ص٨٤.

11 -أبو المعالي/ عمر بن عبد الرحمن القزويني، مختصر شعب الإيمان للبيهقي، بتحقيق: عبدالقادر الأرناؤوط، دار ابن كثير، دمشق، ١٤٠٥هـ، ط٢، ص ٧٤. وينظر: ابن تيمية: أبي العباس تقي الدين أحمد بن عبد الحليم، منهاج السنة النبوية، تحقيق: محمد رشاد سالم، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، ط٢ ١٤٠٩هـ١٩٨٩م.وكذلك ط الطبعة الكبرى الأميرية ببولاق، مصر، ١٣٢٢هـ ، ج٥ص٢٠٧.

12- أحمد بن إبراهيم بن عيسى/ شرح قصيدة ابن القيم، ج:٢ ص:١٤٥-١٤٦.

13- الحنفي /ابن أبي العز، شرح العقيدة الطحاوية ج:١ ص:٣٦٢

14- المصدر نفسه، ج:١ ص:٣٦٣-٣٦٥.

والدمشقي/ علي بن الحسن بن هبة الله بن عساكر/ تبيين كذب المفتري، دار الكتاب العربي، بيوت، ١٤٠٤ط٣،ج١ص٣٥٣و٤٠٩

15- ابن تيمية/أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، الجواب الصحيح، بتحقيق:علي سيد صبح المدني، مطبعة المدني، مصر،ص٥٤-٥٦ ، ج١/ص١١٠.

16- الماتريدي/ أبو منصور، التوحيد، ج١، ص٣٤٠. والبغدادي/ عبد القاهر بن طاهر بن محمد أبو منصور، الفرق بين الفرق، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ١٩٧٧م، ط٢، ج:١ ص:٥٦ .

17- الماتريدي/ أبو منصور، التوحيد، ج:١ ص:٣٤١
18 - البخاري الجعفي/ محمد بن إسماعيل أبو عبدالله، الجامع الصحيح، بتحقيق/ د. مصطفى ديب البغا،دار ابن كثير بيروت، ١٩٨٧م، ط٣،ج١ص١٧وج٦ص٢٦٥٧. والحنفي، شرح العقيدة الطحاوية، ج١ص٣٩٣.
19- الماتريدي/ أبو منصور، التوحيد، ج:١ ص:٣٤٢،٣٤٣ / و الشهرستاني/ محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد /الملل والنحل، نشر دار المعرفة، تحقيق محمد سيد كيلاني، بيروت، ١٤٠٤هـ ج:١ ص:١١٨
20 - البخاري الجعفي/ محمد بن اسماعيل أبو عبدالله، الجامع الصحيح، ج٣، ص١١٨٥.
21- الغزالي/ أبو حامد، فضائح الباطنية، بتحقيق/ عبد الرحمن بدوي، مؤسسة دار الكتب، الكويت،ج:١ ص:١٥١-١٥٢ .
22- المصدر نفسه، ج:١ ص:١٥٤،١٥٣.
23- محمد بن عبد الوهاب،مؤلفات الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب في العقيدة،بتحقيق/ عبد العزيز زيد الرومي ومحمد البلتاجي و سيد حجاب، نشر: جامعة الإمام محمد بن سعود، الرياض، ج:١ ص:٢٤-٢٥.
٢٤ - محمد بن عبد الوهاب، مؤلفات الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب في العقيدة ج:١ ص:١٩٦-١٩٧
25- المصدر نفسه، ج:١ ص: ٢١٢--٢١٤
٢٦ - الخثعمي/ سليمان بن سحمان، كشف الأوهام، بتحقيق/ عبد العزيز بن عبد الله الزير، دار العاصمة، الرياض، ١٤١٥هـ ط١،ص١٥٩
٢٧ - المصدر نفسه، ص١٦٠. و ينظر: محمد بن عبد الوهاب، مؤلفات الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب في العقيدة، ج:١ ص: ٢٤٤.
٢٨ - الخثعمي/ سليمان بن سحمان، كشف الأوهام، ص١٤٥و١٦٤.
29 - فإنه من أعظم البغي أن تشهد بأن فلان (تُعينه) لن يغفر الله له أو لن يرحمه أو أنه من أهل النار ، فإن هذا حكم الكافر بعد الموت. ينظر: ياسين /د. محمد نعيم، الإيمان/ أركانه حقيقته نواقضه، ص٢٠٨.
30- أحمد بن إبراهيم بن عيسى/ شرح قصيدة ابن القيم، ج:٢ ص:٤٠٦.
31- الحنفي /ابن أبي العز، شرح العقيدة الطحاوية ج:١ ص:٣٥٧
32- أحمد بن إبراهيم بن عيسى/ شرح قصيدة ابن القيم، ج:١ ص:٤٥و٥٠و٥٥.
33 - هو الذي يُجوِّز أن يقع مالا يشاء الله وأن يشاء مالا يقع. ينظر زاد المعاد ،ج٣، فصل في ذكر بعض الحكم والغايات.
34 -كان يقول بالقدر ونفي الصفات وأن الله لم يكلم موسى تكليما إلى آخر ما تقول به فرقة المعتزلة الأوائل.ينظر المصدر نفسه.
35- أحمد بن إبراهيم بن عيسى/ شرح قصيدة ابن القيم، ج:١ ص:٤٥و٥٠و٥٥.
36- الشهرستاني/ محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد /الملل والنحل،ج:١ ص:٢٠٣ .
٣٧ - الخثعمي/ سليمان بن سحمان، كشف الأوهام، ص١٤٨.
38- ابن تيمية، منهاج السنة النبوية ج:٦ ص:٣٠٢
٣٩ - الخثعمي/ سليمان بن سحمان، كشف الأوهام، ص١٤٨و١٤٤.
40- ابن تيمية: منهاج السنة النبوية، ج:٥ ص:٢٤٠ / وج٦ ص:٢٥٣.
41-ابن تيمية/ تلخيص كتاب الاستغاثة ج:٢ ص:٤٩٢
42 - البخاري الجعفي/ محمد بن إسماعيل أبو عبد الله، الجامع الصحيح،ج٦ص٢٧٦٢.
43-ابن تيمية: تلخيص كتاب الاستغاثة ج:٢ ص:٤٩٣
44- ابن الوزير/محمد بن نصر المرتضى اليماني، إيثار الحق على الخلق في رد الخلافات، ج:١ ص:١١٨
45- ابن الوزير/إيثار الحق على الخلق في رد الخلافات ج:١ ص:٣٧٦
٤٦ - المصدر نفسه، ج:١ ص:٣٧٩، ٣٨٦
47- الحنفي /ابن أبي العز، شرح العقيدة الطحاوية ج:١ ص:٣٥٥
48- المصدر نفسه، ج:١ ص٣٥٦-٣٥٧
٤٩ - ابن تيمية/أحمد بن عبد الحليم بن تيمية،توحيد الألوهية، بتحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي النجدي،مكتبة ابن تيمية،ط٢، ج:٧ ص:٦١٠ .
50 - ابن تيمية/ منهاج السنة، ج٤ص٤٥٨، والحديث في صحيح ابن حبان، ج٢٩، كتاب مناقب الصحابة، باب فضل الأمة.
٥١ -ابن تيمية/ توحيد الألوهية ج:٧ ص:٦٨٥ .

فقه الأخلاق

قراءة في كلمات ابن تيمية_ الحلقة الثانية

الكـــبر

بقلم

د/ عامر حسين أبو سلامة

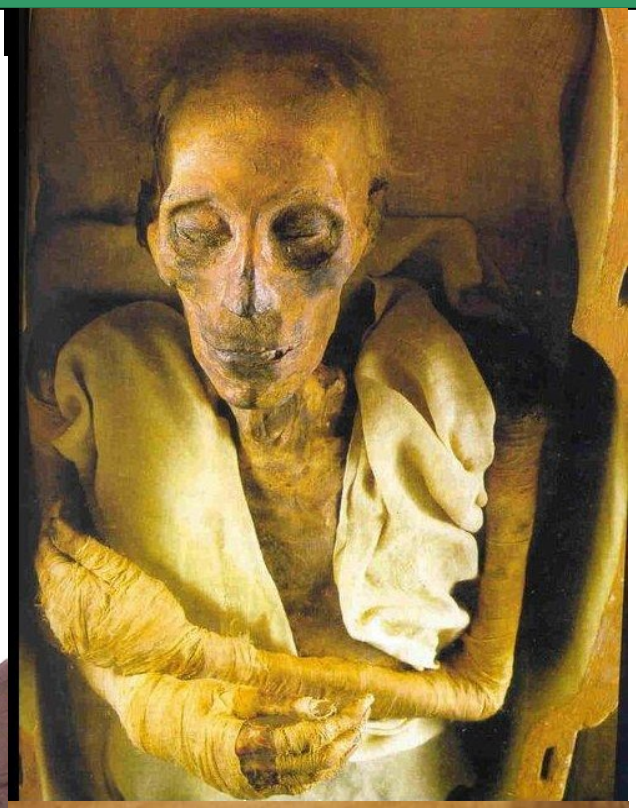

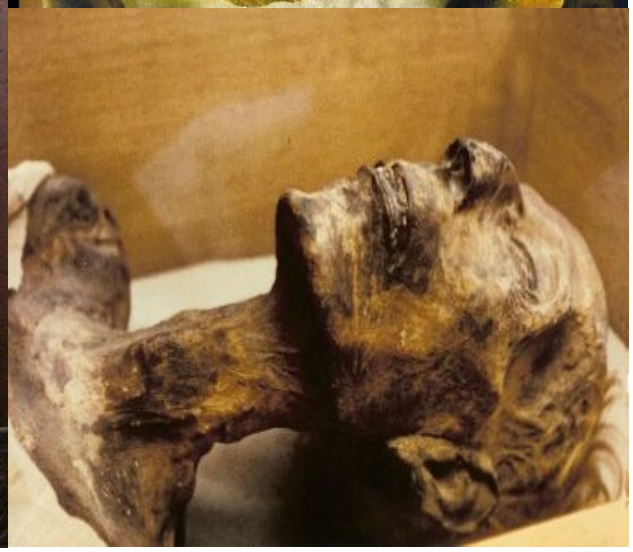

من أكبر المصائب التي يبتلى بـــها الناس، ونحط من أقدارهم، وتقلل من قيمتـــهم، وتكون سببا في فتنتهم، بل تترلهـــم إلى الحضيض، وتوقعهم في ما لا يحمد عقباه مصيبة (الكـــبر)، التي ربما ظن أصحابه، والممارســـون لـــه، والواقعـــون فيـــه، والمتعلقون بحبائله، أنهم يحسنون صـــنعا، ويعملون خيرا، ويحققون ـــ من خـــلال هذا الأمرـــ ذاهم!!!

فهذا مغرور بعلمه وثقافته، فـــلا يقبل إلا ما يرى، ويرد على صاحب كل فكـــرة، ويجـــادل في مجـــالس النـــاس ومحاضرهم، ويشعر أن كل من حولـــه أقزام، وواحد اغتر بماله فظن أنه ملـــك العالم، وذاك ساقه الكبر إلى التعالي على الآخرين، لجمال منظره، وآخر معجـــب بعائلته وعشيرته، فلا بشر إلا هـــم، ولا يستحق الحياة سواهم،، وهكذا..

وإن من الأمور التي تعـــاني منـــها الإنسانية عامة، خلق (الكـــبر)، قـــديما وحديثا، وما التمييز العنـــصري الـــذي يمارس في جاهليتنا المعاصرة إلا لون مـــن ألوان الكبر اللا إنساني، الذي تئن تحت وطأنه جموع كثيرة من الناس.

★★★★★★★

يقول الله تعـــالى: ﴿ إِنَّ اللّـــهَ لاَ يُحِبُّ مَن كَـــانَ مُخْتَـــالاً فَخُـــورًا﴾ [النساء: ٣٦].

وفي الحديث الذي رواه مسلم، عن النبي ـــصلى الله عليه وسلمـــ قال: **(الكـــبر بطر الحق، وغمط الناس)**.

ذلك لأن الغمط من معانيه: الاســـتهانة والاحتقار، والبطر من مفاهيمه: التكـــبر والطغيان عند سماع الحق فلا يقبله.

فالفخر يشبه غمط الناس، لأن كليهمـــا تكبر على الناس، وأما بطر الحق وهـــو جحده ودفعه، فيشبه الاختبار الباطـــل، فإنه تخيل أن الحق باطل بجحده ودفعه، ثم هذا وجهان:

الأول: أن يجعل الاختيال، وبطر الحـــق من باب الاعتقادات، وهو أن يجعل الحق باطلاً، والباطل حقاً في ما يتعلق بتعظيم النفس وعلو قدرها، فيجحد الحق الذي يخاف هواها وعلوها، ويجعـــل الفخـــر وضبط النفس من باب الإرادات، فـــإن الفاخر يريد أن يرفع نفسه، ويضع غيره، وكذلك غامط الناس.

يؤيد هذا ما رواه مسلم في صحيحه عن عياض بن حمار المجاشعي، عـــن الـــنبي ـــصلى الله عليه وسلمـــ قال: **((وإن الله**

أوحى إلي أن تواضعوا حتى لا يفخر أحد على أحد، ولا يبغي أحد على أحد)).

فهذا الكلام من نبينا محمد _صلى الله عليه وسلم_ يكتب بماء الذهب، ويسطر بصحائف من نور، وبيان عالمي على حرب سائر أنواع الجاهليات وإبطالها، إذ لا يمكن أن تتحقق إنسانية الإنسان، إلا إذا تحقق شرط الترك هذا.

سواء بسبب الفخر اللوني، أو التمييز العنصري، أو التعصب الوطني أو الإقليمي، أو أي نوع من الصغائر التي توصل المرء إلى الكبائر.

والأصل أن يترفع المؤمن عن هذه الصغائر، بعلو الإيمان، ورفعة التربية الربانية، التي تقود إلى التحلي بكل فضيلة ومنها (التواضع)، والتخلي عن كل رذيلة ومنها (الكبر).

وجاء في الحديث الصحيح، الذي أخرجه أحمد وأبو داود والنسائي وابن حبان: **((الاختيال في الفخر والبغي))**.

فكان في ذلك ما يدل على أن الاستطالة على الناس، إن كانت بغير حق فهي بغي، وإن البغي مجاوزة الحق، وإن كانت بحق فهي الفخر، لكن يقال على هذا: البغي يتعلق بالإرادة، فلا يجوز أن يجعل من باب الاعتقاد، ونسميه من باب الإرادة، بل البغي كأنه في الأعمال، والفخر: غمط الناس.

والثاني: أن يكونا جميعا متعلقين بالاعتقاد والإرادة، لكن الخيلاء غمط الحق، يعود إلى الحق نفسه، الذي هو حق الله، وإن لم يكن يتعلق به حق آدمي، والفخر وغمط الناس يعود إلى حق الآدميين، فيكون التنويع لتمييز حق الآدميين مما هو حق لله لا يتعلق بالآدميين، بخلاف الشهوة في حال الزنا، وأكل مال الغير.

لذا فإن الكبر من أكبر الكبائر، قرن الكبر بالكفر كما هو واضح من أدلة العموم، وبما ورد ببعض الآثار على هيئة الخصوص، لأن هذين الذنبين أساس كل ذلك في الإنس والجن، فإن إبليس هو الذي فعل ذلك أولاً، وهو أصل ذلك.

قال تعالى: ﴿ إِلاَّ إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنْ الْكَافِرِينَ ﴾ [ص: ٧٤].

وقال تعالى: ﴿ إِلاَّ إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ٣٤].

ولأن الكبر من الكبائر العظام، فإن من في قلبه مثقال ذرة من كبر لا يدخل

الجنة، وبالمقابل لا يدخل النار من كان في قلبه مثقال ذرة من إيمان.

روى مسلم في صحيحه عن ابن مسعود رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((**لا يدخل النار أحد في قلبه مثقال حبة خردل من إيمان ولا يدخل الجنة أحد في قلبه مثقال حبة خردل من كبرياء**)).

وهذا يدل على أن الكبر لا يجتمع مع الإيمان، وأن الكبر يضاد الإيمان.

وكذلك الشرك في مثل قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللّهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ ويغفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ﴾ [النساء: ٤٨].

وقال ابن مسعود رضي الله عنه، كما في البخاري ومسلم: ((**من مات لا يشرك بالله شيئا دخل الجنة**)).

قال وأنا أقول: ((**من مات وهو يشرك بالله شيئاً دخل النار**)).

ثم من الناس من يجمع بينهما، ومن الناس من ينفرد له أحدهما، والمؤمن الصالح عافاه الله منهما، فإن الإنسان إما أن يخضع لله وحده، أو يخضع لغيره مع خضوعه له، أو لا يخضع لله ولا لغيره.

فالأول: هو المؤمن، **والثاني:** هو المشرك، **والثالث:** هو المتكبر الكافر، وقد لا يكون كافراً في بعض المواضع، فالنصارى آفتهم الشرك، واليهود آفتهم الكبر، كما قال الله تعالى عن النصارى: ﴿اتَّخَذُواْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَاباً مِّن دُونِ اللّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُواْ إِلاَّ لِيَعْبُدُواْ إِلَـهاً وَاحِداً لاَّ إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [التوبة:٣١].

وقال تبارك وتعالى في اليهود: ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ [الأعراف: ١٤٦].

ولهذا عوقبت اليهود بضرب الذلة والمسكنة عليهم، والمؤمن الصالح ينبغي أن يكون مخالفاً لأصحاب الجحيم اليهود، في عقائدهم وأخلاقهم وغير ذلك، ومن أخلاقهم السيئة اللصيقة بهم قديماً وحديثاً خلق الكبر، حتى قال أحدهم: اليهود لا يعرفون للتواضع طريقاً، فمن أقوالهم: (نحن أبناء الله وأحباؤه)، (نحن شعب الله المختار) وهذا ديدنهم وسبيلهم إن نطقوا، وإن كتبوا، وإن مارسوا هذا سلوكا في حياتهم.

لذا فإن من يتعرف على أدبيات اليهود المكتوبة، يجد هذا الأمر جليا، (التلمود)

على سبيل المثال ثلثه يتضمن النفخة الإبليسية نفخة (الأنا) (الكبر) في أجلى صورها، وأخطر مظاهرها، من الثناء على الذات، والمدح للنفس، والتعالي على الآخرين وذمهم واحتقارهم، ذلك أن ثنائية العجب والمدح للنفس، يقابله العدوان على الآخرين بالتصغير والتحقير، ومن هذه الثنائية تتكون معادلة (الكبر).

وهذا المرض بمعادلته المذكورة، أمر ملاحظ وملموس ومشاهد لدى من ابتلي به.

فمن كان معجبا _على سبيل المثال_ بنسبه أو عائلته أو أصوله إعجاباً يوصله إلى الكبر، تراه وكأنه لم يخلق بشر على وجه الأرض بسواهم، فهم أهل (الصطل والرطل والهودج العالي)، والكرم والشهامة، وحامل هذا المرض يحفظ كل كلمة في القواميس، تحمل معنى المدح والثناء والإيجابية، ينظر إلى كل العوائل والأسر بمنظار قاتم سلبي مظلم، ويحط من أقدارهم، ويصغر من شأنهم، ويحفظ من قصص السوء _ إن صدقاً وإن كذباً_ الكثير عنهم، ويرددها ويلوكها.

وهكذا يعمل من هو مغرور بعلمه وثقافته، أو مغرور بأي نوع من أنواع الغرور.

وسبحان الله إن البشرية تنفر من هذا الصنف من المرض، وتكرهه، والإنسان بفطرته يكره من يتكبر عليه، كيف لا وهو يمارس نوعاً من الاعتداء على المقابل، وأيسر صور هذا العدوان، الأذى النفسي الذي يسببه هذا المريض، فمجلس فيه شخص من هذا النوع، لا شك أنك تراه عندما تقوم منه، كأنما (جيفة حمار).

من هنا تجد أن من أسباب كراهية الأوربيين لليهود (لغة التعالي والفخر والتكبر) التي كانت من أبرز سلوكياتهم أينما كانوا، وحيثما حلوا.

وباليهودي يضرب المثل _في الدول التي عاشوا فيها_ بالخسة والانحطاط، لجملة من الأخلاق، ومنها (الكبر).

ولو نظر هؤلاء المتكبرون إلى أنفسهم، نظر تجرد، ووقفوا على حقيقة ضعفهم وقوف متأمل، وقاموا بعملية جرد لعجزهم وقصورهم، لتابوا وأنابوا وراجعوا ربهم، وأقلعوا من هذا الذنب القبيح، وعزموا أن لا يعودوا لمثله أبداً، ولفتحوا صفحة جديدة، ملؤها التواضع، ونكران الذات، وترك حظوظ النفس،

فمن تواضع لله رفعه الله.

الخلاصة: الكبر من أعظم الكبائر، وأفظع الأمراض، وأشنع السلوكيات، وأكبر المصائب، وأفسد الطرائق، وأسوأ الأخلاق.

وينبغي للمؤمن بل الإنسان لمجرد أنه إنسان، أن يتخلى عن هذا الخلق الذميم، قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا يَسْخَرْ قَومٌ مِّن قَوْمٍ عَسَى أَن يَكُونُوا خَيْراً مِّنْهُمْ وَلا نِسَاء مِّن نِّسَاء عَسَى أَن يَكُنَّ خَيْراً مِّنْهُنَّ وَلا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلا تَنَابَزُوا بِالأَلْقَابِ بِئْسَ الاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الإِيمَانِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [الحجرات:١١]. وقال تعالى: ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ﴾ [الهمزة:١].

وقال تعالى: ﴿تِلْكَ الدَّارُ الآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لا يُرِيدُونَ عُلُوّاً فِي الأَرْضِ وَلا فَسَاداً وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [القصص٨٣].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ﴾ [القصص: ٧٦]

فقارون مثل عظيم في القرآن الكريم، في قصته دروس كثيرة، وعبر متعددة، وفوائد متنوعة، في جملتها نداء لكل مغرور ومتكبر ومتعال، أن انتشل نفسك من وحل ما أنت واقع فيه، وأنقذ نفسك مما أنت متمرغ به، أقبل على ربك تائباً، وكن له عابداً طائعاً، فالأمر خطير، فإن مصير المتكبرين النار.

وروى مسلم في صحيحه، عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله _صلى الله عليه وسلم_ قال: **((بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم))**.

وفي الحديث المتفق عليه، عن حارثة بن وهب رضي الله عنه، قال: **((ألا أخبركم بأهل النار كل عتل جوّاظ مستكبر))**.

وفي صحيح مسلم، عن أبي هريرة: **((تحاجت الجنة والنار فقالت النار: أوثرت بالمتكبرين والمتجبرين وقالت الجنة: فمالي لا يدخلني إلا ضعفاء الناس وسقطهم وغرتهم قال الله للجنة: إنما أنت رحمتي أرحم بك من أشاء من عبادي وقال للنار: إنما أنت عذابي أعذب بك من أشاء من عبادي ولكل واحدة منكما ملؤها))**.

وفي الحديث المتفق عليه،واللفظ

للبخاري: عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله _صلى الله عليه وسلم_ قال: ((لا ينظر الله يوم القيامة إلى من جر إزاره بطرا)).

وروى الترمذي في سننه، وقال عنه: حديث حسن، عن سلمة بن الأكوع رضي الله عنه، قال رسول الله، صلى الله عليه وسلم: ((لا يزال الرجل يذهب بنفسه حتى يكتب في الجبارين)).

وبالمقابل من أحسن الأخلاق وأقومها وأعدلها (التواضع)، فالمتكبر الذي يظن أنه بكبره هذا يكون إنساناً مذكوراً ومعتبراً، نقول لهؤلاء الذين يعيشون (عقدة النقص) اسمعوا إلى حديث رسول الله _صلى الله عليه وسلم_ الذي رواه مسلم في صحيحه، عن أبي هريرة رضي الله عنه: ((ما نقصت صدقة من مال وما زاد الله رجلا بعفو إلا عزا أو ما تواضع أحد لله إلا رفعه الله)).

المتواضعون هم الذين ذكروا بخير على مدى التاريخ، ونظر الناس إليهم نظرة إمامة وقدوة، ورفع الله أقدارهم، بينما المتكبرون والمتعالون صاروا في (مزبلة التاريخ)، وإن ذكروا يذكرون بالمذمة والسوء، وكان نبينا _صلى الله عليه وسلم_ مثالاً رائعاً في التواضع قولاً وفعلاً، جاء في الحديث المتفق عليه، عن أنس رضي الله عنه، ((أنه مر على صبيان فسلم عليهم، وقال: كان النبي _صلى الله عليه وسلم_ يفعله)).

وفي صحيح البخاري، عن الأسود بن يزيد رضي الله عنه، عن النبي _صلى الله عليه وسلم_ قال: ((سألت عائشة ما كان النبي _صلى الله عليه وسلم_ يصنع في بيته قالت: كان يكون في مهنة أهله تعني خدمة أهله)).

وفي صحيح البخاري، عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي _صلى الله عليه وسلم_ قال: ((ما بعث الله نبيا إلا رعى الغنم، فقال أصحابه: وأنت؟ فقال: نعم كنت أرعاها على قراريط لأهل مكة)).

وفي البخاري، عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي _صلى الله عليه وسلم_ قال: ((قال لو دعيت إلى ذراع أو كراع لأجبت ولو أهدي إلي ذراع أو كراع لقبلت)).

الأدب الإسلامي (١)

بقلم: د/ خالد حماش

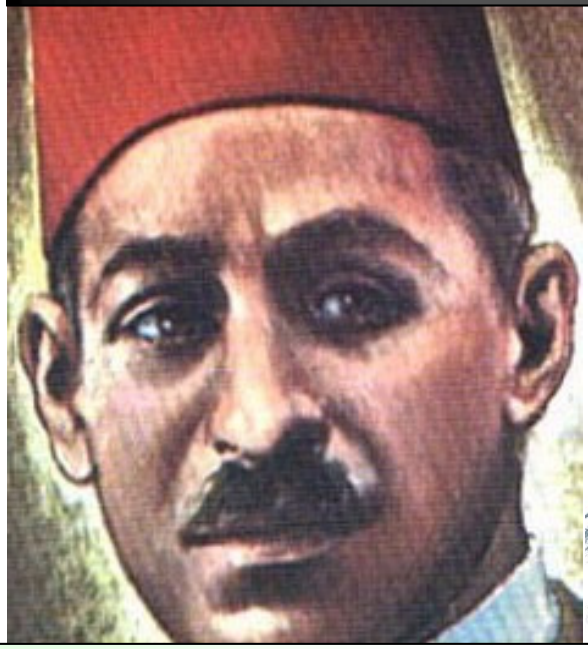

الأدب هو اللغة الراقية الجميلة التي تشد النفوس، وتأسر القلوب وتمتلك المشاعر، وتحاور العقول، وتستنهض الهمم، وترعى القيم، وتحارب الظلم، وتبلغ بالسامع أعلى درجات التأثير، هو الشعر والرواية والقصة القصيرة والنثر الفني والمسرحية .... هو كل ما تبتكر قرائح المبدعين وتسمو به لغة المتميزين من فنون تجسد أفراح الناس وأتراحهم وتصور أحاسيسهم ومشاعرهم، وتصف مآسيهم ومعاناتهم، وتربي عقولهم وعواطفهم، وتنمي فيهم العلاقات الإنسانية لترقى بها إلى خالقها وبارئها.

ولعل كلمة الأدب كانت غنية بنفسها عن الوصف أو القيد أو التصنيف بالخير أو بالشر بالإسلامية أو القومية أو الاشتراكية أو بالالتزام أو التحلل وما سوى ذلك إذ إن أصلها اللغوي كما جاء في المعاجم لا يعدو أحد أمرين خيرين خاليين من الشر: **الأول:**

أن تدعو الناس على طعام وهي المَأْدَبَة أو المَأْدُبَة، والآدب الداعي، قال طرفة:

نَحنُ في المَشتاةِ نَدعو الجَفَلى
لا تَرى الآدِبَ فينا يَنتَقِر

أي ندعو الناس عامة ولا ننتخب انتخابا.

والثاني: الأَدَبُ، وهو مجمع على استحسانه( ).

وفي حديث ابن مسعود _رضي الله عنه_: **((إن هذا القرآن مأدبة الله))** جمع بين المعنيين فالقرآن كلام الله تعالى وهو لغة بلغت في حسن بيانها وبلاغتها مبلغ الإعجاز، يجتمع الناس عليه وينتفعون به، واستعير لهذه الحالة المعنوية اجتماع الناس وقت الحاجة الماسة على طعام كريم، فكما أن حياة الأبدان بالطعام ، فإن حياة الأرواح والعقول والمشاعر والعواطف بالقرآن وبكل أدب رفيع.

ولعل المكانة التي كان يحظى بها الشعراء قبل الإسلام، ودورهم في الدفاع عن قيم وأخلاق وشرف القبيلة، وما حمله الشعر قبل الإسلام من القيم والمبادئ والأخلاق الكريمة دليل على أن الأدب كان خالصاً للخير، ويؤيد هذا أيضاً ما حملته لفظة الأدب من معان طيبة في الاستعمال الغربي قديماً وحديثاً، يقول رسول الله -النبي صلى الله عليه وسلم- : **((أدبني ربي فأحسن تأديبي)).** فهو يدل على حسن الخلق والاستقامة والكياسة واللباقة.

إلا أن ما أقدم عليه بعض الشعراء في الجاهلية من حرف لرسالة الأدب عن مسارها ومن استخدام وسائله اللغوية الفنية في غير أغراضه النبيلة من تغزل فاضح بالنساء وإثارة للغرائز ومن تكسب بالشعر تملقاً ونفاقاً للحكام والأغنياء ومن هجاء مقذع يجرح المشاعر ويخدش الشرف ويمزق الأعراض، وأسوأ ما هبط إليه الأدب لدى الشعراء المشركين الذين وظفوا فنهم في مهاجمة الإسلام والرسول صلى الله عليه وسلم والدفاع عن الشرك والجاهلين وهذا ما جعل القران الكريم يهاجم هؤلاء الشعراء ويشخص حالهم بأبلغ إشارة وأوجز عبارة ليميز الأدب الحقيقي من الأدب الزائف المنحرف، قال تعالى: **(والشُّعَرَاء يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ (٢٢٤) أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ (٢٢٥) وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لا يَفْعَلُونَ (٢٢٦) إِلا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيراً وَانتَصَرُوا مِن بَعْدِ مَا ظُلِمُوا وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ (٢٢٧))** [الشعراء: ٢٢٤-٢٢٧]، لقد بدأت الآيات بداية تهويل لغلبة الفساد على الشعراء، ولخطورة الأمر وأهميته كما في قوله تعالى: **(وَالْعَصْرِ (١) إِنَّ الإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ (٢) إِلا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ (٣))** فأخرت الاستثناء بعد أن أوهمت البداية بفساد جميع الشعراء وقبل أن تستثني أصناف الفائزين من الشعراء بينت سبب ضلال هؤلاء الشعراء وعبرت عن ضلالهم باتباع الغاوين لهم، وفي ذلك إيماء إلى ريادتهم في الفساد فهم أصحاب المواهب والمواقف والتأثير في الآخرين وسبب غوايتهم أنهم **(فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ)** أي يخوضون

(1) المقاييس في اللغة أحمد بن فارس م (أدب) ص٦٤ دار الفكر ط٢ ٩٨م

في كل لغو ويتخبطون على غير هدى، ولا يتبعون سنن الحق، لأن من اتبع الحق، وعلم أنه يُكتب عليه ما يقوله تثبت و لم يكن هائماً على وجهه لا يبالي ما قال، **(وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لا يَفْعَلُونَ)** أن يدلون بكلامهم على الكرم والخير ولا يفعلونه[1] فهما صفتان استحق بهما الشعراء أن يوصموا بالريادة في الغواية الأولى: الزيغ والضلال وعدم التثبت، والثانية: مخالفة القول للفعل **(كَبُرَ مَقْتاً عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لا تَفْعَلُونَ)** [الصف: ٣]، وقد ذكر المفسرون أن هذه الآيات عنت عبد الله بن الزبعري، ويافع بن عبد مناف، وأمية بن أبي الصلت، وأبي عزة الجمحي الذي قال:

ألا أبلغا عني النبيّ محمداً
بأنك حقٌ والمليك حميد
ولكن إذا ذكرت بدراً وأهله
تأوه مني أعظم وجلود

ومن المعلوم أن خصوص السبب لا يلغي عموم المراد، ثم استثنت الآيات شعر المؤمنين حسان بن ثابت وعبد الله بن رواحة وكعب بن مالك وكعب بن زهير ومن كان على طريقتهم بقوله تعالى: **(إِلا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيراً)** أي الذين ضمنوا شعرهم الإيمان والعمل الصالح وذكر الله وكل ما يدعو إلى الفضائل والأخلاق الحميدة، وهو ما نسميه اليوم بالشعر الإسلامي، ثم ذكر صنفاً آخر من الشعر الذي فيه هجاء وتنديد بالمشركين، وهذا الشعر لا يصدر عن المسلمين إلا في حال رد عدوان المشركين والدفاع عن الإسلام ورموزه وقيمه ... وهذا ما كان يفعله حسان بن ثابت ويروى **أنه لما نزلت الآيات (والشعراء يتبعهم ...) جاء حسان وكعب بن مالك وابن رواحة إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - فقالوا يا نبي الله أنزل الله هذه الآية ويعلم أنا شعراء؟ فقال اقرؤوا ما بعدها (إلا الَّذِينَ آمَنُوا...) أنتم (وَانتَصَرُوا...) أنتم، قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: ((انتصروا ولا تقولوا إلا حقاً ولا تذكروا الآباء والأمهات))**[2].

ومن شعر حسان في الرد على أبي سفيان[3]:

وقال كعب بن مالك: **يا رسول الله إن الله قد أنزل في الشعر ما علمت فكيف ترى فيه؟ فقال -صلى الله عليه وسلم-: إن المؤمن يجاهد بنفسه وسيفه ولسانه والذي نفسي بيده لكأن ما ترمونه نضح النبل.**

وعندما قال كعب بن مالك:

جاءت سخينة[4] كي تغالب ربها
فليغلبن مغالب الغلاب

فقال النبي -صلى الله عليه وسلم-: **((لقد**

(1) القرطبي ١٥٣/١٣

(2) القرطبي ١٥٣/١٣.
(3) اسمه المغيرة بن الحارث بن عبد المطلب كان يهجو المسلمين والرسول -صلى الله عليه وسلم- أسلم بعد الفتح وحسن إسلامه.
(4) قريش.

مدحك الله يا كعب في قولك هـذا))[1]، ثم ختم الآية بتهديد من انتصر بظلم (وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ).

وكان الرسول ﷺ يسمع الشعر المتضمن للحكم والمعاني الحسنة فقد استزاد الصحابي أبا الشريد من شعر أمية بن أبي الصلت واستحسنه كما جاء في صحيح مسلم وقال عن أمية ((كاد أمية بن أبي الصلت أن يسلم))، كما سمع قول كعب بن زهير:

بانت سعاد فقلبي اليوم متبول
متيم إثرها لم يفد مكبول

على ما فيها من تشبيه الريق بالراح، والتي نص القرطبي على أنها من الاستعارات والتشبيهات التي يترخص بها[2].

ولقد سار الصحابة الكرام على هذا النهج وقالوا الشعر وسمعوه ما دام لا يدعو إلى ضلال أو رذيلة، فهذا أبو بكر الصديق _رضي الله عنه_ ينشد في رثاء الرسول ﷺ:

فَقَدنا الوَحيَ مُذ وَلَّيتَ عَنّا
وَوَدَّعَنا مِنَ اللَهِ الكَلامُ
سِوى ما قَد تَرَكتَ لَنا رَهيناً
تَوارَثُهُ القَراطيسُ الكِرامُ
فَقَد أَورَثتَنا ميراثَ صِدقٍ
عَلَيكَ بِهِ التَحِيَّةُ وَالسَلامُ

وكان الفاروق _رضي الله عنه_ يسمع الشعر ويتأثر به إلا أنه كان يحاسب على الفحش من القول وهجاء الناس بغير حق، فها هو يحبس الحطيئة في بئر عندما اشتكى إليه الزبرقان من قول الحطيئة فيه:

دَعِ المَكارِمَ لا تَرحَل لِبُغيَتِها
وَاقعُد فَإِنَّكَ أَنتَ الطاعِمُ الكاسي

بعدما سأل حسان وهو أعلم بما في هذا البيت من هجاء ولكنه أراد أن يتثبت قبل إصدار حكمه، إلا أن الحطيئة كتب أبياتاً إلى عمر _رضي الله عنه_ ومنها:

ماذا تَقولُ لأفراخٍ بِذي مَرَخٍ
حُمرِ الحَواصِلِ لا ماءٌ وَلا شَجَرُ
أَلقَيتَ كاسِبَهُم في قَعرِ مُظلِمَةٍ
فَاغفِر عَلَيكَ سَلامُ اللَهِ يا عُمَرُ

فرقَّ له عمر وذرفت عيناه إشفاقا فأخرجه من بئره واشترى منه أعراض الناس وكتب عليه عهداً أن لا يهجو مسلماً.

وروي أن النعمان بن عدي بن نظلة كان عاملا لعمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال:

من مبلغ الحسناء أن حليلها
بميسان يسقى في زجاج وحنتم
إذا شئت غنتني دهاقين قرية
ورقاصة تجذو على كل منسم
فإن كنت ندماني فبالأكبر اسقني
ولا تسقني بالأصغر المتثلم
لعل أمير المؤمنين يسوءه
تنادمنا بالجوسق المتهدم

(1) القرطبي ١٥٣/١٣.
(2) القرطبي ١٤٧/١٣.

فبلغ ذلك عمر فأرسل إليه بالقدوم عليه وقال: إي والله إني ليسوؤني ذلك فقال يا أمير المؤمنين ما فعلت شيئا مما قلت وإنما كانت فظلة من القول وقد قال الله تعالى: **(والشعراء يتبعهم الغاوون * ألم تر أنهم في كل واد يهيمون * وأنهم يقولون ما لا يفعلون)** فقال له عمر: أما عذرك فقد درأ عنك الحد ولكن لا تعمل لي عملا أبداً وقد قلت ما قلت[1].

وروي عمر بن عبد العزيز لما ولي الخلافة أرسل وراء الشاعرين: عمر بن أبي ربيعة والأحوص فلما حضرا أمامه أقبل على عمر فقال هيه:

فلم أر كالتَّحْمِيرِ منظرَ ناظرٍ
ولا كليالي الحجّ أَفْلَتْنَ ذا هوَى
وكم مالئٍ عينيه من شيءٍ غيرِه
إذا راح نحوَ الجمرةِ البِيضُ كالدُّمَى

أما والله لو اهتممت بأمر حجك لم تنظر إلى شيء غيرك فإذا لم يفلت الناس منك في هذه الأيام فمتى يفلتون ! ثم أمر بنفيه، فتاب على يديه وعاهده على الصلاح فأطلقه، ثم دعا الأحوص فقال هيه:

اللهُ بيني وبين قَيِّمِها
يهرُب منِّي بها وأَتَّبِعُ

بل الله بين قيمها وبينك ثم أمر بنفيه.

وأما ما جاء عن رسول الله _صلى الله عليه وسلم_: **((لأن يمتلئ جوف أحدكم قيحا يريه خير من أن يمتلئ شعرا))** رواه مسلم، فهو الذي غلب عليه الشعر وامتلأ صدره منه دون علم سواه، فمن يخوض في الباطل ويسلك به مسالك لا تحمد له.

ولما كان الأدباء يعبرون على مر العصور بفنهم عن اتجاهاتهم فإن كلمة الأدب أصبحت كلمة حيادية لا بد من تقييدها، وظهرت اتجاهات في الأدب كالأدب الملتزم والمتحلل والإباحي والملتزم بالاشتراكية أو القومية أو العولمة .... ومن هنا كان لا بد من تمييز الأدب الملتزم بالإسلام ونهجه وشرعه وخلقه ويبني قضايا الأمة الإسلامية في خضم صراعها مع أعدائها وهو الأدب الإسلامي.

وسلاح القلم والأدب لا يقل خطورة وأثراً عن سلاح السيف، فهو الذي يدافع عن المظلومين ويفضح الطغاة والظلام والعملاء والخونة، والافتراء والتزوير أمام أجهزة الإعلام التي لا تترك وسيلة إلا وتستخدمها في سبيل إفساد وتضليل أمتنا وفي سبيل دفعنا نحو الانحراف أو الاستسلام والهزيمة، وعلى رأسها وسيلة الأدب، فكم من شعراء وقصاصين ومسرحيين ساروا في ركاب المستعمرين وروجوا لضلالاتهم وساهموا في بث الفرقة والضعف في أمتنا، فلا بد أن يأخذ الأدباء الإسلاميون دورهم.

وسنحاول إن شاء الله في العدد القادم إبراز دور الأدباء الإسلاميين في مسيرة الدفاع عن الإسلام وقضاياه العادلة.

([1]) القرطبي ١٤٩/٣.

كلمات من نور

حوران الحضارة ومنبت العلماء

كتبه: الأستاذ محمد خير حوراني

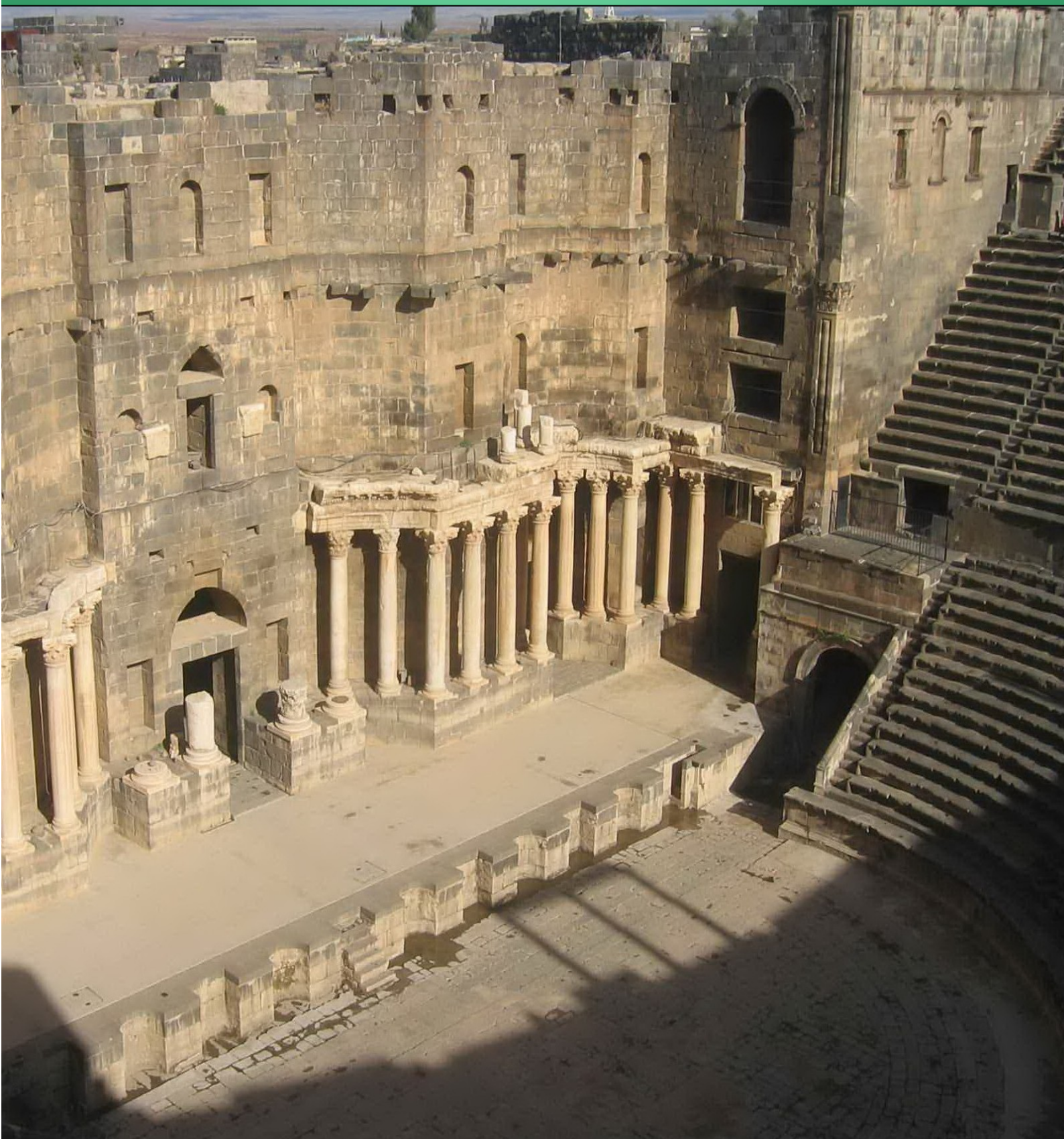

نعم يا حوران يموج بين أضلاعي ورد الشام وزنبق وحمام ، فأنت نغم يسري في دمي وعظامي .

إيه حوران، يا سهلاً ولا أجمل يا ينا بيعاً للخير ولا أعذب .. يا تربة خصيبة ولا أروع، يا عز العشيرة، يا سمفونية الشعراء ومنبت العلماء.....

حوران سهل واسع مترامي الأطراف، جغرافياً يمتد من جنوب دمشق بـ ٣٠ كم إلى وادي الزرقاء في الأردن، فهو يمتد بين جنوب سوريا وشمال الأردن، ومن أطراف بادية الشام شرقاً إلى تخوم هضبة الجولان غرباً، أرضها حمراء عشقتها حبات سنابل القمح منذ القدم ثم اشتبكت مع غابات أشجار الزيتون.

فلله درك يا حوران كنت سلة غذاء روما في سالف الأزمان، والآن سلة غذاء دمشق بعد أن اكتسحت الكتل الإسمنتية غوطتها وحل الحديد والحصى محل أشجار الزيتون والتفاح والتوت والكرز ... ، حوران تشرفت بوطء أقدام الرسول صلى الله عليه وسلم لتربتها يوم قدم مع عمه بقافلة لقريش وحطت ببصرى وقابله الراهب بحيرا.

حوران حاضنة الحضارة، فإذا ما تجولت بربوعها وجدت القلاع والحصون والبروج شاهدات على العراقة وأكبر دليل بصرى الشام ومدرجها وقلعتها وأسواقها ذات الأعمدة المتناسقة وطرقها العجيبة، وبالقرب منها آثار شهبا المتربعة بذلك الجبل الأشم جبل حوران.

ونعرج إلى مركز حوران مدينة درعا أذرعات قديماً لنرى المسجد العمري زينها في علم وفي أدب وعلى بضعه أمتار منه غرباً مدرج روماني. تعتبر حوران صلة وصل بين جزيرة العرب وسوريا شمالاً إلى أوروبا فلا بد للقوافل من عبورها إن أرادت سلامة الوصول.

المنظر أعلاه من ضفاف بحيرة مزيريب.

على أرض حوران دارت معارك فاصلة أشهرها معركة اليرموك التي انتصر بها العرب المسلمون على الروم، سميت معركة اليرموك نسبة إلى ذاك الوادي الذي يمتد من شمال غرب مدينة درعا حتى ينتهي بأرض فلسطين متخذاً أسماءً شتى في كل بقعة يمر بها ورحل الرومان إلى غير رجعة ، ولم تعد حوران سلة الرومان ، وكذلك أراد الفرنسيون خبزاً من قمح حوران فجاءهم

السم الزعاف منها فحمل عدته وجر أذياله مدحوراً.

أنجبت حوران عمالقة من العلماء الذين ما زال صيتهم يتردد بأرجاء الدنيا، حيث ولد الإمام أبو الفداء إسماعيل بن كثير المفسر المحدث الفقيه المؤرخ في قرية مجدل من قرى بصرى الشام، وفي بلدة إزرع ولد الإمام أبو عبدالله محمد بن أبي بكر بن أيوب الزرعي المشهور بابن القيم الجوزية، وفي بلدة نوى ولد الإمام الكبير النووي صاحب المصنفات في الحديث الشريف والفقه الشافعي، وأنجبت حوران كما ذكر ابن حجر في الدرر الكامنة الإمام أبا العز الأذرعي شارح الطحاوية، والإمام أحمد بن حمدان الأذرعي صاحب الغنية في الفقه الشافعي، وفي حوران نشأ الشاعر المشهور حبيب بن أوس الطائي المشهور بأبي تمام، وإلى الغرب الجنوبي من أذرعات تقع بلد الحصن فيها ولد الفقيه تقي الدين أبو بكر بن محمد الحصني صاحب "كفاية الأخيار" والحصن تقع في الأردن حالياً ، إن قدر قال فيها الشاعر عبدالكريم الحصي بحوران:

على أعتابها وطئ الرسول ... فأمرعت الفيافي والحقول
إذا ما جئت بصرى جئت صرحاً ... عظيماً لا يزال ولا يزول
كأن بناءها عجب عجاب ... أقامته السواعد والعقول
قلاع في صروح في بروج ... يخر أمامهن المستحيل
أرى حوران أماً لليتامى ... ويكرم في منازلها النزيل
فمن أبوابها خرجت زحوف ... وعن أسوارها دحر الدخيل
فلولا أن يقال بعدت شوطاً ... ونعتاً للعلى مما تقول
لقلت هنا الحضارة لا تباهى ... لها الفرع المبارك والأصول

حوران أنها لم تكن حاضرة لقربها من دمشق حاضرة الدنيا.

إن عطاء هذه المنطقة متجددٌ بل لا ينضب فقد نور سماءها في العصر الحديث علماء كثيرون ومنهم على سبيل الذكر لا الحصر الشيخ المجاهد العالم مفتي الديار الحورانية " عبدالعزيز جبر أبازيد " طيب الله ثراه، وأسكنه فسيح جناته، والعالم بركات الضماد طيب الله ثراه، ومنهم الشيخ العالم نايف العباس طيب الله ثراه، ومنهم الشيخ العالم سليم المصري طيب الله ثراه. وغيرهم ... ناهيك عن أهل الأدب بفنونه أمثال علي عقلة عرسان وشاعر حوران عبدالكريم الحمصي ....

حوران يا تاريخاً حافلاً بالأمجاد ، يا سهلاً معطاءً يا أجيالاً ترفد البشرية بعلوم شتى ستبقين العطاء الذي لا ينضب معينه... أنت الحضارة وفيك الحضارة وإليك الحضارة ، ترنو إليك أرض بيت المقدس بعينها ففيك وعن طريقك الأمل:

الشيخ العلامة

عبد العزيز أبا زيد رحمه الله

صور ومواقف

بقلم
د / عطية الوهيبي

كلمات تدرج على استحياء بين يدي شيخ جليل أصبح في جوار الله تعالى قضى سواده وبياضه في العلم والتعليم والإفادة والدعوة إلى الله عز وجل، ونشر في أكناف حوران العلم والنور والهداية والإحسان.

عرفته حين هاجرت مع أسرتي من هضبة الجولان إثر مسرحية نكسة حزيران عام ١٩٦٧ حيث أقمنا في مخيمات الذل والهوان في محافظة أذرعات، ومن قبل هاجر والديّ رحمهما الله تعالى إلى هضبة الجولان بعد ضياع فلسطين عام ١٩٤٨.

وقد أكرمني الله تعالى بصحبة شيخنا وحضور دروسه ومحاضراته وندواته زمناً كان من أعز أيام العمر وأغلاها إلى أن عصفت ببلاد الشام عواصف الظلم مما اضطرني إلى ترك درعا عام ١٩٨١ وحرمت صحبة الشيخ والإفادة من علمه وفضله فحسبنا الله ونعم الوكيل.

لقي الشيخ وجه ربه في ليلة الثالث والعشرين من رمضان عام ٢٠٠٣ ففقدت بموته بلاد الشام وأمة الإسلام عالماً ربانياً وكان الخطب فادحاً أدمى القلوب وأبكى العيون فليس لعين لم يفض ماؤها عذر.

إن عبد العزيز يوم تُوفي
هَدّ صرحاً ما كان بالمهدود
ليت شعري هل درى حاملوه
ما على النعش من عفاف وجود

وسنقف عند بعض الصور النضرة والمواقف العطرة في حياة هذا الطود الشامخ

المسجد العمري في درعا

عسى أن تكون منارات هداية ومعالم حق لأبناء خير أمة أخرجت للناس.

١- نشر العلم الشرعي:

جعل الشيخ إذاعة علوم الشريعة الإسلامية بين الناس وكده وهجيراه، ورأى أن هذا العمل من أجل الطاعات وأفضل القربات إلى الله، فكان يلقي دروسه في الفقه والتفسير والعقيدة والسيرة النبوية وسير الصحابة الأطهار رضي الله عنهم أجمعين.

وقد تضوع شذا هذه الدروس في جامع المحطة الكبير، ويسمى الآن جامع الشيخ عبد

العزيز أبا زيد، وكان يلقي دروسه مساءً كل اثنين وخميس، كما كان له درس أسبوعي في الفقه الشافعي في مسجد خليل مساءَ كل يوم جمعة بين المغرب والعشاء، ودرس في المسجد عينه عصر كل يوم خميس للنساء.

وكانت له دروس في بيته العامر بالإيمان عقيب صلاة الفجر تحضرها طائفة من طلبته الشباب، وكانت في اللغة العربية وفقه الشافعية.

ولقد كان الشيخ يرى ببصيرته النافذة، وتفكيره السديد أن نشر العلم الشرعي في الأمة هو المهيع اللاحب، والمنهج الصائب لنصرة الإسلام والتمكين له في حياة الناس، ودفع ما حل بساحة المسلمين من فتن ومحن وملمات، وإنما يراد العلم للعمل.

وكانت دروس الشيخ تهوي إليها القلوب وتتعشقها العقول وتستجاش بها العواطف وتستريح في رياضها الأرواح، فهي لا تخلو من الطرفة البارعة والفكاهة الماتعة والحكم والأشعار والأمثال والسجع الجميل المأنوس مما يضفي على المجالس والدروس متعة وأنساً وسروراً.

وكان الشيخ يتشوق إلى إنشاء مدرسة شرعية يتخرج فيها الوعاظ والفقهاء والخطباء، وكان يسلك إلى تحقيق هذا الأمل كل سبيل، فحقق الله له رجاءه فأسس مدرسة الإمام النووي للعلوم الشرعية، ووضع لها الخطط والمناهج التي تسير بها نحو غايتها المنشودة، واستطاع بصبره وحكمته أن يذلل الصعوبات التي اعترضته، فقد استطاع أن يحصل على قطعة أرض من البلدية ثم على الترخيص للمدرسة من رئيس الوزراء ولكنه عندما أراد أن يبني المدرسة وكان لابد له من ترخيص وزارة الأوقاف عندها فرض عليه وزير الأوقاف مخططاً لبناء المدرسة كبيراً جداً يفوق حاجة المنطقة ربما بخمسة أضعاف، وذلك تعجيزاً للشيخ لثنيه عن المضي في هذا المشروع، وحاول الشيخ مراراً تصغير المخطط فأصر الوزير على مخططه فما كان من الشيخ إلا أن أخذ منه المخطط وقال له: ((والله لو وصل الأمر إلى أن أبيع جبتي وعمامتي لأعملن على إتمام هذا المشروع)) وهكذا كان فقد شمر الشيخ عن ساعد الجد وشكل لجنة برئاسته لجمع التبرعات من المنطقة كما أنه سافر إلى دول الخليج وجمع ما يكفي لإتمام المشروع، وهذا ما سمعته منه عندما زارني في مدينة الشارقة عام ١٩٩٢ وهو يجمع التبرعات لبناء المدرسة.

وبعد أن تم بناء المدرسة وبدأت الدراسة بعدة سنوات قدم إلى دولة الإمارات في رمضان بدعوة من رئيس الدولة الشيخ زايد قابلته وسألته هل تقدم لكم الدولة (سوريا) أي مساعدة للمدرسة؟ فقال ضاحكاً: لقد قدمت لنا هذه السنة مساعدة قيمة عشرين طالباً من جزر القمر علينا تدريسهم وإسكانهم وإطعامهم، وكان هذا الحديث في بيتي، وعندما أتم كلامه اتصل بالمدرسة وأوصى المشرف على المدرسة بالاهتمام بهؤلاء الطلاب.

٢- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

كان الشيخ غيوراً على حرمات الإسلام معظماً

شعائر الله، فإذا ما رأى منكراً تمعر وجهه وتكدر خاطره وسارع إلى إنكاره وسعى إلى إزالته وكان يبين في خطبه ودروسه أن المنكر الأكبر في حياة المسلمين هو فصل الدين عن الدولة وإبعاد الكتاب والسنة عن الحكم والقيادة فغابت عن الأمة شمس العزة والمجد... كما أن المعروف الأكبر هو العودة إلى القرآن والسنة ونهج السلف الصالح والحكم بالإسلام ﴿ **فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليما** ﴾.

وكان الشيخ يأمل أن يرى شريعة الإسلام تحكم وتسود وقد استحوذت هذه الأمنية على قلبه وملأت شعاب روحه وصحبته في يقظته ومنامه...

وكان الشيخ يتصدى للمفاسد والمظالم التي فشت في جسم الأمة بالنصيحة والمعالجة فلم يهن ولم يضعف ولم تخب في نفسه جذوة الإصلاح، فكم من عادة مرذولة استؤصلت شأفتها وخلق ذميم اجتث من واقع الناس، وكان -رحمه الله- إذا ارعوى الناس عن منكر فعلوه استنار وفاضت نفسه بالسرور.

وقف مرة أمام متجر وكنت بصحبته ودخل على صاحب المتجر ينصحه بعدم بيع الدخان والاتجار به -وكان يذهب إلى تحريمه- وكان صاحب المتجر يقول له: سمعاً وطاعة ولن أفعل ذلك أبداً، وقد وفى الرجل بوعده ودعا له الشيخ بالبركة والتوفيق.

وكان الشيخ يزور مزارع التبغ وينهى أصحابها عن زراعته والاتجار به، وسأل مرة طبيباً مدخناً أن يذكر له شيئاً من فوائد الدخان فأجابه الطبيب وهو يسعل: والله يا فضيلة الشيخ لا أعلم له فائدة واحدة اللهم إلا السعال وإهلاك الأنفس والأموال، وإزعاج الزوجة والأطفال...

وكان تبرج النساء واختلاطهن بالرجال في الأفراح وغيرها وما يفضي إليه من مفاسد محط عناية الشيخ فقد سمعته يوماً على المنبر وهو يبين مضار هذا المسلك الشائن يقول: اتقوا الله في أبنائكم وبناتكم وذروا هذه العادات المقبوحة التي يأباها الشرع القويم وإنه من رضي بالحبل المودع (وهو دبكة على شكل حبل يمتد من رجل وامرأة على التوالي) فهو للإسلام قد ودّع، وقد رأيته يوماً بعد صلاة العشاء وقد شاهد حفلة عرس يُقام فيها حبل المودّع مع المزمار والغناء وقد دلف إلى عازف المزمار واقتاده بيده برفق وأخرجه من وسط الدبكة فانقطع الحبل المودع وتفرق الناس، وسمع مرة صوت غناء وكان قرب المسجد فخرج مسرعاً قاصداً أصحاب ذلك المحل فلما رأوه استحيوا وأغلقوا المذياع.

٣- الشيخ والشباب: أحب الشيخ الشباب وكان يرى فيهم الأمل المشرق ويهب لهم ما آتاه الله من علم وحكمة وخلق كريم، وكان يأسرهم بتواضعه وأدبه وعلمه وفهمه وخطابه العذب الرقيق، فكانوا يلتفون حوله وينتفعون بعلمه وخصاله ويعوضون عما يعانونه في

المدارس ووسائل الإعلام من تضليل وتجهيل وتثقيف بالسخافات والجهالات والافتراءات على الإسلام وأهله ولا أزال أذكر ما قاله أستاذ التاريخ في جامعة دمشق عام ١٩٧٧ أن الخرافيين والغيبيين الذين يعيشون في متاحف التاريخ خارج أسوار العقل والمنطق يزعمون أن الملائكة قاتلوا يوم بدر مع المؤمنين... وقال: لو آمنا بهذا لتقاعسنا عن تحرير الجولان، وكانت حرب تشرين وخسرنا فوق الجولان ما يزيد على أربعين قرية بفضل توجيهات هذا الأستاذ اللوذعي الذي لا يؤمن إلا بما تقع عليه حواسه البلهاء.

وزعم آخرون أن اللحى والحجاب سبب تقهقرنا وتأخرنا وكم نعتوا المتدينين بالعمالة لليهود والإنجليز والأمريكان...

وزعم آخرون أن الدعوة لإحياء الخلافة بكاء على الأطلال الدوارس وكان الشيخ يوضح للشباب في دروسه سخافة هذه الأفكار ويرد عليها ويفندها.

وكان الشيخ يرسل الشباب إلى القرى النائية والأرياف البعيدة لإلقاء خطب الجمعة وإحياء المناسبات الإسلامية، فكان الناس يكرمون وفادتهم، وتربو في صدورهم مودتهم، ورأوا فيهم روحاً جديداً يحيي القلوب ويهدي الإسلام ويقودها إلى سُبل السلام وكانت الوفود من هذه القرى التي تتواتر على الشيخ لاستفتائه في أمور دينهم يلهجون بذكر هؤلاء الشباب والدعاء لهم فيفرح الشيخ ويتهلل وجهه بالسرور والبشر وكان يقول للشباب: والله أنتم مصدر سروري وأنسي وقد أعدتم الأمل إلى نفسي.

ومع الأسف فقد لاقى كثير من هؤلاء الشباب العنت والجور والسجن والنفي من الحاقدين الموتورين الذين ساءهم أن يروا عودة الناس إلى إسلامهم.

٤- المناسبات الاجتماعية:

كان رحمه الله يهتبل المناسبات ويغتنم الفرص لإدخال السرور على قلوب الناس ومداواة كلومهم وتخفيف همومهم وقضاء حاجاتهم فإذا رفرفت فرحة على أسرة بنجاح أو نكاح أو عودة غريب أو شفاء حبيب... كان الشيخ صاحب القدح المعلى في وفود مواكب التهنئة.

ولا تزال صورة وجه الشيخ يفيض بالبشر وكلماته العذاب في مناسبات زواج الشباب التي كان لها أعظم الأثر في نفوس الحاضرين.

وقد حضر الشيخ حفل زفافي مع ثلة مباركة من ذوي العلم والخير والصلاح في يوم جمعة ففرح أهلي فرحاً عظيماً، وفاضت على لسان الشيخ يومها الآيات والأحاديث والحكم ثم حضر بعد يومين ومعه هدايا نفيسة وقال: هذا شيء جادت به نفوس إخوانك تعبيراً عن حبهم لك، لقد كان هذا دأب الشيخ مع طلبته وإخوانه.

كما كان الشيخ يواسي المصابين ويعزي المكلومين ويحاول تخفيف كربهم ما استطاع إلى ذلك سبيلاً، وكان يعظ وينصح

ويبين أحكام الشريعة في هذه المناسبات، وينهى عن المنكرات التي تقع أحياناً كالدخان والغفلة والحديث أثناء تلاوة القرآن واللطم والنياحة.

وأما سعي الشيخ في تفريج هموم المهمومين وتخفيف معاناتهم، فالكلام فيه يطول ويعرفه كل من صحب الشيخ فقد كان الشيخ يجد لذة في قضاء حاجات المسلمين ويعدها من أعظم القرب إلى الله تعالى، فكم من مظلوم سعى لكشف الظلم عنه وكم من مريض طال مرضه واستعصى شفاؤه سعى الشيخ لتخفيف الألم عنه وكم من سجين ظلماً لفقت له التهم سعى الشيخ للإفراج عنه بعد أن غابت عنه نصرة أهله وعشيرته. ومن بعض ما أذكره أن شاباً فلسطينياً كان يدرس في جامعة دمشق قدم إلى درعا بعد فتنة أيلول الأسود ١٩٧٠ وكان وحيداً لوالديه وقد زوجه أبوه صغيراً فكانت له ابنة في الصف الأول وهو في السنة الأخيرة في الجامعة. اعتقل هذا الشاب عام ١٩٧٩ بسبب لحيته فقط ووقع أهله في كرب عظيم وكانت زوجته مع أطفالها تبكي ليلها ونهارها.

ولجأت أم الفتى إلى الشيخ فما كان من الشيخ إلا أن ذهب إلى دمشق وقابل المسؤولين واستطاع بتوفيق الله أن يفرج عن الفتى الذي حدثني فيما بعد عما لاقاه من الأهوال في اعتقاله مع كثيرين من شباب هذه الأمة.

وشاب آخر فلسطيني كان يعمل في السعودية قدم لزيارة أهله في درعا عام ١٩٨٠ وقد اشترى لنفسه وأهله قطعة أرض وذهب إلى صلاة الجمعة بعد قدومه بأسبوع وبعد خروجه من المسجد استوقفه عدد من رجال الأمن واقتادوه إلى مركز الأمن وطالت غيبته أكثر من شهرين فلجأت والدته إلى الشيخ فأجاب استغاثتها وسعى بجاهه لمعرفة حال هذا الرجل وتبين بعد ذلك أنه قضى شهرين كاملين لم يحقق خلالهما معه أحد، وأفرج عن الرجل ليلاً وما إن حل الصباح حتى كان الرجل مسافراً خارج الحدود وهو لا يلوي على البلد الذي أوذي فيه وهو لا يدري سبب إيذائه.

لقطة من بحيرة مزيريب في درعا

٥ - رعاية الفقراء والمساكين:

كان الشيخ يعنى بالمساكين والفقراء عناية كبيرة أذكر أنه بعد هزيمة ١٩٦٧ وقد

خيم الهوان على الجولان وانتشرت خيام اللاجئين الذين راحوا يبحثون عن الغذاء والكساء والدواء وغيرهم من أهل الترف يتقلبون في النعيم كان الشيخ يرعى الكثير من هؤلاء الفقراء والمحتاجين ويحصي أسماءهم ويوصل إليهم المعونات والمساعدات سراً، ويحملها على كتفيه إذا جن الليل ونامت الأعين.

هل مات شيخ المحسنين
وشيخ آساد العرين
هل مات من جعل الحيا
ة هنيئة للآخرين

٦ - الشيخ والسجن:

اقتيد الشيخ قبيل هزيمة حزيران ١٩٦٧ إلى السجن مع صفوة علماء سوريا وأودع في سجن المزة ولا ذنب لهؤلاء العلماء إلا الجأر بالحق والتحذير من التفريط بحقوق الله في الأمة، وصدقت تحذيرات هؤلاء العلماء وسقطت القنيطرة وضاع الجولان وهرب الجيش الثوري وهو لا يلوي على شيء.

وبعد ذلك أفرج عن الشيخ وإخوانه ليجدوا الجولان أسيراً محتلاً ويا للعجب لقد كان حاخامات اليهود يقودون المعارك ويتقدمون الجنود وكان علماء المسلمين في غيابات السجن وأوزار القيود.

ولقد سمعت الشيخ يشكو تغافل الناس عنه في سجنه وتقاعس كثير ممن يتوددون إليه عن زيارته ومواساته في محنته.

وكان الفقراء يفرحون بهذه المساعدات ويجدون فيها ما ينفس كرباتهم ولا يدرون من صاحب هذه اليد البيضاء التي تمتد إليهم بالإحسان.

وقد خرج الشيخ في إحدى الليالي الباردة المطيرة متخفياً يحمل الطحين إلى إحدى الأسر الفقيرة فعرفه أحد المارة فطلب منه الشيخ أن يكتم هذا الأمر.

٧ - الشيخ والحركة الإسلامية:

أسست جماعة الإخوان المسلمين عام ١٩٤٥ وكان الشيخ الدكتور مصطفى السباعي أول مراقب عام لها وتنافس في الانتساب إليها الدعاة والمصلحون والمفكرون لما رأوا فيها من صفاء العقيدة ونبل الأهداف وسلامة المنهج والسلوك وكان شيخنا -رحمه الله- ممن سارعوا للانتساب إليها، وكانت الجماعة تسعى جاهدة إلى القيام بواجب الدعوة إلى الله تعالى والدفاع عن قضايا المسلمين واستعادة حقوقهم المسلوبة والعمل على إعادة الخلافة الإسلامية.

وكان الشيخ مسؤول الجماعة في محافظة درعا وكانت له جهود مباركة محمودة وكان السباعي -رحمه الله- يعرف له قدره ويثق به كل الثقة في قيادة موكب الدعوة في حوران.

ولقد سمعت الشيخ مرة يقول: ذكرت للشيخ السباعي أنني أرغب بالانتساب إلى كلية الشريعة فقال السباعي: يا شيخ عبد العزيز أنت شيخنا وأستاذنا تأتي إلى كلية

الشريعة أستاذاً لا طالباً، وصدق السباعي - رحمه الله -. فقد كان الشيخ فقيهاً شافعياً لا يشق له غبار، وكان طلاب الشريعة يُهرعون إليه لفهم ما اعتاص عليهم من المسائل فيجدون عنده ضالتهم المنشودة.

وعندما كنت طالباً في جامعة دمشق عام ١٩٧٣ كان يدرسنا مادة الدراسات الإسلامية الدكتور عدنان زرزور ذكرت له أنني من طلاب الشيخ عبد العزيز أبا زيد فقال: الشيخ عبد العزيز أستاذنا وشيخنا جميعاً.

وبعد قيام ثورة ١٩٦٣ وإلغاء الأحزاب وقمع الحريات وإعلان الأحكام العرفية تفرغ الشيخ لنشر العلم الشرعي وبقي مرابطاً على ثغور الإسلام وملأ أكنان حوران علماً وفقهاً وخيراً وبراً.

٨ - الشيخ والجهاد:

قال أحد العلماء إن الحرف يلد السيف وإن اللسان يلد السنان وإن الكتاب يلد الكتائب وهو قول صحيح صائب يزجيه نظر سليم وبصر ثاقب أثبتت صحته أسفار التاريخ والوقائع والتجارب، ولقد جاهد الشيخ في سبيل الله بلسانه وبيانه وكان يتشوق إلى خوض الغمرات والقتال بسنانه وتحرير أرض المسلمين وفي مقدمتها أرض فلسطين، أسهم الشيخ في حملات التدريب على السلاح وفنون القتال في الجيش الشعبي، وكان ينفث في روع المتدربين الحمية والإباء ويحثهم على التدريب ويبين لهم ما أعده الله للمجاهدين والشهداء ولقد رأيت له بعض الصور وهو يتدرب على السلاح بالثياب العسكرية، فقد كان يتقدم مواكب المتدربين ويرجو أن يكون في طلائع الفتح المبين وتتوق نفسه إلى جهاد الصهاينة المعتدين ولكن هيهات هيهات فإن هذه المعارك محرمة على أمثاله من المخلصين والمتحمسين لاسترداد الحق ودحض الغزاة المعتدين، مباحة للمهرجين والممثلين.

٩ - الشيخ والمساجد:

بذل الشيخ جهوداً عظيمة في عمارة بيوت الله عز وجل فما من مسجد من مساجد المحافظة إلا وللشيخ جهد مشكور وسعي مبرور في بنائه وإنشائه، كان يسعى بجاهه للحصول على موافقة البناء ويجمع الأموال من المحسنين ليتم بناءها لتكون منارات لهداية الأجيال وتربية الرجال، إن المحراب يخرج الأبطال الذين يستعلون على المحن والأهوال، وهم الذين صنعوا تاريخنا المشرف المجيد.

من جانب المحراب يبدأ سيرنا
للمجد لا من ظلمة الماخور

وكان لبناء بعض المساجد قصة محفورة في ذاكرة الحياة...

سعى الشيخ إلى بناء مسجد الجمرك السوري على الحدود السورية الأردنية وحصل على موافقة ببناء المسجد واختيرت الأرض المناسبة، وبدأ جهوده لتحصيل الأسمنت

والحديد وبقية مواد البناء ولا يخفى على القارئ ما في تحصيل هذه المواد من الدولة من مشقة وعناء وهي مرتبطة بمؤسسات الدولة، وكان يحرص على إنفاق كل قرش في مكانه وكان يستعين بمريديه ومحبيه ليقوموا ببعض الأعمال التي لا تحتاج إلى مهارة خاصة تطوعاً توفيراً للنفقات وكنا نحن طلابه نجد سعادة في قلوبنا ونحن نسهم في عمارة ذلك المسجد... وذهلنا عن أنفسنا ونحن نرى الشيخ يخلع جبته وعمامته ويحمل اللبن على عاتقه ويدنيه من مكان البناء فهرعنا لنحمل عنه فتبسم وقال: لستم أقوى مني ولست بأغنى عن الأجر منكم. لله در شيخنا أبى إلا أن يكون القدوة الحسنة في ميادين الخير والإحسان.

وأذكر أنه جاء إلى مدينة درعا رجل من قرية في السويداء وصلى معنا العصر في جامع المحطة ثم سألنا عن عالم جليل لأمر جلل ليصلي على والده ويؤنبه فمضينا به إلى شيخنا وقد انتهى لتوه من درس النساء وهو يفض نزاعاً بين أسرتين متنازعتين ولما كلمه الرجل استجاب فوراً وتوجه مع الرجل في سيارة أحد الأصحاب ووصلنا القرية قبل العشاء بقليل وأخذ سكان القرية يفدون على أهل الميت يعزونهم بمصابهم وعقب الصلاة وعظ الشيخ الحاضرين موعظة بليغة خشعت لها القلوب وذرفت منها العيون.. ثم سأل الحاضرين أليس عندكم مسجد في قريتكم تصلون فيه الجمعة؟ فقالوا لا، فحزن واغتم وعزم على بناء مسجد في القرية وشكل لجنة من الحاضرين وعاد مع أصحابه إلى درعا وفي صباح اليوم التالي سافر إلى القرية وشارك في تشييع الميت ودفنه وألقى كلمة مؤثرة في الحاضرين ثم عاد إلى درعا ليخطب الجمعة في مسجد المحطة ويبدأ عملية جمع التبرعات لبناء ذلك المسجد.

١٠ - إصلاح ذات البين:

كان الشيخ يسارع في إصلاح ذات البين إذا نزغ الشيطان بين الناس وأفسد مودتهم فتهدأ بمساعيه الفتن الثائرة ويعود الناس المخاصمون إخوة متحابين.

وكان الشيخ حكيماً في الدخول إلى القلوب، أذكر مرة أنه ذهب للإصلاح إثر حادث سيارة توفي فيه أحد الأشخاص ودخل الشيخ بيت المتوفى ولكنه لم يتكلم في أمر الصلح ولما خرجنا من المجلس قال: نظرت في وجوه القوم فتبين لي أن الوقت غير مناسب للكلام في موضوع الصلح، وبعد أيام عاد إليهم وكلمهم فانطفأت الشرور واصطلح الناس.

١١ - وفاء الشيخ لأساتذته وشيوخه:

كان كثير الذكر لأساتذته يجلهم ويحترمهم ويترحم عليهم ويتغنى بسيرهم الحميدة ومواقفهم المجيدة وجهودهم الفريدة في نشر العلم الشرعي وبذل النصيحة للمسلمين وإذكاء روح الجهاد ضد المستعمرين الفرنسيين.

وأذكر أنه أخرج لنا في أحد الأيام مجموعة من الصور لهؤلاء العلماء الأفاضل وأذكر منهم الشيخ علي الدقر وأخذت عينا الشيخ تفيضان بالدموع وهو يحدثنا عن مآثره وأخلاقه وجهاده.

وكان يذكر بعض إخوانه من طلاب العلم ويكن لهم الحب العظيم ومنهم الشيخ عبد الكريم الرفاعي رحمه الله.

- احتفاء العلماء بالشيخ وتوقيرهم له:

كان علماء الشام يقدرون الشيخ حق قدره، ويكنون له المودة والمحبة والإجلال ويعرفون فضله وعلمه وجهوده في نصرة الإسلام.

كنت أواظب على درس الثلاثاء في جامع زيد بن ثابت في دمشق للشيخ محمد عوض تلميذ عبد الكريم الرفاعي، وفي أحد الدروس دخل الشيخ عبد العزيز أبا زيد وأبصره الشيخ محمد عوض فقطع الدرس وقام إليه يقبل رأسه وأجلسه في صدر المسجد واحتفى به احتفاءً عظيماً ورجاء أن يلقي الدرس عنه فاعتذر الشيخ إليه ودعا له. وقد رأيت الكثير من صور توقير علماء الشام للشيخ رحمه الله.

- إحياء المناسبات الإسلامية:

كان الشيخ يحرص على إحياء المناسبات الإسلامية كذكرى الإسراء والمعراج والمولد النبوي، وغزوة بدر، وفتح مكة وغيرها ويتخذ منها مواسم للدعوة إلى الله ومحطات لبيان حقائق الإسلام وتجلية جوانب عظمته واستنباط الدروس والعبر والعظات، وكان الناس يقبلون على هذه اللقاءات ويحيَون في ظلال هذه المناسبات ويستمدون منها الصبر والتقوى والثبات، وكان إحياء تلك المناسبات يزخر بالكلمات الهادفة والمواعظ البليغة والأناشيد الطريفة التي تدعو إلى الخير والرشاد والإعداد والجهاد لتحرير بلاد المسلمين.

- عباءة المحافظ:

كان الشيخ يحب إخوانه وطلابه ويرفق بهم ويحرص على سلامتهم وفي رمضان عام ١٩٨٠ سافر الشيخ إلى إحدى دول الخليج لإلقاء الدروس والمحاضرات وقد عهد إليّ بخطبة الجمعة والعيد وبالفعل خطبت خطبة العيد نيابة عن الشيخ وعندما جاء موسم الحج يمَّم الشيخ شط الديار المقدسة لأداء فريضة الحج وكلفني أيضاً بخطبتي العيد والجمعة.

وفي مساء ليلة عيد الأضحى طرق عليّ الباب رجلان وأبلغاني أن مسؤول شعبة الأمن السياسي يريدني فذهبت معهما ودخلت على الرجل فاستقبلني بجفاوة وقال لي: غداً عيد الأضحى المبارك وبلغنا أنك خطيب العيد وسيحضر المحافظ وكبار الشخصيات ونريد منك خطبة تليق بالمقام وراح يملي عليّ أموراً تتعلق بسياسة الحكومة عليّ أن أروج لها في المسجد فقلت له إنني مكلف بخطبة الجمعة فقط فقال لي من ذا الذي سيخطب العيد إذاً؟

فاتصل بالمفتي فقلت له: دعني أكلم فضيلة الشيخ فسلمت عليه بحفاوة وقلت له يا سيدي أنا مكلف بخطبة الجمعة وستحضر أنت غداً صلاة العيد والمقام يقتضي أن تخطب الناس فوافق الشيخ وخطب خطبة العيد وذكر ما أرادوه منه وألبسه المحافظ عباءة بعد انتهاء الخطبة. ولما رجع فضيلة الشيخ من الحج ذهبت لزيارته وكان قد علم بموضوع خطبة العيد تبسم وقال لي: ما صنعت؟ فقلت: هذا ما وفقني الله إليه فجاءني بعباءة جديدة وقال: أليست هذه خيراً من عباءة المحافظ وألبسنيها بيديه الكريمتين.

وفي أحد الأيام كنت عائداً من التدريس في قرية الشيخ مسكين أنتظر سيارة تقلني إلى درعا وإذا بسيارة تقف أمامي ويترل منها شاب قوي ويدفعني بقوة لأركب في السيارة واتجهت السيارة نحو مدينة نوى ثم توقفت في الطريق وراح الرجل الذي يجلس بجانب السائق يكيل لي السباب والشتائم وقام الرجلان اللذان عن يميني وشمالي بتفتيشي تفتيشاً دقيقاً ووجدوا معي حزب الإمام النووي ووثائقي الجامعية فاستفسر عن حزب الإمام النووي وعن أعضائه وعددهم وأسلحتهم وهو في حالة غضب شديد وبعد جهد جهيد استطعت أن أقنعه بحقيقة الأمر فما كان منه إلا أن صادر أوراقي وأمر بإلقائي في الطريق فرجعت أدراجي إلى بيتي وذهبت إلى شيخنا وحدثته بما جرى معي فتألم كثيراً واصطحبني إلى مقر أمن الدولة في درعا واستقبله المقدم موفق الزعبي وسمع منه مظلمتي فاعتذر عن هذا الصنيع ووصفه بأنه تصرف فردي وطلبنا منه إعادة الوثائق فأعادها. ومن يدري؟ فلولا وساطة الشيخ لضاعت تلك الوثائق.

وفي عام ١٩٨٠ زار رئيس الوزراء عبد الرؤوف الكسم محافظة درعا بهدف التحريض على جماعة الإخوان المسلمين، وأرادوا من الشيخ أن يسهم في تحقيق هذه الحملة فاعتذر بحكمة ورفق فتوجهوا إلى غيره وعافاه الله من هذه المهمة العويصة التي لا تليق بمقامه وتاريخه رحمه الله.

وبعد فهذا غيض من فيض من مواقف شيخنا العلامة عبد العزيز أبا زيد فقد كان نبلاً يتجسد وفضلاً يتكلم وفضائل يسير على الثرى وإن قلمي العاجز وبياني القاصر ليعجزان عن ذكر مآثر هذا العلم الجليل.

فالله أسأل أن يسكن الشيخ الفردوس الأعلى، وأن يجمعنا به هناك، إنه نعم المولى ونعم النصير.

والملتقى في جنان الخلد إن قبلت لنا صلاة وطاعات وأذكار

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

فقه التميز الإسلامي

بقلم: د/ محمد سرحان التمر

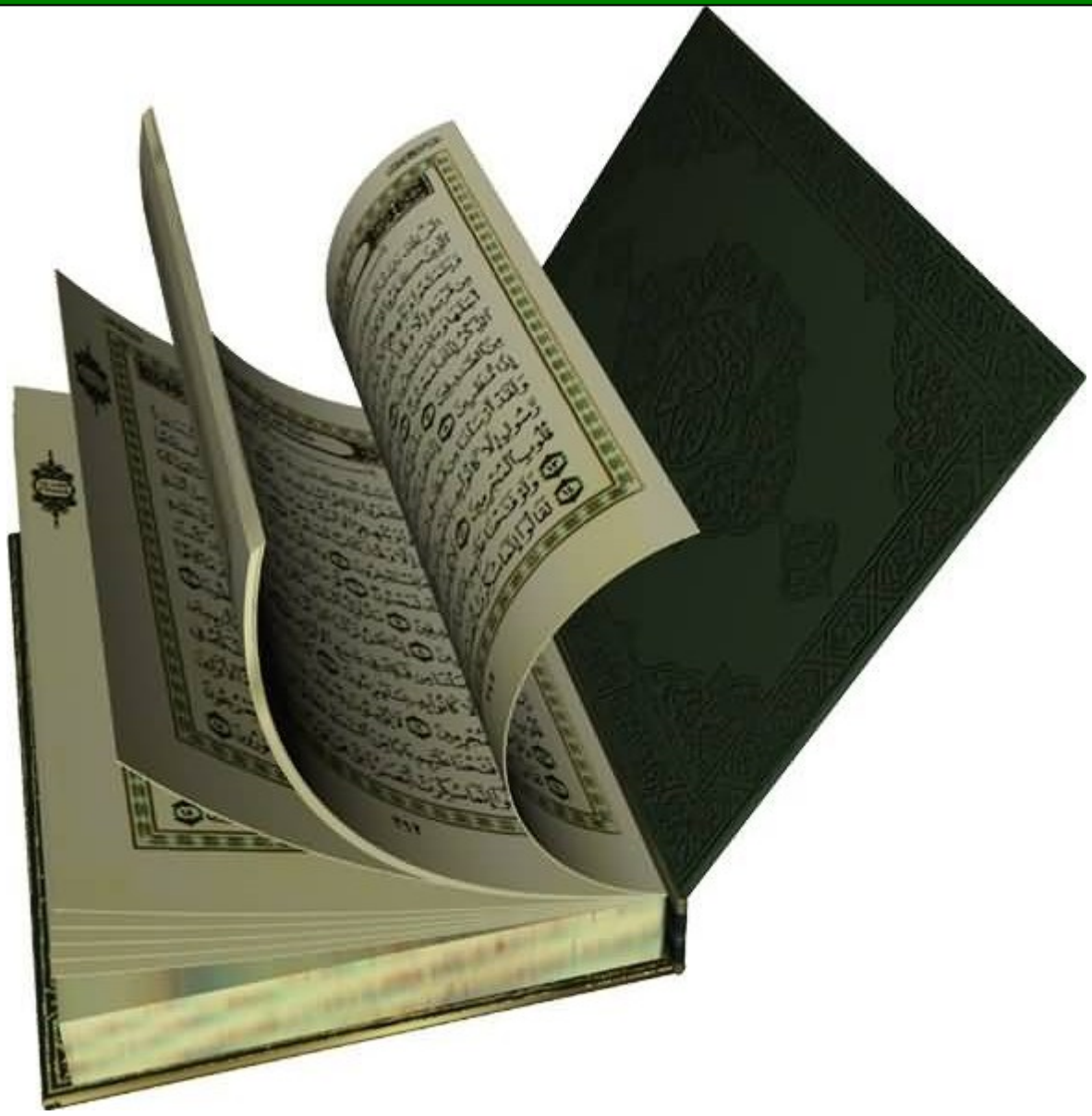

المقدمة: الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه، وبعد:

فإن المسلم متميز عن غيره في كل مجال من مجالات الحياة، بل وفي الآخرة، وليس تميز تعالٍ على البشر بل تميز ولاء وانتماء وسلوك، وسوف أذكر بعض النماذج التي تدل دلالة واضحة على تميز المسلم عن غيره في شتى مناحي الحياة الدنيا وهذه النماذج هي:

التميز العقدي، وحاجة المسلم إليه، نماذج من تميز الصحابة - رضوان الله عليهم- التميز الأخروي، مراحل التميز وبداياتها، تميز المسلم في تربية أولاده، أثر التميز الإسلامي، تميز المسلم في باب الطهارة والغسل وإزالة النجاسة، تميز المسلم في النداء إلى الصلاة، تميزه في مجال التشريع، في عدم جواز تجصيص القبور، تميزه في الأعراس والخطبة، في الطعام وآدابه، في باب ستر العورات.

وهذه بعض النماذج أحببت سردها للعبرة والعظة، ليظهر للمسلم الغيور على دينه السلوك السوي الذي ينبغي عليه أن يسلكه. وقبل أن أسرد هذه النماذج الآنفة الذكر لابد من الوقوف على معنى التميز، والمراد منه في حياة المسلم.

فمنذ زمن طويل يدور في ذهني قضية تميز المسلم عن غيره، ومن خلال اطلاعي وقراءتي كنت أقف كثيراً متأملاً عند كثير من الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة التي تشير إلى تميز المسلم.

هذا وأسأل الله تعالى أن يبصرنا بأمور ديننا، وأن يجعل الفهم السليم رائدنا في كل شيء، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أولاً:. معنى التميز لغة:

مزتهُ ميزاً، عزلته وفصلته من غيره، والتثقيل مبالغة، وذلك يكون في المشتبهات نحو **(لِيَمِيزَ اللّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ)**[1] وفي المختلطات نحو **(وَامْتَازُوا الْيَوْمَ أَيُّهَا الْمُجْرِمُونَ)**[2] وتميّز الشيء انفصل عن غيره.

والفقهاء يقولون: سِنُّ التمييز، والمراد سن إذا انتهى إليها عرف مضاره ومنافعه، وكأنه مأخوذ من ميزت الأشياء إذا فرقتها بعد المعرفة بها[3] وبعض الناس يقول: التميز: قوة في الدماغ يستنبط بها المعاني[4].

والتميز اصطلاحا: هو التزام بالإسلام التزاماً شاملاً، في كل شيء ومعنى هذا: أن يكون التزام المسلم كاملاً وشاملا بأركان الإسلام وجوانبه كلها، صغيرها وكبيرها، ودون استثناء، لأن التفريط في جزئية من جزئيات الدين، مهما كانت صغيرة خطوة أولى في طريق التفريط في الدين كله[5].

ثانياً: حاجة المسلم إلى التميز:

إن حاجة المسلم للتميز الإسلامي كحاجة البذرة إلى عوامل نجاحها، من تربة

طيبة ومناخ مناسب، وسماد جيد، وماء بقدر لا يزيد فتفسد، ولا يقل فتهلك، كما تحتاج البذرة كذلك إلى يد طيبة ترعاها وتحنو عليها.

ثالثاً: التميز العقدي:

مما يتميز به المسلم عن غيره تميزه في مجال العقيدة، وذلك أن المسلم إذا شهد أن لا إله إلا الله: أي: من تكلم بها عارفا لمعناها، عاملاً بمقتضاها باطنا وظاهراً؛ فلا بد في الشهادتين من العلم واليقين والعمل بمدلولهما؛ قال الله تعالى: **(إلا مَن شَهِدَ بالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ)**[٦] وقول الله: **(إلا مَن شَهِدَ بالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ)**[٧] أما النطق بها من غير معرفة بمعناها، ولا يقين ولا عمل بما تقتضيه، من نفي الشريك، وإخلاص القول والعمل قول القلب واللسان، وعمل الجوارح فغير نافع بالإجماع( ) واعتقاد المسلم الجازم برؤية الله تعالى في الآخرة بغير كيف كما قال الله تعالى: **(وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ{٢٢} إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ{٢٣})**( ) وهذا مما يميزه عن غيره من الفرق والنحل

ورحم الله صاحب الأماني في أمالية حين قال:

يراه المؤمنون بغير كيف

وإدراك وضرب من مثال

فينسون النعيم إذا رأوه

فيا خسران أهل الاعتزال[١٠]

ومما هو معلوم في العقائد الإسلامية أن مجرد التلفظ بالشهادتين لا يكفي في نجاة المتلفظ بهما، بل لا بدّ من استيقان القلب وفي هذا تنبيه على فساد مذهب غلاة المرجئة، القائلين بأن التلفظ بالشهادتين كاف في الإيمان.

وأحاديث هذا الباب تدل على فساده، بل هو مذهب معلوم الفساد من الشريعة لمن وقف عليها. ولأنه يلزم منه تسويغ النفاق، والحكم للمنافق بالإيمان الصحيح، وهو باطل قطعاً[١١].

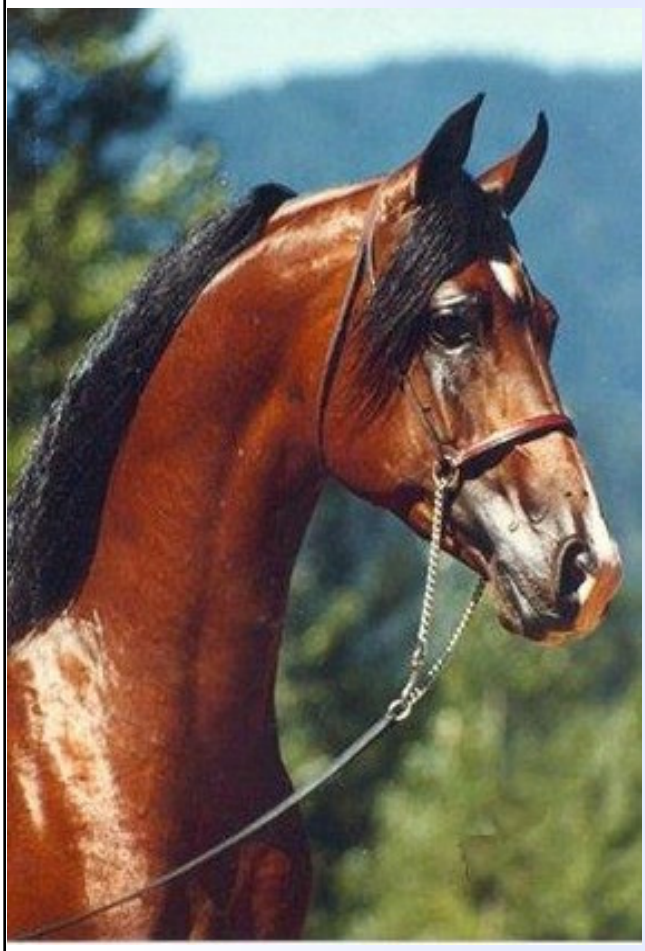

رابعا: نماذج من التميز في حياة الصحابة:

التميز في حياة الصحابة رضي الله عنهم حينما تحسسوا من حولهم، فرأوا أمماً شتى، وتجمعات مختلفة، لكل منها دين خاص بهما، وعادات وتقاليد التزمتها، وعُرفت بها.

فأمة الفرس شرقا تعبد النار، وأمة الروم غرباً ترفع الصليب شعاراً لها، والمشركون حولهم يعبدون الأوثان، ويعيش بين ظهرانيهم اليهود وبعض المنافقين فنظر الصحابة رضي الله عنهم فوجدوا هذه الاختلافات، فأيقنوا أنه لابد لهم من صفة تميزهم عن غيرهم. عندئذ طلبوا من الرسول -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- صفة تميزهم عن غيرهم تميزاً إيمانيا وسلوكيا، وتشريعياً، تميزاً لا يمت إلى التميز العنصري أو التميز الطبقي بأدنى صلة، فنزل قوله تعالى استجابة لهذه الرغبة:(مَّا كَانَ اللّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىَ يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ)[آل عمران: ١٧٩].

الخطاب في الآية لمعسكر الكفر على تقدير: يا كافر ون، و يا منافقون (ما كان الله ليذر المؤمنين) أي: ليتركهم (على ما أنتم عليه) من الكفر والضلال (حتى يميز الخبيث من الطيب).

ومن العجب أن القرآن الكريم لم ينص نصاً صريحاً على التميز الإسلامي إلا في آيتين: الآية السابقة (ما كان الله ليذر المؤمنين...) وفيها إشارة إلى التميز الإسلامي في الدنيا. وآية تشير إلى تميز المسلم في الآخرة. هذا ربعي بن عامر الصحابي الجليل -رضي الله عنه- يعطينا درساً في التميز الإسلامي كونه جندياً من جنود الإسلام، وذلك عندما أوفده قائده سعد بن أبي وقاص -قائد القادسية- إلى يزد جرد قائد الفرس، بناء على طلب منهم فماذا فعل وماذا عمل ؟؟

عندما دخل إلى القصر ربط فرسه عند باب قصر كسرى عظيم فارس، ومقر قيادته وأركان دولته فأراد بذلك إهانة القصر وإهانة من فيه، والاستهتار بمقامه، وكان قانونهم ينص على شنق أو سجن من يتعدى على الذات الكسروية، ولكن ربعياً أصر على ذلك فرضخوا لإرادته. ثم ماذا فعل ربعي في أثناء دخوله القصر؟؟

لقد كان يتكئ على رمحه حتى يخرق السجاد الأنيق ويمزق الوسائد المتناثرة على طريقه، ثم بعد ذلك جلس على كرسي الملك قائلاً لهم: أنتم الذين دعوتموني، ورجوتموني إلى هذا اللقاء[١٣].

خامساً: التميز الإسلامي في الآخرة:

التميز الإسلامي في الآخرة فقد جاء في قول الله تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّواْ عَن سَبِيلِ اللّهِ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُواْ إِلَى جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ{٣٦} لِيَمِيزَ اللّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ الْخَبِيثَ

بَعْضَهُ عَلَى بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُ جَمِيعاً فَيَجْعَلَهُ فِي جَهَنَّمَ أُوْلَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ{٣٧})[١٤] فهذه الآية نصت على تميز المسلمين في الآخرة، وليس في القرآن الكريم غير هاتين الآيتين اللتين نصتا على التميز الإسلامي صراحة،وإن كان القرآن مليئاً بالآيات الدالة عليه ضمناً.

والذي يعنينا هنا هو التميز الإسلامي في الدنيا حيث نعيش، فمن حظي بالتميز في هذه الدنيا، كرمه الله بالتميز في الآخرة[١٥] والأمثلة على التميز الإسلامي في الآخرة كثيرة جدا، ومنها قول الله تعالى: (إِلا أَصْحَابَ الْيَمِينِ{٣٩} فِي جَنَّاتٍ يَتَسَاءلُونَ{٤٠} عَنِ الْمُجْرِمِينَ{٤١} مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ{٤٢})[١٦] ومن ألوان النعيم والتلذذ التي يعيشها أهل الجنة وهم يتسامرون فيها سؤالهم عن المجرمين وهم في نار جهنم (ما سلككم في سقر) [المدثر:].

ومن إعجاز القرآن الكريم، اجتماع المعاني الكثيرة في اللفظ الواحد، وهذا ما نلحظه في الآية الكريمة (مَّا كَانَ اللّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّى يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ)[١٧]، فقد اجتمع في اللفظ الواحد وهو الخبيث معان كثيرة منها: الكفر، والنفاق، والتميع، والتجسس، والبخل، وشهادة الزور، وقذف المحصنات الغافلات وغيرها من الصفات الخبيثة، كما نلحظ ذلك أيضاً في قوله تعالى: (من الطيب...) فلفظ الطيب شملت كل الصفات الطيبة كالإيمان، والإخلاص، والرجولة، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والإنفاق في سبيل الله، وغيرها من الصفات الحسنة، فقد أغنت الآية الكريمة وما فيها من إعجاز عن ذكر كل ذلك، فمن معانيها: ليميز الله الخبيث الكافر من المؤمن الطيب، ليميز الله الخبيث المنافق من المؤمن المخلص .. ليميز الله الخبيث البخيل من الطيب المنفق السخي،.. ليميز الله الخبيث المتميع من الطيب الخلوق،.. ليميز الله الخبيث المنهزم من الطيب المجاهد،.. ليميز الله الخبيث الآمر بالمنكر الناهي عن المعروف من الطيب الآمر بالمعروف الناهي عن المنكر[١٨].

سادساً: متى تبدأ مرحلة التميز ؟

تبدأ مرحلة التميز الإسلامي عند المسلم قبل الولادة !! وهو في مرحلة النطفة. لأن النطفة هي خلاصة الغذاء، والغذاء نتيجة للكسب، والكسب إما حلال وإما حرام، فإن كان الكسب حلالاً مشروعا كانت النطفة حلالاً وإن كان الكسب من حرام كانت النطفة حراماً.

فعلى الوالد تقع مسئولية تميز أولاده وهم يمرون بمرحلة التكوين الجنيني وحتى سن البلوغ، فإن أطاب مطعمه ومشربه فقد هيأ نفسه لوضع النطف الصالحة، فيخرج الأولاد إلى الحياة مباركاً فيهم، وإلا فقدت البركة منهم.

لقد ربط الله عز وجل حياة المسلم بالإيمان والتقوى، فلا تستقيم الحياة إلا بهما.

فنزول الغيث، وإنبات الزرع، ورخاء المعيشة، والأمن النفسي والاجتماعي، والأمن السياسي، كل ذلك يربطه الله بالإيمان والتقوى فيقول عز وجل: **(وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُواْ وَاتَّقَواْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ وَلَكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ)**[١٩] وهذا معناه أن تحري الكسب الحلال فريضة كالصلاة والصيام وغيرهما، ولا فرق بين الكسب الحلال والعبادة الخالصة لله.

ويستمر التميز الإسلامي بصحبة المسلم قبل الزواج، فلا يخطب إلا الخطبة الإسلامية المبنية على الدين والخلق القويم، فلا يجري وراء الزينة والجمال، أو الحسب والمال، ويجعل كل ذلك أو بعضه شرطاً لزواجه ممن يخطبها، بل يقدم على خطبة عروسه مسترشداً بحديث رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: **(تنكح المرأة لأربع، لدينها وجمالها، ومالها، وحسبها فاظفر بذات الدين تربت يداك)**[٢٠].

سابعاً: تميز المسلم في تربية أولاده:

يتميز المسلم بتربية أولاده، وحسن تأديبهم، واستقامة أحوالهم، ضمن أوامر الشرع ونواهيه، وتظل صفة التميز الإسلامي ملازمة للمسلم حتى يلقى الله عز وجل، فهذا الصديق أبو بكر -رضي الله عنه- وقد أدرك حقيقة التميز الإسلامي حين حضرته الوفاة يوصي ابنته عائشة إذا مات أن تسلم ما بقي من ماله الخاص إلى الخليفة من بعده، وقد سلمت عائشة غلامين كانا لأبيها للخليفة الفاروق، فقال: عمر رضي الله عنه قولته المشهورة: لقد أتعبت من جاء بعدك يا أبا بكر)[٢١] وقد جاء في الحديث الشريف: **(كل مولود يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه، أو ينصرانه، أو يمجسانه)**[٢٢].

ثامناً: أثر التميز الإسلامي على الفرد والجماعة:

من وفقه الله للإسلام، فتلك نعمة عظيمة، ومنة كبيرة، فليسعد، وليهنأ، وليستبشر بنعمة من الله وفضل، شريطة أن يعمل للإسلام، ويدعو إلى الله عز وجل. يقول الله تعالى: **(وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحاً وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ)**[٢٣]. ولا يخشى الكافرين، ولا يبالي بهمز ولمز الفاسقين، لأن الله يدافع عن المؤمنين، يقول الله تعالى: **(إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا)**[٢٤].

ويقول سبحانه وتعالى أيضا **(وَكَانَ حَقّاً عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ)**[٢٥] ويلزم المسلم مع الدعوة العلم بما يدعو إليه، حتى تتحقق النتائج المرجوة لهذا التميز الإسلامي للفرد والجماعة، فعلى مستوى الفرد يقول الله تعالى: **(قُلْ إِنَّ صَلاَتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلّهِ رَبِّ**

الْعَالَمِينَ)[٢٦]، وعلى مستوى الأمة يقول الله تعالى: (كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللّهِ)[٢٧] وعلى مستوى الدولة الإسلامية يقول الله تعالى: (وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِّتَكُونُواْ شُهَدَاء عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً)[٢٨].

تاسعاً: تميز المسلم عن غيره في الطهارة وإزالة النجاسة.

- تميز المسلم في قضاء الحاجة:

أ) آداب قضاء الحاجة:

- يسن لقاضي الحاجة أن يقدم يساره لمكان قضائها، ويمينه لانصرافه.
- ولا يستقبل القبلة ولا يستدبرها.
- ولا يقضي في ماء راكد وجحر ومهب ريح، ومتحدث الناس.
- ويسن للمستنجي أن يوتر في التطهر.
- وان يستنجي بيساره بماء جديد.

فانظر إلى هذه الآداب التي يتحلى بها المسلم عندما يدخل الحمام لقضاء حاجته، فهذه الآداب لا توجد عند أية أمة من الأمم مهما تقدمت علمياً وتقنيا.

ب) وفي مجال الغسل:

يطلب الغسل على سبيل الوجوب فيما يأتي:

١ - عند الجنابة.

٢ - عند الطهر من الحيض.

- عند الطهر من النفاس والولادة.

ويسن الغسل فيما يأتي:

١ - غسل الجمعة.

٢ - غسل العيدين.

٣ - الغسل للإحرام.

٤ - الغسل لدخول مكة[٢٩].

وهذا مما يتميز به المسلم عن سائر الناس، فنجد ونسمع عن كثير من الكفار أنهم لا يغتسلون من الجنابة وغيرها. من المعلوم عند المسلمين: أن المسكر نجس وهو محرم في دين الله تعالى، وأن الكلب نجس نجاسة مغلظة كنجاسة الخنزير، بخلاف غير المسلمين فلا قيود ولا ضوابط عندهم، فتراهم يأكلون مع الكلاب، ويأكلون لحم الخنزير.

وإذا فقد المسلم الماء أو عجز عن استعماله يحق له أن يتيمم ويصلي في أي مكان كان من الأرض إن كانت الأرض طاهرة، بخلاف غير المسلمين، فقد كانوا لا يصلون إلاّ في مكان خاص للعبادة. أما المسلمون فيصلون في أي مكان من الأرض بشرط أن يكون طاهراً كما أشرت لهذا آنفاً، وهذا من تيسيرات الشريعة الإسلامية التي رفع الله الحرج والضيق عن المسلمين فيها[٣٠] وقد جاء في الحديث الشريف: (وجعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً)[٣١]. ولا يجوز لمسلم أن يصلي في أوقات نهى الإسلام المسلمين أن يصلوا

فيها وهي عند طلوع الشمس حتى ترفع قدر رمحٍ.

-وعند الاستواء حتى نزول الشمس عن وسط السماء.

-وبعد صلاة الصبح حتى تطلع الشمس.

-وبعد العصر حتى تغرب.

-وعند الاصفرار.

وكل هذا حتى لا يوافق المسلم الكفار في عباداتهم( ).

عاشراً: تميز المسلم عن غيره في النداء إلى الصلاة:

- فقد تشاور رسول الله -صلى الله عليه وسلم- مع أصحابه لإيجاد عمل ينبه النائم ويذكر الساهي ويعلم الناسي بدخول الوقت لأداء الصلاة.
- فقال بعضهم نرفع راية إذا حان وقت الصلاة، ليراها الناس، فاعترضوا على هذا الرأي لأنه لا يفيد النائم ولا الغافل.
- وقال آخرون: نشعل ناراً على مرتفع من الهضاب فلم يقبل هذا الرأي أيضاً. وأشار آخرون ببوق وهو ما كانت اليهود تستعمله لصلواتهم، فكرهه رسول الله -صلى الله عليه وسلم- لأنه يحب مخالفة أهل الكتاب في أعمالهم.
- وأشار بعض الصحابة باستعمال الناقوس، وهو ما يستعمله النصارى فكرهه الرسول -صلى الله عليه وسلم- أيضا.
- وأشار فريق بالنداء، فيقوم بعض الناس إذا حانت الصلاة وينادي بها، فقيل: هذا الرأي. وكان أحد المنادين عبد الله بن زيد الأنصاري، فبينما هو بين النائم واليقظان، إذ عُرض له شخص وقال: ألا أعلمك كلمات تقولها عند النداء بالصلاة؟ قال: بلى، فقال له: قل الله أكبر، مرتين ثم قل: لا إله إلا الله فلما استيقظ توجه إلى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وأخبره رؤياه فقال: (إنها لرؤيا حق) **ثم قال له: ((لقن بلالاً فإنه أندى صوتاً منك))** وبينما بلال يؤذن للصلاة بهذا الأذان جاء عمر بن الخطاب يجر رداءه فقال: والله لقد رأيت مثله يا رسول الله. وكان بلال بن رباح أحد مؤذنيه بالمدينه والآخر عبد الله بن أم مكتوم، وكان بلال يقول في أذان الصبح بعد حي على الفلاح، الصلاة خير من النوم مرتين وأقرّه الرسول -صلى الله عليه وسلم- على ذلك(٣٣).

يريد النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم من هذه الأمة أن تكون متميزة عن سائر الأمم، فلم يوافق النبي -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- المسلمين أن يتخذوا بوقاً كبوق اليهود، ولم يوافقهم أن يتخذوا ناقوساً -كناقوس النصارى-، ولم يوافقهم

صلى الله عليه وعلى آله وسلم على أن يشعلوا ناراً كنار المجوس، ولم يسمح لهم بأن يجعلوا راية فوق مرتفع من الأرض.

يريد صلى الله عليه وعلى آله وسلم أن يكون للأمة شخصية متميزة عن كل الأمم، فأمتنا ليست تبعاً لشرق أو لغرب، ليهود أو نصارى أو مجوس فالأمة عندما تكون ذنباً للأمم تفقد هويتها التي أرادها لها الرسول صلى الله عليه وعلى آله وسلم، فلا يمكن أن تعود لنا هيبتنا وشخصيتنا إلا إذا عدنا إلى ديننا، ورجعنا إلى كتاب ربنا، وسرنا على هدي نبينا الذي ارتضاه لنا صلى الله علي وسلم.

حادي عشر: تميز المسلم في مجال التشريع:

ومما يتميز به المسلم عن غيره تميز التشريع الذي يتبعه عن التشريعات الأخرى.

فقد رفع الله عن المسلمين الحرج والمشقة في هذه الشريعة الغراء إذ أن نعم الله علينا نحن المسلمين كثيرة جداً، ومن هذه النعم العظيمة علينا هذه الشريعة السمحة الميسرة التي تصلح لكل زمان ومكان، والتي ليس فيها تفريط ولا إفراط، وبها جعل الله هذه الأمة وسطاً لتكون شاهدة على الناس ويكون الرسول علينا شهيداً، وبالمقابل فالأمم السابقة كانوا لا يحق لهم أن يصلوا إلا في مكان خاص بالعبادة، فكانت التكاليف التي كلفوا بها فيها مشقة وشدة، أما شريعتنا. فهي ميسرة فيحق لنا أن نصلي أينما كنا وحيثما وجدنا، إذا كانت الأرض طاهرة. وقد جاء هذا التيسير في كتاب الله تعالى في آيات كثيرة منها على سبيل المثال:

١- قال الله تعالى: **(وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ)**[٣٤]

٢- وحديث: **(وجعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً)**[٣٥]

وسوف أذكر نبذة يسيرة لمظاهر التيسير في الشريعة الإسلامية، التي تميزت عن غيرها من الشرائع السابقة.

مظاهر التيسير في الطهارة والصلاة.

) في الطهارة: يعفى عن قدر مساحة الدرهم من القيح أو الصديد أو الدم من الإنسان نفسه أو من غيره، وكذلك يعفى عن أثر الذباب من العذرة (ما يخرج من الإنسان) وغيرها من النجاسة، لتعذر الاحتراز منه، كما يعفى أيضاً عن سلس البول إذ لازم الإنسان، وعن دم الاستحاضة. ويعفى أيضاً عن أثر الجروح والقروح والدمامل والبواسير، إذا لم تنكأ هذه الجراح بأن تعصر أو تقشر[٣٦].

٢) ومن مظاهر التيسير في الشريعة: التيمم: وهو القصد كما قال تعالى: **(وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ)**[٣٧]

) قصر الصلاة في السفر قال تعالى: **(إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ إِنْ خِفْتُمْ أَن يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ**

الْكَافِرِينَ كَانُواْ لَكُمْ عَدُوّاً مُّبِيناً)[٣٨].

) ومن مظاهر التيسير في هذه الشريعة السمحاء التيسير في مقدار الزكاة، فالله سبحانه وتعالى لم يأمر المزكي بإخراج نصف ماله ولا ثلثه ولا ربعه، لأن ذلك مما يشق على النفس، ويدفعها إلى الشح، ويجعلها تشعر بثقل التكاليف[٣٩].

) ومن مظاهر التيسير في الشريعة الإسلامية: التيسير في الصيام. كإباحة الفطر للعاجز الذي لا يطيق الصيام يفطر ويطعم عن كل يوم نصف صاع من الحنطة ولا شيء عليه غير ذلك،و بذلك قال: الأحناف.

- أما الشافعية: فعندهم أن الشيخ الكبير الذي يجهده الصوم، والمريض الذي لا يرجى برؤه لا يجب عليه الصوم، ويجب عليه عن كل يوم مد من طعام[٤٠].

) ومن مظاهر التيسير: أن الحج لم يفرض إلا مرة واحدة في العمر وعلى المستطيع منهم.

ثاني عشر: تميز المسلم عن غيره: في عدم جواز تجصيص القبور:

- عن جابر بن عبدا لله -رضي الله عنهما- : **نهى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: أن يُجصص القبر، وأن يقعد عليه، وأن يبني عليه))**

- جمهور العلماء أن النهي في البناء والتجصيص للتنزيه، والقعود عليه للتحريم.

وهذا يدل على مكانة المسلم والإنسان في الإسلام، وهو دليل واضح على تميز المسلم عن غيره في كل شيء، وأن القعود على القبر حرام، لما للإنسان من مكانة عظيمة، وهذه الصفة لا توجد عند أية أمة من أمم الأرض، فالإنسان عندنا مكرم حياً وميتاً[٤١] قال تعالى: **(رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ)**[٤٢]، وقال تعالى: **(رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ)**[٤٣]

فمن خلال هاتين الآيتين يتبين لنا مكانة المسلم حياً وميتاً، فالمسلم لا يُنسى عند إخوانه بعد موته، فهم يخصونه بالدعاء دائماً، ويترحمون عليه، وهذه الميزة لا توجد عند غير المسلمين.

ثالث عشر: تميز المسلم عن غيره في الأعراس والخطبة والولائم:

ومما يتميز به المسلم عن غيره في باب وليمة العرس وهي ما يتخذ عند الدخول وما يتخذ عند الإملاك (التزويج).

- عن بن عمر رضي الله عنهما قال: **قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إذا دعي أحدكم إلى وليمة فليأتها)**[٤٥] في الحديث دليل على وجوب إجابة الدعوة وخاصة إلى وليمة العرس، فالإسلام يريد أن يبني مجتمعاً متميزاً عن سائر المجتمعات الأخرى.

والأمثلة على تميز المسلم عن غيره كثيرة لا نستطيع حصرها، ولكن نذكر بعض النماذج منها لأخذ العبرة والعظة.

فعلى سبيل المثال: الأكل باليمين والتسمية.

عن عمر بن أبي سلمة قال: قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ **(يا غلام سم الله، وكل بيمينك، وكل مما يليك)**[٤٦]

فلقد غرس رسول الله -صلى الله عليه وسلم- الفضيلة في هذا الغلام منذ نعومة أظفاره، وربطه بالله تعالى منذ الصغر: سم الله وكل بيمينك، وكل مما يليك، هذه القيم والآداب لا توجد عند أية أمة أخرى، فالمسلم متميز في أكله وشربه، في نومه ويقظته، في حله وترحاله، في حربه وسلمه، في لباسه ومشيه، في بيعه وشرائه، في زواجه وعزوبته.

الرابع عشر: تميز المسلم في مجال العورات:

يجوز للرجل أن ينظر من الرجل إلى جميع جسده ما عدا ما بين السرة والركبة، ويجوز للمرأة أن تنظر من المرأة إلى جميع جسدها ما عدا ما بين السرة والركبة ولو كانت هذه المرأة ابنتها أو أمها أو أختها[٤٧] وهذا بخلاف الأمم الأخرى، فإنهم لا يتحرجون في الغالب من كشف العورات أمام بعضهم، وما نسمع عن نوادي العراة في الغرب ليس عنا ببعيد، وهذا يتعارض مع كرامة الإنسان، وأما في الإسلام فالإنسان له مكانة وأي مكانة، فلا يجوز في ديننا أن نجلس على القبور، بل ولا يجوز كسر عظم ولو كان صاحبه كافراً، فعلى المسلم أن يرفع رأسه شامخاً أمام هذا التشريع الخالد، الذي تولى الله حفظه، فما أحوج المسلمين إلى هذا الشرع الشريف وتطبيقه على أنفسهم وأبنائهم !

خلاصة القول

بعد هذه الجولة في معنى التميز وأنواعه وحاجة المسلم إليه تبين لي ما يأتي:

١) المسلم متميز في سلوكه وأخلاقه، في بيعه وشرائه، في تعامله مع والديه، والناس أجمعين.

٢) وأن المسلم بحاجة إلى التميز كحاجة البذرة إلى عوامل نجاحها من تربة طيبة ومناخ مناسب.

٣) والمسلم متميز في عقيدته عن سائر البشر، وأن إيمانه جازم بما يعتقد لا يتطرق إليه أي شك.

٤) وأن الصحابة هم النموذج الأمثل في حياتنا بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم.

٥) المسلم متميز عن غيره في الدنيا والآخرة، فهو في الآخرة في نعيم مقيم، والناس في شقاء وعذاب.

٦) وأن مرحلة التميز عند المسلم تبدأ قبل الولادة، وهو في مرحلة النطفة.

٧) وأن المسلم متميز عن غيره في تربية أولاده على الأخلاق الإسلامية النبيلة منذ نعومة أظافره.

٨) وأن أثر التميز يظهر على الفرد والمجتمع والدولة في الإسلام.

٩) والمسلم متميز عن غيره في طهارته وغسله، وندائه إلى الصلاة، وفي تشريعه الذي يتبعه.

١٠) وأخيراً فالمسلم متميز في طعامه وشرابه، ولباسه، وفي ستر عورته ولباسه.

الهوامش:

١) سورة الأنفال آية (٣٦ ٣٧).
٢) سورة يس آية (٥٩).
٣) ينظر: المصباح المنير، أحمد بن محمد بن علي المقري الفيومي المتوفي (٧٧٠ هـ)، بدون ذكر زمن الطبعة، دار القلم، بيروت، ٨٠٧/٢.
٤) ينظر: التميز الإسلامي، عبد المنعم أبو زنط ، الطبعة الأولى / ١٩٩٠م، مكتبة السندس، ص٨.
٥) المصدر السابق بتصرف.
٦) سورة الزخرف آية (٨٦).
٧) ينظر سورة محمد آية (١٩)
٨) ينظر: فتح المجيد لشرح كتاب التوحيد عبدالرحمن بن حسن بن عبدالوهاب ، دار ابن حزم، الطبعة الأولى١٩٩٩م ، ص٣٥.
٩) سورة القيامة آية /٢٢/٢٣ / .
١٠) ينظر: نخبة اللآلي لشرح بدأ الأمالي، محمد بن سليمان الحلبي الريحاوي المتوفي (١٢٢٨هـ)، بدون ذكر زمن الطبعة، ص٤١.
١١) ينظر: فتح المجيد لشرح كتاب التوحيد عبدالرحمن بن حسن بن عبدالوهاب ، دار ابن حزم، الطبعة الأولى١٩٩٩م ، ص٣٥.
١٢) سورة آل عمران آية (١٧٩).
١٣) ينظر: التميز الإسلامي، عبد المنعم أبو زنط ، الطبعة الأولى / ١٩٩٠م، مكتبة السندس، ص١٧-١٩.
١٤) سورة الأنفال - (٣٦ ٣٧)
١٥) ينظر: التميز الإسلامي، مصدر سابق ، الطبعة الأولى / ١٩٩٠م، مكتبة السندس، ص١٥.
١٦) سورة المدثر الآيات (٣٩ - ٤٢).
١٧) سورة آل عمران آية (١٧٩)
١٨) ينظر: التميز الإسلامي، مصدر سابق ، الطبعة الأولى / ١٩٩٠م، مكتبة السندس، ص١٦.
١٩) سورة الأعراف آية ٩٦ ٩٩
٢٠) ينظر: صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي (١٩٣-٢٥٦هـ) طبعة مزيدة مصححة مرقمة مرتبة حسب المعجم المفهرس، دار بن كثير ،ص ٤٦٥/١.
٢١) ينظر: التميز الإسلامي عبد المنعم أبو زنط ص١٨، مكتبة السندس ط ١ ١٩٩٠م
٢٢) ينظر: صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي (١٩٣-٢٥٦هـ) طبعة مزيدة مصححة مرقمة مرتبة حسب المعجم المفهرس، مكتبة دار السلام الرياض رقم الحديث (١٣٨٥) ص٢٢٢
٢٣) سورة فصلت آية ٣٣
٢٤) سورة الحج آية ٣٨
٢٥) سورة الروم ٤٧
٢٦) سورة الأنعام آية ١٦٢
٢٧) سورة آل عمران ١١٠
٢٨) سورة البقرة ١٤٣
٢٩) فتح الوهاب بشرح منهج الطلاب للشيخ زكريا بن محمد بن أحمد بن زكريا الأنصاري المتوفي سنة ٩٢٦هـ / ٢٢/١ الطبعة الأولى سنة ١٩٩٨م دار الكتب العلمية بيروت.
٣٠) المصدر السابق بتصرف ١/ ٣٤

٣١) ينظر: البخاري في باب قول النبي صلى الله عليه وسلم (وجعلت لي الأرض مسجدا...) طبعة مزيدة مصححة مرقمة مرتبة على حسب المعجم المفهرس ص ٧٦ رقم الباب / ٥٦ / سنة الطبع / ١٩٩٩م.

٣٢) ينظر: متن الغاية والتقريب للقاضي أبي شجاع أحمد بن الحسين بن أحمد الأصفهاني المتوفى سنة (٥٩٣ هـ) تحقيق ماجد الحموي، الطبعة الأولى ١٩٩٣م، دار بن حزم،، ص ٧٨.

٣٣) ينظر: السيرة النبوية عرض وتحليل أحداث دروس وعبر د / علي محمد محمد الصلابي، بدون ذكر زمن الطبعة، دار الأيمان الإسكندرية ص ٥٦٤ - ٥٦٥.

٣٤) سورة الحج آية ٧٨

٣٥) ينظر: رواه البخاري في باب قول النبي (وجعلت لي الأرض مسجدا...) ص ٧٦ محمد بن إسماعيل الجعفي (١٩٤ - ٢٥٦ هـ) طبعة مزيدة مصححة مرقمة مرتبه حسب المعجم المفهرس رقم الباب (٥٦) سنة الطبع (١٩٩٩م).

٣٦) ينظر: مظاهر التيسير ورفع الحرج في الشريعة الإسلامية د / فرج علي الفقيه، الطبعة الأولى ٢٠٠٣م،حسين ص٤١.

٣٧) سورة البقرة آية (٢٦٧)

٣٨) ينظر:مظاهر التيسير ورفع الحرج في الشريعة الإسلامية،د/ فرج علي الفقية حسين. الطبعة الأولى، ص٤٤

٣٩) سورة النساء آية (٤٣).

٤٠) ينظر: مظاهر التيسير ورفع الحرج في الشريعة الإسلامية بتصرف يسير، مصدر سابق، ص٩٢-١١٠

٤١) ينظر: صفوة الأحكام من نيل الأوطار وسبل السلام د/ قحطان عبد الرحمن الدوري، دار الفرقان للنشر والتوزيع الطبعة الثانية والحديث صحيح رواه مسلم، ص٩٩.

٤٢) المصدر السابق بتصرف يسير.

٤٣) سورة الحشر آية (١٠)

٤٤) سورة محمد آية (١٩)

٤٥) رواه البخاري محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي (١٩٤- ٢٥٦) طبعة مزيدة مصححة مرقمة مرتبة حسب المعجم المفهرس وفتح الباري. طبعة خاصة لمؤسسة الحرمين الخيرية مكتبة دار السلام الرياض للنشر والتوزيع، ص٩٢٤.

٤٦) ينظر: صحيح البخاري باب التسمية على الطعام والأكل باليمين برقم /٥٣٧٦/ طبعة مزيدة مصححة مرقمة مرتبة حسب المعجم وفتح الباري. طبعة خاصة لمؤسسة الحرمين الخيرية مكتبة دار السلام الرياض للنشر والتوزيع، ص٩٦٠.

٤٧) ينظر: كتاب الأسرة للشيخ حسن أيوب، الطبعة الأولى سنة ٢٠٠٢م ، دار السلام للنشر والتوزيع مصر، ص١٢٧ .

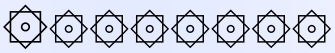

أفل نجم من سماء الأدب
وسطعت نجوم

كتبته: أحلام الخيرات

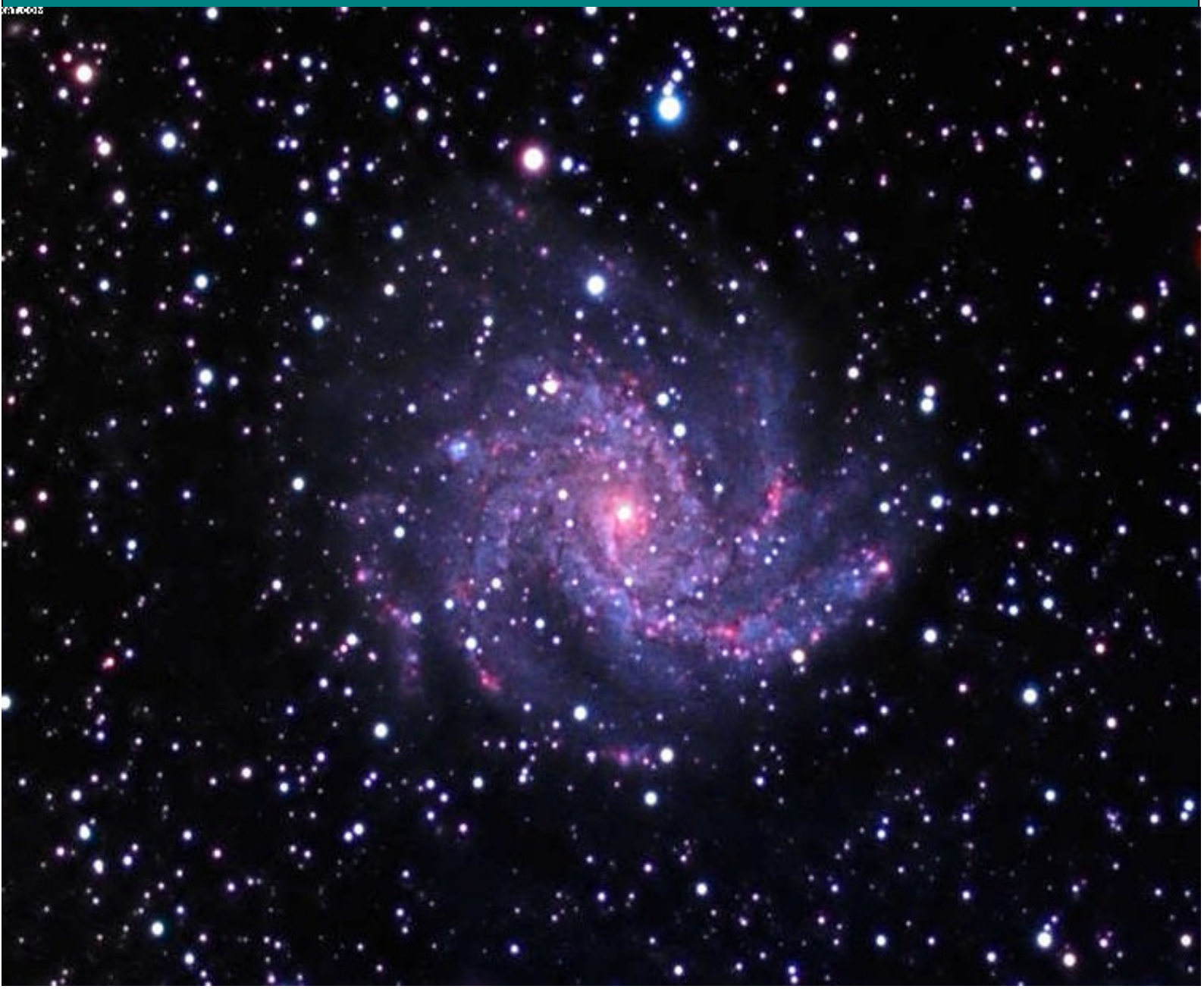

توفي الأديب الداعية الأستاذ / محمد الحسناوي وبذلك ترجل فارس الأدب لكن بعد أن أركب فوارس وفارسات على صهوات خيول الأدب...

أخيراً أفل نجم ساطع من نجوم الأدباء العرب ولكن خلف وراءه نجوماً في سماء الأدب العربي.

لقد توفي الحسناوي فخلده أولاده محمود ويمان بأسمى الكلمات الحقة وكذلك ابنته مزنة وزوجته هيفاء علوان ونحن النساء شقائق الرجال فلا بد لنا في هذا المقام من الكلام عن مزنة وهيفاء أما مزنة فقد جاءها خبراً أرادت تحليله ... ثم تبين وفاة أبيها سردت ذلك بقصة أدبية راقية ثم قالت لأبيها مرثية: (إن ما يحز في نفسي يا والدي أنك رحلت، و لم أنهل بعد من غدير علمك الصافي ما يطفئ ظمئي، ما أروعها تلك الجلسات التي كنا نحلق خلالها في سماء الأدب ، ونقطف من ثمار العلم والمعرفة، ونترنم بأجمل الأشعار. كنت أحس بنفسي وهي ترتقي من عالم الماديات الخالي من الأحاسيس إلى عالم من الجمال الأخاذ...

كنت تأخذ بيدي الغضة لترشدني وتدلني على دروب لم أطرقها بعد، وتفتح عيني على آفاق ما كنت أستشرفها لولا عونك وإرشادك، ما يعزيني يا والدي أنك لم ترحل، بل في ضيافة من لا تضيع ودائعه، فهنيئاً لك مسكنك في

الأديب الداعية الأستاذ / محمد الحسناوي

جنات النعيم مع الأنبياء والصديقين والشهداء والصالحين...)

ثم طالعتنا زوجته هيفاء علوان التي لا تعرف إلا الحياة والأحياء، طالعتنا بقصة زوجها في بيتها وهي لا تدري أنه قد فارق الحياة، كل ذلك في قصة أدبية راقية تشدك إلى فهم القصة عبارة عبارة بل كلمة كلمة...

لقد كانت الأخت الكريمة هيفاء حكيمة وأيما حكمة في تسلسل الخبر خبر وفاة الحسناوي ألقته لابنته هبة..

وإن مما يرفع رؤوس شقائق الرجال تلك القصيدة الرائعة في رثاء الحسناوي التي نطقت بها هيفاء علوان زوجة الفقيد فمما تقول:

يا صبر صبراً غاب ليث الدار
بكت المآقي دمعها بتواري
رحل الحبيب أيا أحبة فاصبروا
فالصبر يمحو عاتي الأوزار
ادعوا الإله تضرعوا وتبتلوا
فالكرب يكشف في دعا الأسحار
إني احتسبتك يا محمد عنده
مجلي البلاء، وكاشف الأوضار
يا صبر صبراً شاءت الأقدار
وقضى الإله وغاضت الأبصار
يا صبر اسكن في فؤادي إنني
أَمَة أصبت وفاطري ستار
قد يشمت العادون لكن ربنا
يحمي المصابر إن يصبه عثار
يا خلتي إن الظلام يلفنا
غاب الحبيب بكت عليه الدار
والأخوة الأحباب لفهم الأسى
والدمع فاض جرت به أنهار
حتى الكتاب بكى وأدمى جفنه
أن غاب عنه فكره الهدار
حتى البراعة أطبقت أنفاسها
يا ويلتي أين الحبيب ؟ تحار
فالسهل والأرض اليباب حزينة
والكتب والأقلام والأحبار
أدعوك ربي فارحمنّ محمداً
ما طار قمري وبان نهار

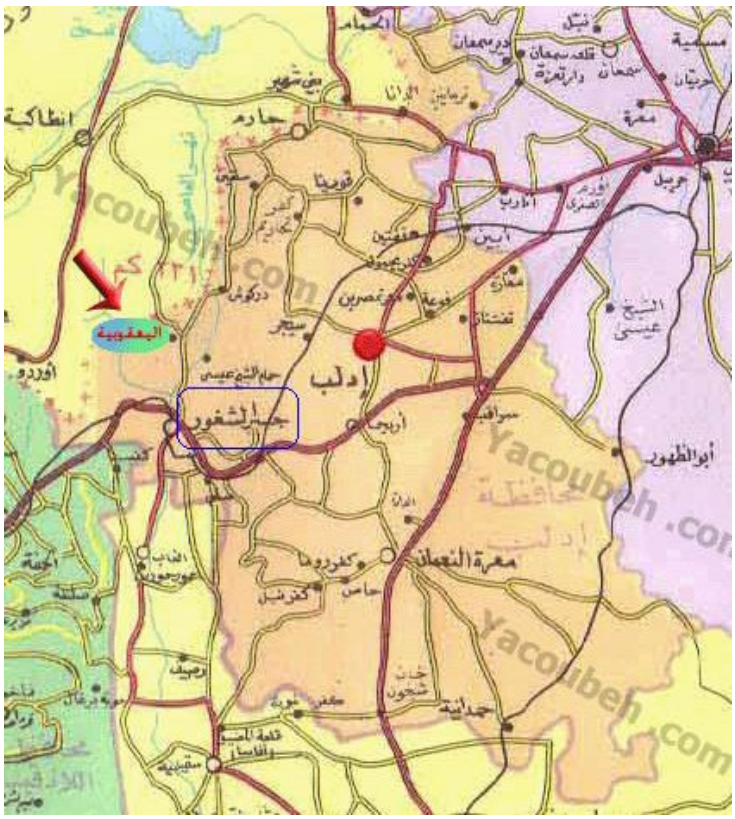

إدلب مسقط رأس الحسناوي رحمه الله تعالى

نعم إن في النساء شقائق الرجال وأي رجال...

نعم إن في النساء صالحات صابرات ثابتات على الطريق..

نعم إن في النساء أديبات بأعزب الشعر وأكرمه...

وكان من هؤلاء أهل بيت محمد الحسناوي رحمه الله تعالى وطيب ثراه وخاصة شقائق الرجال منهن ...

تم الأخذ من كتاب محمد الحسناوي بأقلام محبيه للنقول عن أهل بيته ...

الإيدز

فضائح وأخطار

د/ حسين علي الفرحان

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وبعد:

لاشك أن مرض الأيدز من الأمراض الخطيرة جدا ولا نشك أيضا أنه عقوبة إلهية حلت بمن انحرف عن جادة الصواب وعن الفطرة التي فطر الله الناس عليها بنص حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي قال فيه:

(حَدَّثَنَا مَحْمُودُ بْنُ خَالِدٍ الدِّمَشْقِيُّ حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ أَبُو أَيُّوبَ عَنْ ابْنِ أَبِي مَالِكٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ عَطَاءِ بْنِ أَبِي رَبَاحٍ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ قَالَ:

أَقْبَلَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ يَا مَعْشَرَ الْمُهَاجِرِينَ خَمْسٌ إِذَا ابْتُلِيتُمْ بِهِنَّ وَأَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ تُدْرِكُوهُنَّ لَمْ تَظْهَرْ الْفَاحِشَةُ فِي قَوْمٍ قَطُّ حَتَّى يُعْلِنُوا بِهَا إِلا فَشَا فِيهِمْ الطَّاعُونُ وَالْأَوْجَاعُ الَّتِي لَمْ تَكُنْ مَضَتْ فِي أَسْلَافِهِمْ الَّذِينَ مَضَوْا وَلَمْ يَنْقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِلَّا أُخِذُوا بِالسِّنِينَ وَشِدَّةِ الْمَئُونَةِ وَجَوْرِ السُّلْطَانِ عَلَيْهِمْ وَلَمْ يَمْنَعُوا زَكَاةَ أَمْوَالِهِمْ إِلا مُنِعُوا الْقَطْرَ مِنْ السَّمَاءِ وَلَوْلَا الْبَهَائِمُ لَمْ يُمْطَرُوا وَلَمْ يَنْقُضُوا عَهْدَ اللَّهِ وَعَهْدَ رَسُولِهِ إِلَّا سَلَّطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ غَيْرِهِمْ فَأَخَذُوا بَعْضَ مَا فِي أَيْدِيهِمْ وَمَا لَمْ تَحْكُمْ أَئِمَّتُهُمْ بِكِتَابِ اللَّهِ وَيَتَخَيَّرُوا مِمَّا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَّا جَعَلَ اللَّهُ بَأْسَهُمْ بَيْنَهُمْ)

فيروس الإيدز:

ظهر أول تقرير عن هذا المرض في صيف عام (١٩٨١) من مركز مكافحة الأوبئة (cdc) في أطلنطا في الولايات المتحدة الأمريكية وهو مركز متقدم ومتخصص في مكافحة الأمراض وتتابعت

التقارير وظهر أن أعداد المرضى تتضاعف بشكل متواليات هندسية مخيفة والمرضى يموتون أمام سمع وبصر الأطباء دون أن يكون باستطاعتهم تقديم المساعدة لإنقاذهم وقد أعلنت منظمة الصحة العالمية عام (١٩٨٥) أن الإيدز ظهر في (٤٣) دولة وفي عام (١٩٩١) أعلنت المنظمة أن المرض وصل إلى كل أقطار الدنيا وبسبب ذلك برزت فكرة اليوم العالمي للتعريف بالإيدز لأنه لايوجد سلاح باليد أفضل من التعريف بمخاطره وطرق انتقاله وكيفية تجنبه (لأن الوقاية خير من العلاج) وتشير إحصائيات منظمة الصحة العالمية في /١/ ١ / ٢٠٠٦ / م أن عدد الذين أصيبوا بالفيروس على مستوى العالم (٧٣) مليون إنسان مات منهم ( ) مليون مصاب كما يوجد (١٥) مليون يتيم بسبب الإيدز في العالم وتقدر المنظمة أنه في كل يوم يصاب (١٦٠٠٠) ستة عشر ألف إنسان ويموت في جنوب الصحراء الإفريقية يوميا (٥٥٠٠) خمسة آلاف وخمس مئة إنسان من الإيدز مما يهدد بعض القرى بالانقراض كما ذكر الدكتور / عبد الرحمن السميط رئيس لجنة مسلمي أفريقيا وقد تم اكتشاف المسبب للمرض بين عامي (١٩٨٢ _ ١٩٨٤) على يد عالمين أحدهما فرنسي وهو (لوك مونتنيه) (Lue montagnier) حيث عزل الفيروس في معهد باستور في فرنسا ثم تلاه الأمريكي الدكتور (روبرت جالو) (Robert Gallo) الذي عزل الفيروس في مختبرات المعهد القومي لأبحاث السرطان في أمريكا وقد سُجِّل الاكتشاف باسم هذين العالمين وقد شكلت لجنة علمية دولية لدراسة الاسم وتحديد المكتشف فسمي ب (Human Immuno Deficiency Virus) واختصرت هذه العبارة ب (H I V) وهذا الفيروس دائري الشكل صغير الحجم يبلغ قطره جزءا واحدا من عشرة آلاف من الملمتر الواحد، وقد اكتشف إلى الآن أكثر من ذرية لفيروس الإيدز وقد أعطيت أرقاما متسلسلة وهي (HIV1 , HIV2) وكل واحد منها فيه ما يميزه عن الآخر والأول (HIV1) فيه مجموعات مختلفة عن بعضها وهذه المجموعات هي مجموعة (M) ومجموعة (O) ومجموعة (N) ومجموعة (M) هي الأكثر انتشارا في العالم.

تعريف المرض:

مرض الإيدز هو مرض فيروسي سببه الفيروس المعروف باسم HIV وهو احد الأمراض المنتقلة جنسيا حيث يستطيع الفيروس المسبب تدمير الجهاز المناعي تدريجيا مما يؤدي لإصابة المريض بالالتهابات المتعددة والأورام.

ما الفرق بين فيروس الإيدز HIV ومرض الإيدز ADIS

إن فيروس الإيدز HIV هو الفيروس الذي يسبب مرض الإيدز ومما يجدر ذكره أن

الفيروس يمكن أن يبقى سنين طويلة قد تصل عشرين سنة قبل أن تظهر أعراض المرض وهو أخطر الأمراض المنقولة جنسياً أو يمكن القول أيضاً إنه من أخطر الأمراض التي عرفتها البشرية على الإطلاق إلى اليوم.

و الاسم الكامل للمرض هو:

" متلازمة نقص المناعة المكتسبة" - الإيدز

Acquired Immune Deficiency AIDS Syndrome

و المرض يسببه فيروس يطلق عليه: "فيروس نقص المناعة البشرية"

The Human - Immunodeficiency Virus HIV

وعندما يصاب الإنسان بالفيروس يحاول الجسم محاربته بتصنيع أجسام مضادة هذه الأجسام المضادة عبارة عن جزيئات خاصة تحارب الفيروس.

ويجري اختبار الإصابة بالمرض من خلال اكتشاف هذه الأجسام المضادة فوجودها في الدم يدل على الإصابة به وعنده نسمي هذا الشخص بأنه:

" إيجابي للأجسام المضادة للفيروس" -- HIV-positive

و الشخص الذي لديه هذه الأجسام المضادة لا يعني بعد الإصابة بمرض الإيدز بل يعتبر حاملا له وهو أخطر على البشرية من المصاب بالمرض.

فالمصاب يظل لمدة طويلة قد تصل إلي سنة قبل أن تظهر عليه أعراض المرض. و مع استمرار الإصابة لمدة طويلة يبدأ جهاز المناعة في الضعف و التآكل. وهذا الضعف في المناعة و الحماية يجعل بعض مسببات الأمراض الضعيفة تهاجم الجسم منتهزة فرصة الضعف في المناعة لهذا تسمى مثل هذه العدوى " العدوى الانتهازية"، التي تحدث أمراضا أخرى منتهزة فرصة ضعف المناعة ومن هذه الأمراض على سبيل المثال: السل السرطان الالتهابات الحادة .

ولكن ماذا يحدث داخل الجسم ؟ وما هي آلية عمل مرض الإيدز

بعد دخول الفيروس إلى الجسم يتجه إلى الدم. ويبدأ الفيروس دورة حياته لكي يتكاثر هناك و يبدأ معركته العنيفة مع جهاز المناعة فيهاجم خلايا الدم البيضاء المعروفة باسم CD4 فيدخلها ويتكاثر داخلها ويهاجم خلايا أخرى غيرها ويدمرها حتى يقل عددها عن ٢٠٠ خلية (الطبيعي ٨٠٠ خلية) لكل ميكرو ليتر من الدم وعندها يصاب المريض بالالتهابات والسرطانات المتنوعة.

و ترجع خطورة الإيدز إلى ذكائه الشديد في اختيار الهدف. فهو يختار الخلية المحورية في جهاز المناعة و التي تنظم عمل المناعة ضد الفيروسات ليهاجمها. فيقوم

بالالتحام مع خلايا المناعة تلك **وهنا تبدأ المعركة:**

فيبدأ الفيروس في غزو خلايا المناعة و يقوم بتحويل مادته الوراثية إلى نفس شكل المادة الوراثية لخلايا الإنسان و يقوم بإدخالها إلى داخل خلية المناعة. و الآن يستطيع الفيروس السيطرة على الخلية فعندما تبدأ الخلية في التكاثر تقوم بترجمة الشفرة الخاصة بالفيروس و بالتالي تقوم خلية المناعة بتصنيع أجزاء الفيروس ثم يتم تجميعها لتكوِّن فيروسا جديدا يخرج من خلية المناعة ليغزو خلية أخرى، و هكذا يتحول جيش المناعة إلى مصنع لتخريج الأعداء! و مع تكرار هذه العملية يتم تدمير خلية المناعة بعد فترة و يؤدي ذلك إلى تناقص أعداد هذه الخلايا وعندما ينقص عدد الخلايا إلى أقل من ٢٠٠ خلية في السم المكعب من الدم يصير هذا المصاب مريضاً بالإيدز.

ما هي مراحل تطور المرض؟

يمر مرض الإيدز بثلاث مراحل تبدأ المرحلة الأولى بدخول الفيروس لجسم المريض وينتج عنها أعراض عامة شبيهه بالأنفلونزا وأحيانا لا ينجم عنها أي أعراض وفي هذه المرحلة تكون الفحوصات سليمة ويتطلب تأكيد التشخيص وقتا طويلا حتى ترتفع نسبة الأجسام المضادة بدم المريض (قد تصل إلى سنة) ثم يدخل المرض مرحلته الثانية وعندها يصبح تحليل الدم موجبا ولكن المريض لا يشكو من أي أعراض (وقد تستمر هذه المرحلة عشرة سنوات أو أكثر من ذلك) وبعدها يدخل المريض مرحلته الثالثة وهي مرحلة الأعراض التي سنذكرها فيما يلي:

أهم الأعراض التي تظهر على مريض الإيدز هي:

_ ارتفاع الحرارة وتعرق ليلي يدوم لعدة أسابيع دون أسباب معروفه.

_ تضخم في الغدد اللمفاوية في الرقبة والمنطقة المغبنية بدون سبب واضح.

_ سعال جاف يستمر عدة أسابيع بدون سبب واضح.

_ إسهال يستمر عدة أسابيع.

_ التهابات فطرية وبكتيرية وجرثومية متعددة. _ نقص سريع بالوزن.

_ طفح جلدي.

_ خدر وتنميل والتهاب أعصاب في اليدين والقدمين.

_ تدهور في الحالة الذهنية والنفسية.

_ سرطانات متعددة وخصوصا السرطانات اللمفاوية وسرطان كابوزي.

_ تعب عام وإرهاق شديد.

هل تناقصت معدلات الإصابة بالمرض

رغم خطورة المرض إلا أن حالات الإصابة بالفيروس ومنذ اكتشافه عام ١٩٨١م بتزايد مستمر، حتى إنها زادت عن ٧٠ مليون حالة موزعة بجميع إنحاء العالم.

لماذا كل هذه الضجة حول الإيدز؟ و هل هو حقاً خطير إلى هذه الدرجة؟

هناك عدة أسباب موضوعية تجعل هذا المرض خطيرا جداً:

_ لا يوجد مصل واقي ضد المرض حتى الآن

_ لا يوجد علاج شافي له حتى الآن

_ نهايته الموت بصورة حتمية :أي إذا لم يمت المصاب بأي سبب آخر فسوف تنتهي حياته بالموت نتيجة هذا المرض.

_ أي شخص يمكن أن يصاب بالمرض .

_ العولمة :أدى التقدم السريع في وسائل الاتصال و المواصلات إلى جعل العالم قرية صغيرة و بالتالي أصبح الشخص حامل الفيروس مصدر خطر في أي مكان في العالم.

_ طبيعة المرض :المصاب بالفيروس قد يظل بصورة عادية صحية لفترة تصل إلى عشر سنوات قبل أن يصاب بالإيدز و في هذه الحالة يكون قادرا على نقل الفيروس إلى الآخرين بينما هو سليم ظاهرياً.

_ التأثير على نوعية الحياة :يشعر المصاب و كأنه محكوم عليه بالإعدام في انتظار تنفيذ الحكم. و هو شعور قاتل يقلب حياة الشخص رأساً على عقب. كما قد يشعر برفض المجتمع له خوفاً من نقل العدوي للآخرين

أين يوجد فيروس المرض في المصاب؟

يوجد الفيروس في أغلب سوائل الجسم و لكن السوائل التي تحتوي علي فيروسات كافية لتسبب العدوي للآخرين هي:

_ الدم

_ السائل المنوي

_ إفرازات المهبل

_ حليب الأم المصابة

طرق العدوى:

تحدث العدوى نتيجة انتقال الفيروس من الشخص المصاب إلي الشخص السليم من خلال التعرض لأحد سوائل الجسم التي تحمل المرض و العدوى تحدث من خلال ثلاثة أشياء رئيسية و هي الجنس الدم و الحمل و الرضاعة:

أولاً: الجنس:

ممارسة الجنس مع شخص مصاب بالجماع الطبيعي أو الشاذ دون استعمال طرق الوقاية علما أن طرق الوقاية التي تتحدث عنها منظمة الصحة العالمية غير واقية من الإصابة كما أكد ذلك خبير الأمراض المنقولة جنسيا الدكتور / عبد الحميد القضاة في محاضراته وبحوثه وكتبه التي كتبها و قد يقول البعض أن في بلادنا ليس هناك خطر في هذا الموضوع .و هذه العبارة صحيحة جزئياً فقط. و للخطورة الشديدة للمرض لا يجب أن نقبل

أي باب للشك. و صحيح أن بلادنا تقع ضمن مجموعة الدول التي نسبة الإيدز فيها قليلة جداً و لكن المتغيرات الاجتماعية و الدولية و التقدم الكبير في وسائل الاتصال و المواصلات يجعلنا نستشعر مجهوداً أكبر في هذه الجزئية

و لكن أين يكمن الخطر في بلادنا؟

_ **في المناطق السياحية:** و هنا حيث يأتي الناس من كل بلاد العالم يكون هناك خطر افتراضي فقد يقيم بعض الشباب علاقات صداقة و لو مؤقتة مع بعض السائحين و هنا يكمن مصدر الخطر.

_ **في الزواج من قادم من الخارج:** هناك زيجات كثيرة تتم مع مهاجر أو من قضي فترة في البلاد التي يكون نسبة انتشار الإيدز فيها كبيرة و قد يكون الشخص قد تعرض للإصابة هناك.

_ **في بعض المؤسسات الاجتماعية التي قد ينتشر فيها الممارسات الجنسية الشاذة بين الرجال:** مثل السجون و المؤسسات الإيوائية للذكور و هنا لا بد من تكثيف الرقابة و رفع الوعي في مثل هذه المواقع.

_ **تلقي دم ملوث أو أعضاء ملوثة.**

_ **البغاء:** مع أن بلادنا محافظة و الناس متدينون بطبيعتهم إلا أن البغاء موجود في كل البلاد و لكن بدرجات مختلفة.

ثانياً الدم:

هناك فرصة ليست بقليلة حتي في مجتمعاتنا المتحفظة لكي حدث تلامس مع دم ملوث و بعض هذه المواقف:

_ استخدام محاقن مستخدمة من قبل شخص مصاب مثل مشاركة الحقن في تعاطي المخدرات

فبعض الناس بالأخص في المناطق الشعبية قد يستخدم المحاقن البلاستيكية لأكثر من شخص و هنا يجب العمل على رفع الوعي بهذا الأمر

_ نقل دم ملوث لشخص سليم

_ زرع الأعضاء من مصاب لسليم

_ التعرض لدم شخص مصاب بصورة مباشرة مثل تعرض مقدمي الخدمة الصحية لدم المصاب عن طريق الوخز بالإبر

_ استخدام شفرات الحلاقة لشخص مصاب و تحدث هذه المواقف بين الشباب خاصة في الرحلات و المؤتمرات. بل أن المقصات و فرش الأسنان أيضاً قد تحمل بعض الخطر

_ عدم اتباع تعليمات التعقيم و الأمن في الممارسات الطبية النافذة مثل خلع الأسنان

_ كما أن بعض الأنشطة الاجتماعية مثل الوشم و ثقب الأذن و الحلاقة قد تحمل الخطر ذاته لأن جميع هذه الأمور تتعامل مع الدم فتنقل العدوى إن كان الشخص مصابا

و لكن ماذا يظهر على الشخص المصاب بالفيروس؟

بعد الإصابة مباشرة قد تحدث أعراض بسيطة تشبه أدوار البرد و الإنفلونزا مثل: صداع سخونة بسيطة ألم في العضلات و المفاصل مع ألم بسيط في المعدة.

بعد تلك الأعراض البسيطة تختفي كل الأعراض و يبدو الشخص سليماً لفترة عشرة سنوات أو أكثر و خلال تلك الفترة يتم تدمير جهاز المناعة في الشخص المصاب.

و عند ترك المصاب بدون علاج يستمر تدمير خلايا المناعة و قد تظهر بعض أعراض الإصابة بالفيروس مثل: سخونة عرق زائد في المساء تورم في الغدد الليمفاوية. و هذه الأعراض قد تستمر من عدة أيام إلى عدة أسابيع

كما تشمل المضاعفات أيضاً فقدان الوزن بصورة كبيرة أورام المخ و مشاكل صحية أخرى متعددة.

كيف نعرف أن الشخص مصاب بالإيدز؟

تتحول الإصابة بالفيروس إلى مرض الإيدز عندما يصل تدمير خلايا المناعة إلى حد خطير، و يعتبر المريض مصاباً بالإيدز عندما يصبح عدد الخلايا أقل من ٢٠٠ خلية في السم المكعب من الدم.

ويعتبر المصاب بالفيروس أيضاً مريضاً بالإيدز إذا أصيب بأحد أمراض العدوى الانتهازية و غالباً ما يموت المصاب بأحد هذه الأنواع من العدوى

هل هناك علاج فعال لمرض الإيدز؟

لا يوجد حتى الآن علاج لمرض الإيدز ولا تزال الأبحاث مستمرة وقد حققت نجاحا محدودا يعتمد على استخدام مجموعة من الأدوية تهاجم الفيروس ولكنها تسبب أعراضا جانبية خطيرة إضافة لارتفاع أسعارها مما يجعل استعمالها غير مأمون ويمكن أن نقول باختصار:

_ ليس هناك علاج شافٍ لمرض الإيدز

_ هناك أدوية تعمل علي بطء عمل الفيروس و تأجيل تدمير جهاز المناعة لكن ليس هناك أي علاج يمكن أن يخلص الجسم نهائياً من الفيروس بعد حدوث الإصابة

_ هناك أيضاً أدوية تعمل على الوقاية من الإصابة بالعدوى الانتهازية أو علاجها. وهذه الأدوية تعمل بصورة فعالة.

كيف يتم تشخيص الإصابة بالإيدز؟

هناك ثلاثة أنواع من الاختبارات المعملية التي تجري لتقدير مدي الإصابة و مستقبل المريض و هي ترصد التغيرات التي يتسبب في حدوثها الفيروس و هي:

اختبار الأجسام المضادة: و هي نوع من البروتين الذي ينتجه جهاز المناعة لمقاومة الفيروس المسبب للمرض .و وجود هذه الأجسام يعني إصابة الشخص بالفيروس.

اختبارات لقياس عدد الفيروس في الجسم: و تجري عادة لمن تأكدوا من

إصابتهم بالفيروس و الهدف منها هو قياس سرعة توالد و انتشار الفيروس.

اختبارات جهاز المناعة: و تقيس مدى التدمير الذي حدث لجهاز المناعة و منها اختبار عد خلايا المناعة المستهدفة من الفيروس فإذا كانت النتيجة ايجابية يتم إجراء اختبارات أخرى تأكيدية ثم يتم إجراء فحوصات أخرى لمعرفة قدرة الفيروس على التكاثر والنشاط وهو ما يسمى بالحمل الفيروسي.

كيف تتم الاختبارات؟

تعتمد معظم الاختبارات على تحليل عينة من الدم، وهناك بعض الاختبارات الجديدة التي ترصد الفيروس من خلال اللعاب أو من خلايا الجسم.

بعض الاختبارات تسمى السريعة و تعطي نتائج في خلال ١٠-٣٠ دقيقة فقط، وأي تحليل للإيدز يعطي نتائج إيجابية لا بد من أن يتم تأكيده من خلال تحليل آخر، ولا يمكن إجراء التحليل في المترل و لكن يمكن أن تؤخذ العينة في المترل ثم ترسل إلى المعمل.

متى يجب أن تُجرى الاختبارات؟

عندما يتعرض شخص ما لعدوي الإيدز و يصاب بالفعل فإن جهاز المناعة يبدأ في إنتاج أجسام مضادة خلال فترة تتراوح من ثلاثة أسابيع إلى شهرين من وقت الإصابة لذا فإن من يعتقد أنه تعرض للإصابة يجب أن ينتظر شهرين قبل أن يجري اختبار الإيدز، وفي هذه الفترة يصبح المريض معدياً للآخرين رغم أن نتيجة الاختبار تكون سلبية، وهناك حوالي % من الإصابات لا يظهر فيها الأجسام المضادة خلال هذه الفترة.

وهناك اختبارات يمكن أن تعطي نتائج قبل ظهور الأجسام المضادة و هي الاختبارات التي ترصد أجزاء الفيروس نفسه و لكن نسبة الخطأ فيها أعلى و تكلفتها أكبر بكثير من تلك التي تعتمد على الأجسام المضادة.

ماذا يعني أن نتيجة الاختبارات إيجابية؟

إذا كانت نتيجة الاختبار إيجابية فمعني هذا أن الشخص قد أصيب بالفيروس وهذا ليس معناه أنه مريض بالإيدز بعد فقد يظل سنوات طويلة تصل إلى عشرين سنة قبل أن تبدأ أعراض المرض و يصبح مريض إيدز.

ما مدى دقة التحاليل؟

تحليل الأجسام المضادة دقيق بنسبة ٩٩,٥ %، و يجري الاختبار بطريقتين على الأقل:

أولاً بطريقة تسمى الإليزا -ELISA- فإن كان إيجابياً يجري عليه للتأكيد اختبار آخر يدعي Western Blot

هل هناك نتائج غير صحيحة

هناك حالتان يمكن أن تعطي نتائج غير صحيحة:

_ طفل مولود لأم مصابة :حيث تمر الأجسام المضادة من دم الأم إلى دم الجنين و هنا حتى و إن كان الطفل غير مصاب بالفيروس فإن نتيجة التحليل تكون إيجابية نتيجة وجود

الأجسام المضادة و هنا يجب استخدام النوع الآخر من التحاليل الذي يعتمد على اكتشاف أجزاء من الفيروس

_ الإصابات الحديثة قبل ظهور أجسام مضادة في الدم: و قد تعطي نتائج سلبية مع وجود الإصابة.

ماهي هم أسباب الوفيات في أمريكا:

يعتبر الإيدز من أهم أسباب الوفيات في أمريكا فهو يحتل المركز الخامس في قائمة أسباب الوفيات فيها للفئة العمرية ما بين - سنة أما في نيويورك ولوس انجلوس وسان فرانسسكو فإن الإيدز هو السبب الرئيسس للوفاة بين الشباب والشابات من المرحلة العمرية السابقة.

قدَّرت منظمة الصحة العالمية:

(World Health Organization)

عدد المصابين بفيروس الإيدز HIV حول العالم بـ مليون حالة حتى عام ١٩٩٩ م عدا الحاملين للمرض أما الآن فقد تجاوز السبعين مليون بين مصاب وحامل للمرض

وتعتبر المواقع الإباحية من الأمور المساعدة على نشر المرض ويمكن أن نذكر بعض الأرقام لنتعرف خطورة هذه المواقع:

_ عدد المواقع الإباحية على الإنترنت: ٤,٢ مليون (١٢% من مجموع عدد المواقع).

_ وعددد الصفحات الإباحية: ٣٧٢ مليون.

_ وعدد الطلبات اليومية من محركات البحث لمواد إباحية: ٦٨ مليون (٢٥% من مجموع الطلبات).

_ أما البريد الإلكتروني الإباحي: ٢,٥ مليار (٨% من الكل).

_ وعدد رسائل البريد الإلكتروني الإباحي لكل مستخدم إنترنت للمواقع الإباحية تتراوح بين أربعة وخمسة رسائل يوميا.

_ ملفات إباحية من خدمة p2p: , مليار (٣٥% من الكل).

_ طلبات بحث p2p يومية لصور الناشئة: ١١٦ ألف طلب يوميا.

_ مواقع إنترنت تتخصص بإباحية الناشئة: ١٠٠ ألف.

_ ٨٩% من غرف الدردشة تحاول استدراج الناشئة إلى الغرف الإباحية.

_ ٢٠% من الأطفال تم محاولة اجتذابهم إلى الجنس.

_ عدد الزوار حول العالم الذين زاروا مواقع إباحية أكثر من ٧٢ مليون سنويا.

تجارة الإباحية (٥٧ مليار دولار) أكبر من ميزانية عدد من الدول:

وللمقارنة بالميزانية العامة لبعض الدول نجد الأرقام التالية:

_ مصر : ٧٨,٧ مليار دولار.

_ كولمبيا: ٧٤,٦ مليار دولار.

_ الجزائر: ٦٤,٨ مليار دولار.

_ المغرب: ٣٧,١٥ مليار دولار.

_ سلطنة عمان: ٢٠,٣ مليار دولار.

_ قطر: ١٧,٥ مليار دولار

_ الأردن: ٩,٣ مليار دولار

_ البحرين: ٧,٧ مليار دولار

ما هي طرق الوقاية من مرض الإيدز

أفضل طريق وأنجع طريق للوقاية من مرض الإيدز هو: الالتزام بما يأمرنا به تعالى في قوله: ﴿**ولا تقربوا الزنى إنه كان فاحشة وساء سبيلا**﴾ [الإسراء ٣٢]، ﴿**والذين لا يدعون مع الله إلهاً آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحق ولا يزنون ومن يفعل ذلك يلق أثاما**﴾ [الفرقان: ٦٨].

إن الطريق الوحيد للوقاية من هذا المرض الخبيث الخطير ؛ هو تقوى الله عز وجل والابتعاد عن كل العلاقات المحرمة شرعا واجتناب دواعي الزنا واللواط والسحاق والحيطة والحذر عند السفر إلى الخارج والفحص الطبي قبل الزواج وتعقيم الآلات الحادة المستعملة قبل استعمالها وفحص الدم والأعضاء قبل نقلها ومعالجة الأمراض المنقولة جنسيا والوقاية منها ومحاربة المخدرات بكل أنواعها وحث السيدات حاملات الفيروس على عدم الحمل والإرضاع واختيار الصحبة الصالحة ونظرا لعدم توفر لقاح علمي حتى الآن فان طرق الوقاية التي اعتمدتها المجتمعات تقوم على التثقيف ونشر الوعي بطبيعة هذا المرض الخطير

أهمية الراعي:

عن عبد الله بن عمر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:

كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته الإمام راع ومسئول عن رعيته والرجل راع في أهله وهو مسئول عن رعيته والمرأة راعية في بيت زوجها ومسئولة عن رعيتها والخادم راع في مال سيده ومسئول عن رعيته قال وحسبت أن قد قال والرجل راع في مال أبيه ومسئول عن رعيته وكلكم راع ومسئول عن رعيته فليحسن كل منا رعاية من يرعى وليتق الله في ذلك.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

مراجع البحث:

١ _ القرآن الكريم.

٢ _ الأمراض الجنسية عقوبة إلهية الإيدز حصاد الشذوذ الإيدز حقائق وأرقام الدكتور عبد الحميد القضاة اختصاصي تشخيص الأمراض الجرثومية والأمصال (بريطانيا).

٣ _ إحصاءات منظمة الصحة العالمية للأعوام (١٩٨٥، ١٩٩١، ٢٠٠٦).

٤ _ الأمراض الجنسية أسبابها وعلاجها الدكتور محمد علي البار.

٥ _ الترغيب والترهيب للحافظ المنذري.

٦ _ مواقع الشبكة العنكبوتية.

٧ _ محاضرات الدكتور / عبد الرحمن السميط حول أوضاع أفريقيا والإباحية هناك وانتشار الإيدز وخطورته على البشرية في القارة الأفريقية.

من الأوائل

د/ أنس المدرس

- أول من هاجر الى الحبشة هو عثمان بن عفان (رضي الله عنه) مع زوجته رقيّة بنت رسول الله -صلى الله عليه وسلم.
- أول مواليد المدينة هو عبد الله بن الزبير (رضي الله عنه) فقد كان جنينا في بطن أمه أسماء بنت أبي بكر (رضي الله عنهما)، وهي تقطع الصحراء اللاهبة مغادرة مكة الى المدينة على طريق الهجرة العظيم، وما كادت تبلغ (قباء) عند مشارف المدينة حتى جاءها المخاض ونزل المهاجر الجنين أرض المدينة في نفس الوقت الذي كان يترلها المهاجرون من الصحابة، وحُمِل المولود الأول الى الرسول (صلى الله عليه وسلم) فقبّله وحنّكه، فكان أول ما دخل جوف عبد الله ريق الرسول الكريم، وحمله المسلمون في المدينة وطافوا به المدينة مهللين مكبرين فقد كَذَّب اليهود وكهنتهم عندما أشاعوا أنهم سحروا المسلمين وسلّطوا عليهم العقم، فلن تشهد المدينة منهم وليدا جديدا، فبطل إفك اليهود وكيدهم.
- أول من جهر بالقرآن الكريم في مكة هو عبد الله بن مسعود (رضي الله عنه) رفع صوته الندي أمام سادات قريش بسورة الرحمن فضربوه حتى غشي عليه فلما أفاق استأذن الرسول (صلى الله عليع وسلم) أن يعود لما كان.
- أول سيف شهر في الإسلام هو سيف الزبير بن العوام (رضي الله عنه) ففي أيام الإسلام الأولى سرت شائعة بأن النبي (صلى الله عليه وسلم) قد قتل فما كان من الزبير إلا أن استل سيفه وسار كالإعصار في مكة، وفي أعلى مكة لقيه النبي (صلى الله عليه وسلم) فسأله ماذا به؟ فأخبره النبأ فدعا له النبي (صلى الله عليه وسلم) بالخير ولسيفه بالغلبة.
- أول دار للدعوة في الإسلام هي دار الأرقم بن أبي الأرقم (رضي الله عنه) كانت داره على الصفا، وهي الدار التي كان النبي -صلى الله عليه وسلم- يجلس فيها في الإسلام، وبقي الرسول الكريم يدعو الى الإسلام في دار الأرقم حتى تكاملوا أربعين رجلاً، خرجوا يجهرون بالدعوة.

الرجولة والذكورة

د/ إسماعيل الأحمد

قد تستغرب أو تسخر عزيزي القارئ من هذا العنوان ويأخذك شيء من الدهشة والعجب ولكن أتوقع أنه سيزول ذلك عندما نصل سوية إلى نهاية هذه المقالة. فالكثير يعتبر أن الرجولة والذكورة هما كلمتان مترادفتان لا فرق بينهما، غير أن بينهما فروق جوهرية. فالذكورة إنما هي صفة فسيولوجية لتميز جنس الإنسان أو الحيوان أو النبات، بينما الرجولة هي صفات معنوية حميدة - كالكرم والشجاعة والمروءة .. الخ - يتمتع بها الإنسان ليوصف بعد ذلك بأنه رجل. فالرجولة أشمل من الذكورة فكل رجل ذكر وليس كل ذكر رجلاً. فنجد أن الله سبحانه وتعالى قد ذكر الرجولة في القرآن الكريم في أكثر من خمسين موضعًا، لتدل على الصفة، فما أبلغ وأروع وصفه سبحانه حين قال تعالى: ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً﴾ [الأحزاب:٢٣] بينما نجد أن القرآن الكريم يذكر الذكورة عند تحديد نوع

الجنس فقط، فقد قال سبحانه وتعالى: ﴿يُوصِيكُمُ اللّهُ فِي أَوْلاَدِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الأُنثَيَيْنِ﴾ [النساء:١١].

لنتوجه الآن إلى شبابنا المعاصر ونقول لبعضهم ألا يخشى أحدكم أن يكون ذكراً لا رجلاً ! قد تكون هذه الكلمة قاسية بعض الشيء، ولكن ما نراه ونلمسه في واقعنا أن الكثير من شبابنا هذه الأيام يهتم بذكورته وإبراز ميزاتها ولا يكترث لرجولته. ألا تتفق معي أيها الشاب أن الرجال الحقيقيون هم الذين سعوا سعياً حثيثاً لتنمية الإيمان وتقويته في نفوسهم أليس هم الذين تحرروا من قيود الظلم، ومن شهوات نفوسهم، ومن كل مظهر من مظاهر العبودية لغير الله، أليس هم المقتفون والمتبعون لسنة خير البشر _صلى الله عليه وسلم_ بأخلاقه الكريمة، كما قال الله سبحانه وتعالى فيه: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم:] أليس هم الذين اتصفوا بالقوة والصدق والأمانة، فقد قال الله سبحانه وتعالى في موسى عليه السلام على لسان ابنة نبي الله شعيب: ﴿ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ﴾ [القصص:٢٦]، فما الذي أعجب ابنة شعيب من موسى إلا أدبه وخلقه ومروءته وقوته، وهذه كلها من صفات الرجولة، فاعلم أيها الذي يهتم بذكورته، وهمه كيف يواكب آخر ما توصلت إليه أزياء الشباب من الملابس، وآخر ما توصلت إليه قصات الشعر، وكيف يسيء إلى أعراض الناس! اعلم أن هذه ليست إلا من صفات الذكورة ولا تنتمي إلى الرجولة بشيء، هذا إن كنت سعيد الحظ، فقد تكون هذه الصفات لا رجولية ولا ذكورية، فقد تكون صفات أنثوية، بل قد تخرج عن نطاق الصفات الإنسانية وذلك عندما تسمع من أحدهم أنكر الأصوات. وعلى العكس فقد تمتلك المرأة صفات رجولية، فيقال أن فلانة بمائة رجل، وهذا لا يعني وصفها بالذكورة، إنما دليل على تمتعها بصفات قد يفتقدها كثير ممن يدعون الرجولة. وسأضرب لك مثالاً يروى عن أحد أصحاب صالونات الحلاقة أن شاباً يافعاً أتاه وطلب منه قصَّةَ لشعره بحيث تكون مميزة وجديدة، ففعل له ذلك، يقول صاحب الصالون بان الشاب عاد إلي وطلب مني أن أزيل له تلك القصة لأن أباه منعه منها، ففعلت ذلك والشاب كان يبكي تحت المقص، يبكي على ماذا؟ هل يبكي على ما وصل إليه حاله من التفاهة؟ أم يبكي على أمته المسلوبة؟ إنه يبكي على قصَّته الجميلة، فانظر إلى ما وصل إليه حال شبابنا اليوم !

و لا تظنن أيها الشاب أن المجتمع سيعجب بك لكونك لبست ذلك الزي أو قصصت شعرك بتلك القصة أو لأنك تلفظت بتلك الكلمات الهزيلة، نعم إن الاهتمام بالمظهر شيء مطلوب إن كان لا ينافي الرجولة، ولكن المجتمع ككل يقيمك حسبما تتمتع به من صفات الرجولة بكل معانيها قبل هيئتك وأخيرا أقول لشبابنا "كونوا رجالاً.

تعريف بكتاب

حديث الإفك دروس وعبر

كتبه

الدكتور/ أنس المدرس

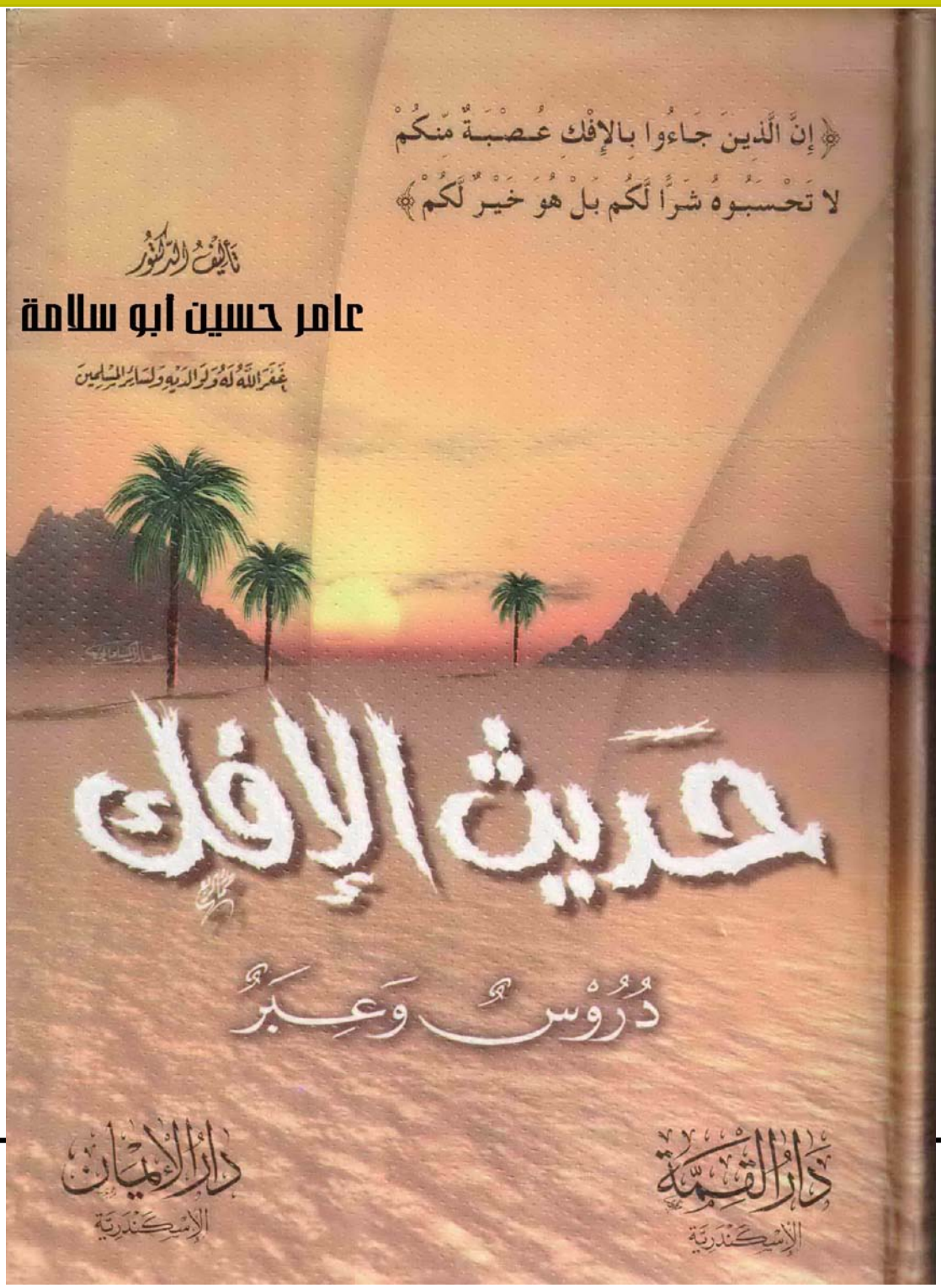

يأتي هذا الكتاب في إطار الدراسات الحديثة لتي تهتم باستقراء أحداث الماضي لاستنباط الدروس والعبر التي يستفاد منها في الوقت الحاضر، واختار الكاتب حادثة الإفك ليكشف شراسة المعركة بين أهل الإسلام ومن عاداهم، حيث وضع الكاتب الحادثة في إطارها العام، وهي استخدام الحرب النفسية للتأثير على النبي -صلى الله عليه وآله وسلم- وأهل بيته بشكل خاص، والمجتمع المسلم في المدينة المنورة بشكل عام.

وقد احتوى الكتاب على مقدمة، وتمهيد، ودراسة مستفيضة لحديث حادثة الإفك، ثم أتبع الكاتب تمهيده بخمس عشرة محطة توقف فيها عند أهم الدروس والعبر المستنبطة من هذه الحاثة، مزج فيها بين علوم الحديث، التفسير، والسيرة، وأصول الدعوة، والآداب، ورتبها على النحو الآتي:

خطر النفاق والمنافقين، الابتلاء سنة الله في خلقه، ضرورة الصبر في مواجهة المحن، عظيم مكانة المرأة في الإسلام، استحباب ملاطفة الرجل زوجته وحسن المعاشرة، قبول التوبة والحث عليها،

الؤلف في سطور

اسم الؤلف: عامر حسين كدور أبو سلامة

ولد بمدينة دير الزور في سورية عام ١٩٦٠م

حاصل على دكتوراه في الفقه المقارن.

أجازه جماعة من العلماء في علوم الشريعة والدراسات الاسلامية.

عمل في التدريس في علوم الشريعة قريباً من ربع قرن.

عضو رابطة علماء سورية المستقلة.

له جملة من المؤلفات منها:

- حديث الأفك دروس وعبر.
- لماذا يكرهون الحجاب.
- العولمة الدينية والمذاهب المعاصرة.
- المحرمات من النساء بسبب المصاهرة.
- حكم الإسلام في إمامة المرأة في الصلاة
- المشاركة في تحقيق مجموعة من الكتب التراثية.
- درس الفقه على مجموعة من العلماء أبرزهم الشيخ مولود حسين التركي إمام جامع أبي حنيفة-رحمهما الله- في الفقه الحنفي الذي تلقى علومه على علماء دمشق وفي مقدمهم الشيخ العلامة/ عبد الوهاب دبس وزيت والشيخ حسن حبنكة وغيرهم كثير.
- وفي الفقه المقارن أخذ عن الشيخ العلامة محمد بن إسماعيل العمراني، عالم اليمن وفقيهها حتى حصل على إجازة منه في مسموعاته ومقروآته.

تفويض الكلام إلى الكبار دون الصغار، استحباب مشاورة الرجل بطانته وأهله وأصدقاءه فيما ينويه من أمور، استحباب المبادرة بتبشير من تجددت له نعمة ظاهرة، حد القذف ضرورة من ضروريات الدين، وجوب حسن الظن بالمسلم، يستحب لمن حلف على يمين ورأى غيرها خيراً منها أن يأتي الذي هو خير ويكفر عن يمينه، فضائل لأبي بكر (رضي الله عنه) ، فضل السيدة عائشة (رضي الله عنها) ، فضائل لصفوان بن المعطل (رضي الله عنه).

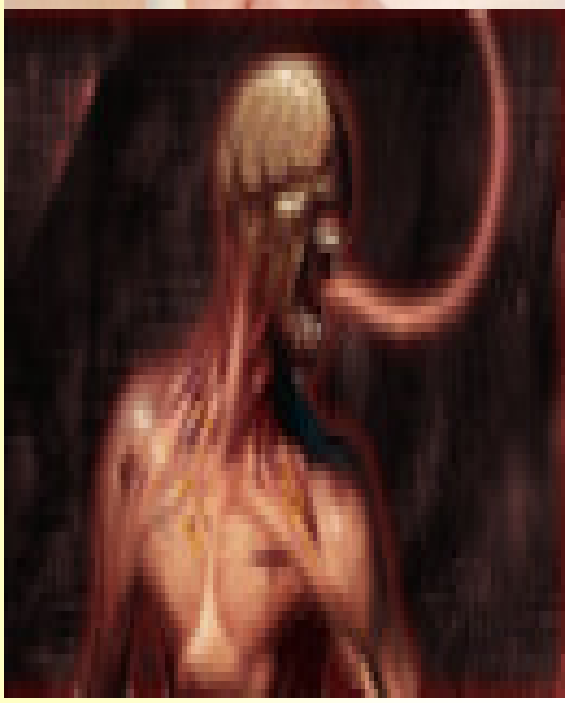

وقد يؤخذ عل الكتاب ضعف الفهرسة فيه، إذ لم يحتو إلا على فهرس واحد لموضوعات الكتاب، ولعل ميل المؤلف إلى الاختصار دفعه لأن ينحو هذا المنحى.

الكتاب الذي بين أيدينا للدكتور عامر حسين أبو سلامة يقع في (٣٥٢) صفحة من الحجم المتوسط، قدمته دار الإيمان في الإسكندرية للقارئ العربي في عام ٢٠٠٥م في ثوب قشيب، وبأسلوب متميز يشد القارئ إليه.

بين السائل والفقيه

أجاب على أسئلة هذه الحلقة

الشيخ: عامر أبو سلامة

س: ما حكم قراءة البسملة مع الفاتحة في الصلاة؟

ذهب الجمهور الأعظم من فقهاء الحنفية والشافعية والحنابلة، إلى أنها مشروعة وجوبا، وهو مذهب أكثر أهل العلم، كما قال الإمام ابن قدامة رحمه الله في (المغني)، واستدلوا بجملة من الأدلة منها: **(أن رسول الله عليه وسلم قرأ في الصلاة _بسم الله الرحمن الرحيم_ وعدها آية)** أخرجه أحمد وأبو داود والترمذي وصححه الحاكم، وأما ما أخرجه البخاري ومسلم من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه: **(كان النبي _صلى الله عليه وسلم_ وأبو بكر، وعمر _رضي الله عنهما_ يفتتحون الصلاة بالحمد لله رب العالمين)** فإنه محمول على الجهر بالبسملة، لأنهم كانوا يخفون أو يسرون القراءة بها، كما ورد في أدلة أخرى. والأدلة يفسر بعضها بعضاً، ولا يضرب بعضها بعضاً.

س: أنا رجل أسكن قريبا من المسجد، وتحضر إلى المسجد جنائز كثيرة، ولكني لا أصلي عليها إلا إذا كنت في المسجد وقت الصلاة، فهل أنا آثم، أفيدونا جزاكم الله خيراً؟

ج: أجمع العلماء على أن الصلاة على الجنازة فرض كفاية، إن قام بها بعض المسلمين، سقط الإثم عن الباقين، ففي حالتك، تنظر، فإن صلى على الجنازة جماعة من المسلمين، فلا إثم عليك، وهو الذي يظهر من خلال سؤالك، وإلا فأنت آثم.

وقولنا بعدم الإثم إذا صلى عليها بعض المسلمين، لا يعني أن تترك هذا الخير، لأنك بتركك لها خسرت أجرا عظيما من الله تعالى، جاء في البخاري ومسلم، من حديث أبي هريرة _رضي الله عنه_ يرفعه للنبي _صلى الله عليه وسلم_: **(من شهد الجنازة حتى يصلي عليها فله قيراط، ومن شهد حتى تدفن كان له قيراطان).**

فنحن نهيب بالأخ السائل، أن يغتنم الفرصة، لنيل هذا الأجر العظيم الذي قد ساقه الله إليك في مسجد الحارة، وأنت جار للمسجد، فادفع عنك الكسل، وأقبل على طاعة الله وعبادته.

س:أقرضت أحد الإخوة ألف دولار، ومضى لها سنة وهي عنده، فهل علي أن أخرج زكاتها، أم لا؟.

ج: هذه المسألة لها صورتان: **الأولى:** أن

يكون الدين مضموناً، والمدين مليء معترف بالدين ومستعد أن يبذله متى ما أراد صاحبه، ففي هذه الحالة يجب إخراج الزكاة عن هذا المال، وهو مذهب أكثر العلماء سلفاً وخلفاً.

الثانية: أن يكون الدين غير مضمون، كأن يجحده الدائن، أو مماطل به، أو ما شابه ذلك. فهذا لا يزكيه إلا إذا عاد إليه، عن كل ما مضى من الأعوام، وفي مذهب مالك وهو مروي عن عمر بن عبد العزيز، والحسن والليث، والأوزاعي، كما ذكر ذلك ابن قدامة في (المغني)، أنه يزكيه إذا قبضه لعام واحد فقط. والله تعالى أعلم.

س: يا شيخ حفظكم الله تعالى، قرأت في بعض كتب الفقه (الوضوء على الوضوء نور، نور على نور) فهل هذا حديث صحيح؟

ج: هذا لا يصح عن النبي _صلى الله عليه وسلم_، وإن ذكره بعض الفقهاء في كتبهم، كالعلامة الحصكفي في (الدر المختار) وتعقبه ابن عابدين، في حاشيته، ببيان أنه ليس حديثاً صحيحاً، والله تعالى أعلم.

س: أنا امرأة مسلمة، وكنت أفطر رمضان عمدا بالأكل والشرب، وقد تبت إلى الله تعالى من هذا الذنب، إلا أن بعض الشيوخ أفادوني بأنه علي كفارة، بأن أصوم شهرين متتابعين عن كل رمضان أفطرته، فأنا في حيرة من أمري، والأمر شاق علي، فما أصنع؟

ج: عليك أن تقضي كل يوم أفطرتيه، وتلتزمي التوبة الصادقة النصوح، بالندم على ما مضى، والعزم على عدم العود، مع الإقلاع عن الذنب، وكثة الاستغفار. وهذا مذهب الشافعي وأحمد في المشهور عنه، وهو قول أهل الظاهر، وممن قال به من علماء السلف، سعيد بن جبير، والنخعي، وابن سيرين، وحماد، وكثير من أهل العلم، واستدلوا لمذهبهم: بأن الوارد في السنة الذي يوجب الكفارة، هو في حالة الجماع في نهار رمضان لمن كان ذاكراً، فقط، والأصل أن نلتزم النص في الوارد المنصوص عليه، ولا نعديه إلى غيره، فنضيق على الناس، مع تأكيدنا على أن الإفطار في نهار رمضان بأكل أو شرب عامداً ذاكراً، من كبائر الإثم والعياذ بالله تعالى، لأن صوم رمضان فرض محكم، في الكتاب والسنة والإجماع.

مشاركات

لا تجـادل

قال الله تعالى: ﴿ **مَـا ضَـرَبُوهُ لَـكَ إِلا جَدَلاً** ﴾ [الزخرف: ٥٨]، وقال _صلى الله عليه وسلم_: ((أنا زعيم ببيت في الجنة وإن كان محقاً))، وقال _صلى الله عليه وسلم_: ((من ترك المراء وهو محق بني لـه بيـت في أعلى الجنة ومن ترك المراء وهو مبطل بني له بيت في ربض الجنة))رواه الترمذي وحسنه.

وعن أبي أمامة قال: قال النبي _صـلى الله عليه وسلم_: ((ما ضل قوم بعـد هـدى كانوا عليه إلا أوتوا الجدال ثم قرأ ﴿ **مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلا جَدَلاً** ﴾ [الزخرف: ٥٨].

((ويقصد بالمجادلة إفحام الغـير وتعجيـزه وتنقيصه بالقدح في كلامـه، ونـسبته إلى القصور والجهل، ولا نجاة من هذا الداء إلا بالسكوت، قال ابن عباس وعطاء وعمـرو بن دينار وغيرهم: (الجدال هو أن تمـاري صاحبك حتى تغضبه).

وقال معاذ بن جبل -رضـي الله عنـه-: (دعوا الجدال والمراء لقلـة خيرهمـا فـإن أحدهما كذاب فيأثم الفريقان كلاهما).

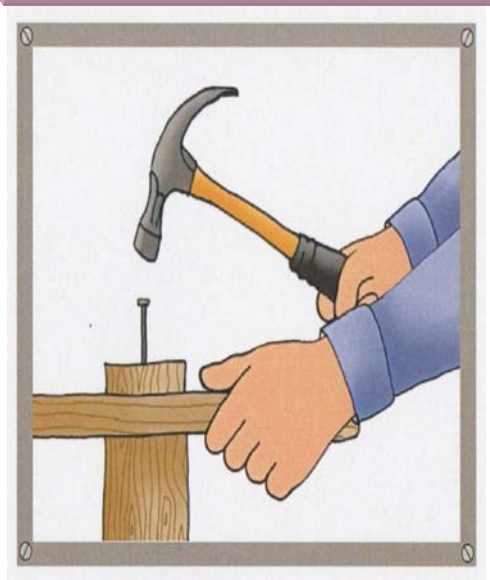

وقال مالك بن يسار: (إياكم والمراء فإنـه ساعة جهل العالم، وعندما يبتغي الشيطان زلته)، وقال لقمان لابنه: (يا بـني زاحـم العلماء بركبتيك ولا تجادلهم فيمقتـوك) وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه كما جاء في الإحياء للغزالي: (لا تـتعلم العلـم لثلاث وتتركه لثلاث: لا تتعلمه لتمـاري به، ولا لتباهي به، ولا لترائي به، ولا تتركه حياء من طلبه، ولا زهدا فيـه، ولا رضـا بالجهل منه).

فالجدال خلق مذموم يجب تركه لأنـه لا يجلب إلا العداوات، فنجنبه كما تتجنـب الأفعى والعقرب، وابتعد عنه كما تبتعد عن

مناطق الزلات، والهزات الأرضية، ((ودع الجدال فإنه يفتن القلب، وينبت الضغينة، ويجفي القلب، ويرق الورع في المنطق والفعل)) (حلية الأولياء).

وقال مالك: (ليس الجدال من الدين في شيء)، وقال: (المراء يسقي القلوب، ويورث الضغائن).

إن أفضل وسيلة للخروج من الجدل بأفضل النتائج، هي أن تتجنب الجدل، فالجدل بوابة للفشل في الإقناع فقد تشكل انتصارا في نقاشك، إلا أنه انتصار أجوف كما قال (فرانكلن): يمكن أن تحقق انتصارا من خلال الجدال والانتقاد والتحدي، ولكنه انتصار أجوف، لن تربح فيه صداقة مناوئك، وحسن نيته تجاهك، فما الذي تحب أن تربحه؟نصر أكاديمي فارغ، أو صداقة شخص وحسن نيته تجاهك؟! لأنه يصعب أن تحصل على الاثنين معاً، إن الشيطان يزين للمرء حب الانتصار، ويزين للمغلوب العناد وعدم الرضوخ للحق، ولذلك تكون نتيجة الجدال فساد في العلاقة بين المتجادلين، وبغض وحسد في القلوب، ومن هنا فالخير كل الخير في تجنب الجدل.

إن كل تسع مناظرات من أصل عشرة تنتهي وكل طرف مقتنع يجزم أنه على حق، فلن تكسب أي جدال، لأنك إن خسرتها تخسرها، وإن ربحتها ستخسرها، فليس هناك أي رابح في الجدل،فالخاسر خسر المجادلة وكبريائه أمام الناس، والرابح خسر صداقة الآخر له، وكسب عداوته فقط لأنه جعله يشعر بالنقص أمامه، وبالجهل أمام الناس، كما خسر حتى الذين شاهدوا فوزه لأنهم إن عجبوا لفوزه لثوان أو دقائق فسيتجنبونه خشية لسانه، وعدم تقديره لكرامة الآخر، ولأنهم لا يريدون مواجهة الموقف الذي واجهه الخاسر، والخاسر سيحتقر فوزك عليه، ويعاديك ولن يتخلى عن رأيه الذي أردت تبيان بطلانه، بل سيصبح أشد تمسكا به، وسيبحث عن طريقة ينتصر بها لرأيه ويهزم رأيك.

وتجدر الإشارة إلى خطورة حصر الخصم في زاوية حرجة أثناء الجدال كالكلب العقور، ومن الأفضل أن تخلي له الطريق قبل أن يعضك.

ثم (إن من يسعى لتحقيق ذاته لا يمكنه أن يجد الوقت الذي ينفقه في جدل عقيم) (ديل كارنجي)، ولذلك لا يمكن أن ينتهي سوء التفاهم بالجدال بل باللياقة وإجادة التصرف والاسترضاء والرغبة الصادقة في النصح.

ولذلك أفضل طريقة للفوز بالجدال تجنبه.

كتبه: ياسر علي

الملوخية غذاء ودواء

د.محمد وليد حياني

الملوخية نبات خضري طبي واسمها في اللغة الانكليزية(Jew's mallow) والاسم العلمي أو اللاتيني لها (Corchorus olitorius) والملوخية من الأطباق المفضلة لدي وكنت كلما أكثرت منها في الوقعة الواحدة أحسست بالنعاس وطبيعتي عصبية فكانت غذاء ودواء وتساءلت عن سبب النعاس فتأملت العائلة التي تنتمي إليها وهل لها أخوات من نباتات الخضر في هذه العائلة تستخدم في الغذاء البشري فلم أجد، لكنني وجدت أنها تنتمي للعائلة القنبية أو الجوتية tiliaceae التي ينتمي لها القنب ويسميه الحلبيون القنبز ،الذي يستخدم مع الموالح قديما .ورغم أنني مدرس لمادة الخضر ولسنوات فهي غير موجودة في كتب الخضر العراقية،لكن الدكتور حسان بشير الورع رحمه الله أدخلها في كتابه الخضار في كلية الزراعة /جامعة حلب والكتب المصرية حافلة بها لأهميتها هناك وحظيت بالكثير من الدراسات التحليلية والطبية.

استخدمت نبتة الملوخية زمنا طويلا دون أن يعرف لها اسم ويقال أن اسمها الأساسي هو الملوكية وسبب تسمية هذه النبتة بهذا الاسم كما تذكر لنا كتب التاريخ هو أن الخليفة الحاكم بأمر الله أصدر أمرا بمنع أكل الملوخية على عامة الناس وجعلها حكرا على الأمراء والملوك فسميت (الملوكية) ثم حرف هذا الاسم إلى اسم الملوخية وفي رواية أخرى تقول أن أول معرفة العرب لها هو في زمن المعز لدين الله الفاطمي حيث أصيب بمغص حاد في أمعائه فأشار أطباؤه بإطعامه الملوخية وبعد أن أكلها شفى من المرض فقرر احتكار أكلها لنفسه والمقربين منه وأطلق عليها من شدة إعجابه بها اسم (الملوكية) أي طعام الملوك وبمرور الزمن حرفت التسمية إلى الملوخية .

موطنها الأصلي :جنوب الصين ،وهي نبات عشبي يدخل في غذاء الإنسان بعد طبخه ولها قيمة طبية وسنقتصر في حديثنا عنها على الجانب الصحي و الطبي لأهميتهما .

الملوخية تقوي القلب وتجلي النظر:

إذا كنت من الذين يكرهون الدواء، أو لا يستطيعون تعاطي أقراص المسكنات و المضادات الحيوية. أو من الذين يخافون من وخز الإبر فيكفيك تناول "أكلة ملوخية" لتستريح من

آلامك التي احتار في تشخيصها الأطباء، أو فشل في علاجها الدواء!! فقد أثبت علماء المركز القومي للبحوث بمصر أن "الملوخية" لها العديد من الفوائد وأحرص على أن يكون هذا "الطبق" بمثابة ضيف دائم على مائدتك الغذائية!! ويقول الدكتور فوزي الشوبكي أستاذ ورئيس قسم التغذية بالمركز القومي للبحوث بمصر: تعد الملوخية وجبة غذائية كاملة نظراً لغناها بالفيتامينات والمعادن والكربوهيدرات والألياف، فقد اكتشف أن هذه النبتة تحتوي على كمية وفيرة من الفيتامينات (أ) و(ب) والأملاح المعدنية الهامة للجسم كالحديد والفسفور والكالسيوم والبوتاسيوم والمنجنيز والصوديوم، وأكثر ما يميز "الملوخية" عن غيرها من النباتات الورقية أنها لا تفقد أياً من مكوناتها الغذائية وفوائدها العلاجية بالغسيل والطهي، كما هو الحال مع أغذية أخرى مماثلة. وبتحليل " الملوخية" وجد أن كل ١٠٠جرام منها إذا كانت طازجة (خضراء) تحتوي على ٤% بروتين، وإذا كانت يابسة فإنها تحتوي على ٢٢% بروتين و٢% دهون و١١% ألياف فضلاً عن غناها بفيتاميني (أ) و(ب) وكميات عالية من الحديد الذي يقضي على الأنيميا وفقر الدم ويحافظ على خلايا الجسم من التآكل، والفسفور الذي يحافظ على خلايا الدماغ ويجدد الذاكرة وينشط القدرات الذهنية، فيما يعتبر الكالسيوم أساسياً للحفاظ على الجسم والوقاية من هشاشة العظام. أما المنجنيز الذي يتوافر بكميات وفيرة في " الملوخية" فهو ضروري لتوليد هرمون الأنسولين الذي يضبط مقدار السكر في الدم ويكافح هشاشة العظام ويبعد شبح العقم الذي يؤدي إلى نقص المنجنيز بالجسم في بعض الأحيان إلى الإصابة به.

فوائدها الصحية :

ولكن كيف ينظم "طبق الملوخية" ضربات القلب ويحول دون الإصابة بالأزمات القلبية؟يجيب الدكتور فوزي الشوبكي قائلا: الفيتامين "أ" الذي تحتويه الملوخية معروف بفوائده العديدة في الحفاظ على الجسم، فهي كنبات ورقي تحتوي على مادة "الكلوروفيل الخضراء" ومادة "الكاروتين" بنسبة أعلى من تلك الموجودة في الجزر والخس والسبانخ، وتتحول مادة "الكاروتين" في الجسم إلى فيتامين (أ) الذي يقوي جهاز المناعة ويزيد من مقاومة الجسم للالتهابات والأمراض، ويقوي النظر، ويحافظ على أغشية الكثير من الأعضاء ويحميها من الشيخوخة المبكرة والتآكل. بينما يلعب فيتامين (ب) دوراً كبيراً في تحويل الغذاء إلى طاقة وإفراز الأحماض الأمينية، وزيادة إفراز الهرمونات خاصة الذكرية منها. كما أثبتت الدراسة توافر مادة

"الجلوكوسايدز" بكميات كبيرة في نبات الملوخية مقارنة بالبصل والبقدونس والثوم، حيث إن تلك المادة المشار إليها تحتوي على مركبات "فينولية" مثل "الفلافونات" و"الجلوكوسيدات" وهي مواد تحمي الجسم مما يعرف بالشوارد الحرة الطليقة والمؤكسدة التي تعمل كعامل مختزل داخل الأوعية الدموية وتؤدي إلى تصلب الشرايين وزيادة نسبة الكولسترول، وارتفاع ضغط الدم واضطراب نبضات القلب، وفي بعض الأحيان التعرض للأزمات القلبية.

وأكدت الأبحاث أن أكل الملوخية يقلل من تلك المخاطر ويحول دون الإصابة بتلك القائمة الطويلة من الأمراض. وعن دور "الملوخية" في علاج متاعب الجهاز الهضمي وحصوات الكلى ، يقول الدكتور فوزي الشوبكي: تحتوي أوراق الملوخية على مادة مخاطية تسمى "ميوسوج" وكمية كبيرة من الألياف التي تحول تلك المادة الغرائية دون حدوث مضاعفات لها لمرضى القولون العصبي، ومن يعانون من اضطرابات الهضم ومشاكل بالمعدة. ولذلك فهي وجبة سهلة الهضم ومليئة، حيث تساعد على التخلص من الإمساك وسهولة عملية الإخراج، وتخفف من الاضطرابات الهضمية لمرضى الكبد والجهاز الهضمي والمتوقفين حديثاً عن التدخين، والذين غالباً ما يصابون بالإسهال أو الإمساك وتهدئ الأعصاب وتقلل من الاضطرابات العصبية وتخفض ضغط الدم وتدر البول.

علاقة الملوخية بتخفيف الاضطرابات العصبية:

يجيب على هذا التساؤل الدكتور حسين زهدي الشافي أستاذ الأمراض النفسية والعصبية قائلا: تحتوي الملوخية على كميات عالية من مادة الكاروتين وفيتامين "أ" الذي يحسن من أداء الموصلات العصبية بالجسم، كما أن مادة الكاروتين والبيتاكاروتين تساعدان أيضا على إفراز هرمون "السيرتونية" الذي يحسن من الصحة النفسية ويقاوم الاكتئاب ويشعر الإنسان بنوع من المقاومة الذاتية والمناعية ضد المسببات العضوية للاكتئاب، ومن هنا تحفظ وجبة الملوخية حاجة الجسم اليومية من المواد المساعدة على إفراز هرمون "السيرتونين" وتحول دون التوتر والاضطرابات العصبية التي تصيب الإنسان بسبب ضغوط الحياة أو التعرض لأزمات نفسية أول تناول وجبة غذائية دسمة تقلل من إفراز الهرمونات المساعدة على تنشيط الموصلات العصبية داخل جسم الإنسان أو تعيق الغدد الهرمونية عن إفراز المواد المقاومة للقلق والتوتر والاكتئاب.

علاج للعقم:

وإذا كان العقم ينجم في كثير من الأحيان عن ضعف التبييض لدى المرأة فإن الملوخية تحتوي على كميات عالية من العديد من المعادن وتدر البول وأهمها المنجنيز الذي يزيد من إفراز هرمونات الخصوبة لدى المرأة ويبعد شبح العقم بسبب نقص هذا المعدن الهام والذي يقف وراء العديد من حالات العقم بسبب العادات الغذائية الخاطئة وإذا كانت "الملوخية" لها القدرة على علاج الكثير من الأمراض بسبب احتوائها على كميات عالية من المواد الطبية الطبيعية دون أية أضرار جانبية مقارنة بالأدوية الكيماوية والمعروفة بمضاعفاتها الجانبية العديدة فإنها كذلك تعد من أهم الأغذية للسيدات طوال شهور الحمل، وأوضح الدكتور أحمد عارف أستاذ طب النساء والتوليد بجامعة القاهرة علاقة "الملوخية" بالحمل قائلاً: تحقق "الملوخية" فوائد طبية وغذائية عديدة لمن يفضلون أكلها، فإذا كانت الدراسات قد أكدت أنها تخفض ضغط الدم وتقوي عضلة القلب وتزيد من إفرازات الغدد الجنسية سواء كانت ذكرية أو أنثوية، فإنها بالإضافة إلى ذلك تعتبر بمثابة غذاء مثالي للأم الحامل، لكونها من أغنى الأغذية التي يتوافر فيها بكثرة فيتامين (أ) وهو من أهم الفيتامينات اللازمة للحفاظ على صحة الأم والجنين، كما أن الملوخية تحمي الجسم من الإصابة بفقر الدم ونقص الحديد.

أكدت الأبحاث العلمية أن المادة الغروية الموجودة بورق الملوخية لها تأثير مليّن ومهدئ لأغشية المعدة والأمعاء كما أن أوراقها غنية بالألياف التي تكافح الإمساك هذا وتحتوي الملوخية على نسبة كبيرة من فيتامين (ب) بالإضافة إنها تمنع تكون حصوات المثانة والكلى والتهابات المسالك البولية وتعد الملوخية من أغنى الخضروات بمادة الكاروتين والتي تتحول إلى فيتامينات فيما بعد. هذا غيض من فيض عن الملوكية أو الملوخية فاملخوا يرحمكم الله، وإذا أردتم المزيد فأبلغونا حياكم الله.

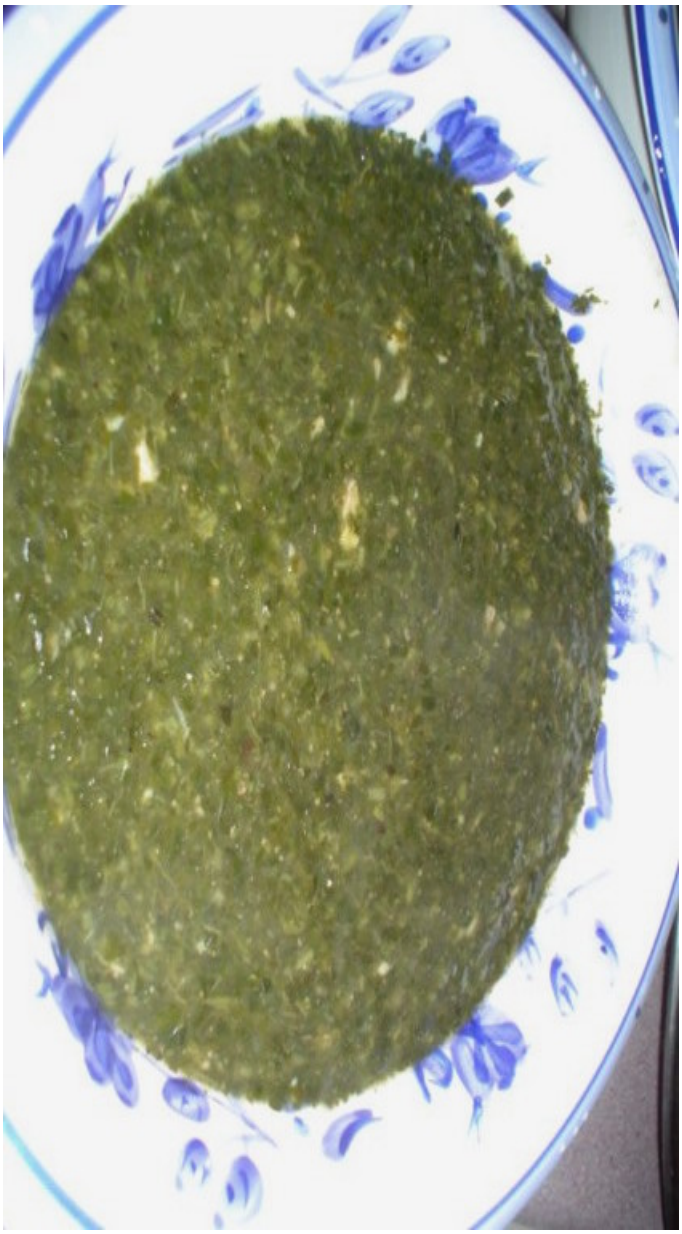

تهـنئة

تهنئ هيئة التحرير في مجلة بشائر الإسلام الأخ: عبد المنعم أحمد كندو -وهو من مدينة بانياس على الساحل السوري - بمناسبة حصوله على درجة الدكتوراه بامتياز.

تمت مناقشة رسالته (الحياة العلمية في بلاد الشام،في القرنين السابع والثامن الهجريين، الثالث عشر والرابع عشر الميلاديين) بتاريخ/١٣/٩/٢٠٠٨م في إحدى قاعات جامعة صنعاء تحت إشراف أ.د/ محمد عبده السروري مشرفاً ورئيساً في جامعة صنعاء، و أ.د/ عادل محي الدين الألوسي ممتحنا خارجياً - جامعة ذمار، و أ.د/ عبد الرحمن عبد الواحد الشجاع ممتحناً داخلياً جامعة صنعاء.

وقد حضر المناقشة لفيف من الإخوة الدكاترة السوريين المغتربين، والعديد من المثقفين السوريين المتواجدين على أرض اليمن، وقام الجميع بتهنئة الأخ عبد المنعم بعد إتمام المناقشة وحصوله على درجة الامتياز بجدارة.

وقد غمر الحاضرين جميعاً فرحتهم لا بحصول الأخ على شهادة الدكتوراه فحسب بل على الإشادة العلمية بعلماء بلاد الشام...

شكر وعرفان

تشكر إدارة المجلة الله عزّ وجـــلّ أولاً ثم تشكر كل من شارك في هذا العـــدد من أعضاء الرابطة وخارجهـــا علـــى السواء، ونسأل الله تعـــالى أن يكـــون ذلك في ميزان أعمالهم، يوم لا ينفـــع مال ولا بنون إلا من أتـــى الله بقلـــب سليم، وأن يتقبل الله منا ومنكم الصيام والقيام، وأن يبعدنا بعفوه وكرمه عـــن الجحيم والنيران.

لمراسلة (رابطة علماء سورية المستقلة) يرجى التواصل مع العنوان التالي:

ISLAMSYRIA@HOTMAIL.COM

ويمكـــــنكم زيـــــارة موقـــــع الرابطـــــة علـــــى العنـــــوان التـــــالي:

/http://www.islamsyria.net

ولمراسلة مجلة بشائر الإسلام، ولإرسال المقالات والتعليقات:

يرجى التواصل على العنوان التالي: yrabeta@hotmail.com